

مِنْ رِسَائِلِ إِبْرَاهِيمَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْكَبِيرِ الْكُشَايَ

11 رِسَالَةٌ فِي الْأَدَابِ وَالسُّلُوكِ

عَقَّيْنَا وَفَرَّغْنَا
الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْكَبِيرِ الْكُشَايَ

بَنَّا فِي بَيْتِ الْإِسْلَامِ
غِيَاثُ أَبُو صَوْفِيَّةَ



BOOKS · PUBLISHER

كتابخه - قاسمرون ابنه

التفكير في الكتابات

١ - ١١

مِنْ مَسَائِلِ الْإِمَامِ
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَبِيرِ الْكِنَانِيِّ
١١ رِسَالَةٌ فِي الْأَدَابِ وَالسُّلُوكِ

بِإِذْنِ عَزِيزِ أَمَانَتِنَا
عَسَاتِ أَبُو مُؤَمِّسَاتِ

مَقَرَّهَا وَفَرَحَ أَمَانَتِنَا
الشَّارِيفُ مُحَمَّدُ جَعْفَرُ الْكَافِي



BOOKS - PUBLISHER

كتاب - ناشر و ناشر

MIN RASĀ'IL AL-IMĀM
MUHAMMED BEN 'ABDULKABĪR AL-KITTĀNĪ

من رسائل الإمام
محمد بن عبد الكريم الكتاني

Author : *Al-Imam Mohammed ben Abdulkabir
Al-Kitani*

المؤلف : الإمام محمد بن عبد الكريم الكتاني

Editor : *Al-Sharif Mohammed Hamza Al-Kitani
And Ghassan Abu Sufra*

المحقق : الشريف محمد حمزة الكتاني
وغسان أبو صوفيا

Classification : *Islamic Manners*

التصنيف : آداب وسلوك إسلامية

Year : *1438 H. - 2017 A.D*

سنة الطباعة : ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

Pages: 336

عدد الصفحات : ٣٣٦

Size : *17 x 24 cm*

القياس : ١٧ x ٢٤ cm

Printed in : *Lebanon*

بلد الطباعة : لبنان

Edition : *First edition*

الطبعة : الأولى

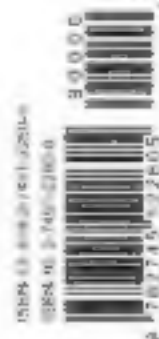
ISBN : 978-2-7433-2260-5

All Rights Reserved



Matraa, Ras Nabaa, Mohamad Al Houf Street,
Katerji Building, First Floor, Beirut-Lebanon
Tel : +961 76 944 855 - P.O Box: 11- 374 Ryad Al-Solah
E-mail: books.publisher@hotmail.com

جميع الحقوق محفوظة
2017 A.D. - 1438 H.



مِنْ مَرَسَاتِ الْإِمَامِ
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَبِيرِ الْكَلْبَانِيِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

لمجموعة الرسائل للإمام أبي الفيض الكتاني

بقلم: الشريف حمزة الكتاني

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه.

وبعد، فهذه مجموعة مباركة من رسائل مجدد الإسلام في القرن الرابع عشر، حجة الإسلام الإمام الحافظ المجتهد الشريف أبي الفيض محمد بن عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد الكتاني الإدريسي الحسني، أجعلها فاتحة لسلسلة من مؤلفاته ورسائله التي تربو على ثلاثة وأربعين كتاباً ورسالة، ما بين مجلدات وورقات.

ولعلنا كنت أرى هذه المؤلفات مطبوعة بالطبعة الحجرية القديمة، أو مخطوطة بعضها معرض للتلف، فأحزن لذلك كثيراً، وأنسخ بعضها بيدي حفاظاً عليها، خصوصاً المؤلفات التي أثرت عليها نوائب الزمان، فكنت أمكث الساعات في استخراجها وانتساخها.

ولعلنا تجولت في مكتبة جدي والد والدتي شيخ علماء الرباط وسلا الإمام العلامة أبي هريرة عبد الرحمن بن الإمام المصلح محمد الباقر بن الشيخ

محمد بن الشيخ عبد الكبير الكتاني، وتصفحنا كتب الإمام أبي الفيض المذكور رضي الله عنه، وصورتها وحافظت عليها، وقرأت ترجمة مؤلفها بلهف وتمعن، وبالأخص ما ألفه نجله الشيخ أبو الهدى محمد الباقر رحمه الله تعالى من المؤلفات في ترجمته وذكر مآثره.

وقد يسر الله تعالى لي أن تعرفت على صديقي وفي، وهو الأستاذ غسان أبو صوفة، ففاتحته بمسألة تحقيق بعض الرسائل للشيخ رضي الله عنه، فوجدت منه إقبالاً واستعداداً لذلك، وبالفعل قام بالعناية بها على وجه حسن. ويسر الله بعد ذلك تبني لجنة النشر بدار الرازي لذلك، فحمدت الله تعالى أن يسر أميبي في طباعة بعض آثار هذا الإمام المجدد الكبير، وذلك لفوائد منها:

(١) أن الإمام جامع بين علمي الشريعة والحقيقة، أي التصوف، وقد ملا كتبه بهذه المعاني التي اندثرت منذ أزمان.

(٢) أن المؤلف رضي الله عنه قام بحركة تجديدية على جميع النطاقات، علمياً ودعواً وجهادياً وسياسياً، خلدت مآثره على صفحات التاريخ، فكتابه تعتبر توجيهاً وإرشاداً إلى الأجيال التي أتت بعده وتأتي، في اقتفاء نهجه واتباع إرشاداته.

(٣) أن الناس في هذا الزمان الذي تكالبت فيه الرزايا على الأمة الإسلامية بكل أنواعها وألوانها، في حاجة إلى تجديد علمي منهجي على جميع النطاقات، بإرشاد إمام على قدم أئمة السلف الصالح رضي الله عنهم، بعيداً عن النزاعات الناتجة من الجهالة والعمى، والتي كانت نتيجة ردى من الزمان عنه الجهل والفوضى، وبعيداً عن فلسفات الحركات التي بينها وبين العلم كما بينها وبين النجاح، في هذا العصر.



موضوع هذه الرسائل

ولقد اخترنا في أول مجموعة أن تكون خاصة بالسلوك ومنهجية تربية النفس وإقناعها فلسفياً بسلوك الطريق إلى الله تعالى، والمواخاة بين المسلمين، والثنیه على أسباب تفرقهم وانكسار شوكتهم في هذه الأزمان المتأخرة.

والسلوك من أهم الواجبات التي أوجبها الله تعالى على بني آدم، بل بعد هدايته تعالى هو المراد من الشريعة.

والسلوك هو ما اصطلح عليه عند المتقدمين بالتصوف، نقل الإمام أبو العباس أحمد بن أحمد زروق البُرتسي الفاسي في مقدمته في التصوف:

وَلَسْتُ أَمْنَحَ هَذَا الْاِسْمَ غَيْرَ فَنَى صَفا فَصُوفِي حَتَّى سُنِّي الصُّوفِي^(١)

والصوفي: هو عالمٌ عمل بعلمه على وجه الإخلاص، وإن لم يكن له علم فرجل اتبع وتأدب بأخلاق عالم عمل بعلمه على وجه الإخلاص، وهو المصطلح عليه بشيخ التربية، ويُشترط فيه - أي: شيخ التربية - أن يكون رتيباً من العلم، والعمل به، ومعرفة دقائق النفس ومنازع الشيطان فيها، واستدلوا على وجوب شيخ التربية بأدلة كثيرة: من الكتاب: قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، والسنة: كقوله ﷺ: «إنما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه»، وقوله ﷺ: «خذوا عني مناسككم»، وفعل الصحابة مع رسول الله ﷺ، ثم بإجماع وفعل السلف الصالح الذين هم القدوة في كل أمرٍ مُذْلَمٍ، حيث ثبت عن

(١) وهو من أبيات مشهورة منسوبة لأبي الفتح البُشتي في تعريف الصوفي. الناشر.

جميعهم ملازمةً شيخ هلم وتربيةً، وتعلمهم من أخلاق شيوخهم وتربيتهم قبل علمهم، كما قال الإمام عبد الواحد بن عاشر العاسي

يصححُ شيخنا عارف المسالك يفيهِ في طريقهِ المهالك
والطريقة الصوفيةُ هي الاتِّباعُ الحقُّ للكتاب والسنة، فمن راع عهدها فليس من التصوف في شيء، وليس له فيه مائة ولا جمل

ومن يدعي حُجَّتَ الرسولِ ولم يكن سُنَّتَهُ مستمسكاً فهو كاذبٌ
علامةُ صدقِ المرءِ في الحقِّ أن يُرى على سَنَنِ كانت عليها الحوائطُ
ولما كان مبدأ التصوف هو مراقبةُ الله تعالى في السر والعلَن وكلِّ الأمور، صار لفظُ التصوف علماً على مقام الإحسان الذي هو كما في «صحيح مسلم» (رقم ٨): «أن تعبدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»

وهذه لمعاني هي التي سُحِّرت لها هذه الرسائل التي من دَقِّقَ نظره فيها وشارَكَ بفريقته ودهنه في تأملها؛ وجدها على صغر حجمها كافيةً شافيةً، معلمةً الكثيرَ من المراد، ياباً إلى ما بعدها.

بربك وجهه حُناً إذا ما زِدْناه نظراً



ترجمة المؤلف^(١)

هو مجدد الإسلام، ومرشد الأمام، وشيخ السنة وحامل لواء الفكرة الإسلامية دهاً ودولة، وناشر سود السلام في جل بلاد المغرب، وبعض بلاد المشرق، وباعث الحياة في قلوب مئات الآلاف من المسلمين، والمجاهد الأمين الذي بنى لله تعالى ما يباهر عتمة مسجد، ولم يصع نفسه ولا لأولاده لبنة على لبنة، والشهيد الحالد الذي قاوم الاستعمار بنفسه وعائلته وطريقته مقدومة عبيقة بقيت مضرب الأمثال، ومشتقى كذلك على عمر القرون والأجيال، الحافظ المحدث المعسر الفقيه المجتهد الحنم الأحمدى العارف بالله أبو القيص محمد بن جبل السنة والدين الإمام الحافظ عبد الكبير بن الإمام العارف أبي المعاهر محمد بن العارف الصالح عبد الواحد الإدريسي الحسني الكتاني لعاسي

* ولادته ونشأته :

ولد رضي الله عنه في منتصف ربيع الأول عام ١٢٩٠ هجرية، وتربى في كنف والده ووالدته اللذين لم يألوا جهداً في تربيته وتوجيهه الوجهة الصائبة وقد دخل الكتاب صغيراً وحفظ القرآن الكريم وهو دون الحلم، ثم حفظ مهمات المتون، وكان ذهنه حاداً، ونظره دقيقاً، وحافظته قوية ومما ساعده على النبوغ المبكر بيئته العائلية التي كانت تزخر بعدة من أئمة العلم وتلاميذهم الفحول

(١) جميع المعلومات الموجودة في هذه الترجمة مستقاة من المراجع المذكورة في نهاية البحث، خاصة «ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد» لمحمد الباقر الكتاني، ولذلك لم أنقل الهوامش بالمرء إليها

هو والده هو جيل السنة والدين الإمام الحافظ العتيق المحقق الذي كان يستحضر أحاديث الكتب الستة كأصابع يديه، المعسر الكبير والعارف الشهير أبو المكارم عبد الكبير المتوفى عام ١٣٣٣هـ.

ورلدته هي السيدة العالمة المربية العارفة الصالحة فضيلة بنت الشيخ إدريس بن الطائع، الشريفة الكتانية الإدريسية الحسنية المتوفاة عام ١٣٣٤هـ.

وجده لوالده هو الإمام العارف الكبير رائد النهضة الحديثة والأثرية في المغرب أبو المفاخر محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الواحد لكتاني المتوفى عام ١٢٨٩هـ.

وجده لوالدته هو العالم العلامة المجاهد العاري المدرس العدل المعروف أبو العلاء إدريس بن الطائع بن إدريس الكتاني المتوفى عام ١٢٨١هـ.

وحاله هو شيخ الإسلام في المغرب الإمام أبو المواهب جعفر بن إدريس الكتاني المتوفى عام ١٣٢٣هـ.

وبجل خاله شيخ حفاظ وعلماء عصره شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني المتوفى عام ١٣٤٥هـ^(١).

وعيرهم من العلماء العاملين من أهل بيته وبيته التي كانت ترحل بالعلم والعمل نشأ وترعرع بينهم، وكان يحضر ما لا يقل عن عشرة دروس في اليوم، فيخرج من المجر إلى جامع القرويين ولا يعود إلا بعد المغرب، وكانت الكفاية التي تعطيه أمه تبقى في جيبه الأيام أحياناً ولا يأكلها انتهاء بالعلم.

وحكى عنه الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الحاج الشنقي - المتوفى عام ١٣٦٤هـ - أنه كان يقرأ الكتابات في المجلدات في ليلة واحدة فلا يذهب عن ذهنه شيء منه بعد ذلك.

(١) جميع المذكورين أفرادوا بالترجمة يتصانفهم خلاصة.

وكان يحمل في حقيقته الكتب الكثيرة، حتى كان شيخه الإمام أبو عبد الله محمد بن التهامي الوزاني - المتوفى عام ١٣١١هـ - يقول له: هلاً أتيت بحمار يحمل لك حقيقتك!

كما كان من قبل احتلامه مواظباً على الأدكار والصدقات، ومواظباً على التهيلة سبعين ألف مرة في اليوم، ولقطة سيدنا محمد ﷺ سنين ألف مرة في اليوم وحتمه في القرآن يومياً، إلى أن فاجأه العنح الأكبر وسُكِت العلوم فيه سَكْماً

ولم تمص عدة سنوات حتى بلغ في كثير من العلوم، المطوق منها والمفهوم، ورزق التبخر في علم التفسير وأدواته، وعلم السنة واصطلاحاته، ودقائق هديين العلمين، والأصول والكلام، والفقه حتى بلغ فيه الاجتهاد، وفلسفة التشريع، والتاريخ والسيرة، والأنساب، واللغة، والمعاني والبيان، والحكمة، والمنطق، والعلم الطبيعي والإلهي، وعلم الهندسة، والعلم الأرثماطقي، وعلم الهيئة، والتصوف الذي هو السلوك والرفائق والمعارف الدنية، وعلم الحروف، وغير ذلك^(١). فكان كما قيل

إذا كان حسنُ الله للمرء ماصراً نهياً له من كل صعب مُردّة

❖ شيوخه:

أخذ عن جملة من شيوخ وقته، فمنهم:

(١) والده الشيخ أبو المكارم عبد الكبير الكتاني، أخذ عنه التفسير باب جرير الطبري والجلالين، والحديث بصحيح البخاري مرات كثيرة، وصحيح

(١) بل قال في بعض رسائله وهي: «العص المحتوم في تفسير سورة المصن»: «لا يكون المعارف عندي حرفة حتى يحيط بحمسة آلاف علم على الأقل»

مسلم وشعائل الترمذي وشعاعياص، والفقه بمختصر خليل^(١)، وكان يرجع عليه أكثر من عشرين شرحاً، ونظم ابن عاشر، والتصوف بـ«الفتوحات المكية»، و«عوارف المعارف»، و«المجالس المكية» لأبي حفص الميافيشي المكي، و«إحياء علوم الدين» للعرالي، و«عهد» الشهراني و«مبته»، و«حكم ابن عطاء الله»، و«الإبرير» لاسن المبارك اللخمي، الكل بالرواية الكتابية

(٢) حالة الشيخ أبو المواهب جعفر الكتاني أخذ عنه الحديث بصحيح البحري والفقه بمختصر خليل، وعلني الكلام والسير.

(٣) ابن حالة أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني، أخذ عنه السير بشعائل الترمذي، و«دلائل الحيرات» يشرح العلامة المهدي العاسي، والحو بالآلية في القرويين

(٤) العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن التهامي الوزاني الإدريسي الحسي، أخذ عنه الحديث بالبغاري، والفقه بمختصر خليل بشرح الخرشني والزرقاني وحاشية الساني، والتحفة^(٢) بشرح الشيخ الناودي ابن سودة، والحو بالآلية بشرح المكودي، والمعادي لابن هشام وشرحه للأرهري، والمنطق بسلم الأحضري بشرح الساني، والبياد بمقدمة «انتلحيص» شرح سعد الدين التتمتازاني بالقرويين

(٥) الشيخ العلامة الإمام شيخ الجماعة أبو عبد الله محمد بن قاسم القادري الحسي الشوم عام ١٣٣١هـ، أخذ عنه الحديث بصحيح البحري، والسير بشعائل الترمذي بشرح جثوس، وحاشيته هو على الشرح، والأصول

(١) مختصر خليل في مذهب المالكية هو أكبر متني فقهي مختصر، بلغت مسأله الفقيه منه ألف مسألة ظاهرة، وأخرى مستبقة، قال العلامة محمد بن الحسن المحمدي في كتابه «الفكر السامي» (٤: ٧٨): «واتما ذلك تقريباً، والأقبح أكثر من ذلك بكثير»

(٢) نعمة الحكم للإمام ابن عاصم في أحكام القضاء، وشرح الإمام أبي عبد الله الناودي على التحفة أسماء: «علني المعاصم لفكر ابن عاصم»، وهو مطبوع. الناشر

بجمع الجوامع شرح المحلى وحاشية الباني، مع تلخيصه مباحث الآيات
البيئات^(١)، وكان يقرر في الدرس تعاليقه التي كتبها رحمه الله على
المحلى، وذلك بالقرويين، والكلام بصعري الصغرى للسوسي، وشرح
الشيخ الطيب ابن كثران على فوحيد «المرشد المعين» وحاشيته هو عليه،
ودلك بالزاوية القادرية

(٦) الإمام المؤرخ الفقيه أبو العباس أحمد بن خالد الناصري الشلاوي صاحب
«الاستقصا في تاريخ المغرب الأقصى» المتوفى عام ١٣١٥هـ، أخذ عنه
العقبة بعبادات «المختصر» وشرحه للدردير بالقرويين

(٧) الإمام الفقيه شيع الجماعة أبو العباس أحمد بن محمد ابن الخطاط الركناري
الإدريسي الحسبي المتوفى عام ١٣٤٣ هـ، أخذ عنه السير بشعائل الترمذي
بشرح جنسوس، والأصول بجمع الجوامع شرح المحلى وحاشية الساني،
وكان يقرأ تقاريره التي كتبها هو على المحلى والباني بالقرويين

(٨) الإمام العلامة أبو محمد الثمامي بن المنني كسوف المتوفى عام ١٣٣١هـ،
أخذ عنه العقبة بثلاثي «المختصر» بالحرشي والرزقاني وحاشية الساني عليه
بالقرويين.

(٩) العلامة الحافظ الشيخ أبو محمد عبد الهادي بن أحمد الصقلي الحسبي
المتوفى عام ١٣١١هـ، أخذ عنه السير بهمزية البوصيري، وشرحها لابن
حجر الهيتمي^(٢) بالقرويين

(١٠) الشيخ العلامة أبو محمد عبد الله بن حمدون الساني المدعو فرعون
البحوي. المتوفى عام ١٣٠٧هـ، أخذ عنه النحو بالألفية، وشرحها
للمكودي بخلوة القرويين

(١) للإمام ابن قاسم المادي، وهو حاشية على شرح جمع الجوامع، مطبوع في مجلدين الناشر

(٢) المسنن به «المسح المكي في شرح التهذيب»، وهو مطبوع الناشر

(١١) العلامة الكبير أبو محمد عبد العزيز بن محمد الباني المتوفى عم ١٣٤٧هـ، أحد عه العلوم الاثنى عشر بقانون اليوسفي، والمطلق بالشلم وشرح الباني وحاشيته لقصاره

(١٢) المعام الشيخ أبو عبد الله محمد الرضي العاسي، أحد عه التوقيت، والمحبات، والهيئة، والنجوم، والفلك، برسالة المارديسي الشهيرة وغيرهم

وكان من علو همة يطالع على الدرس كتبت المتقدمين في ذلك انفس، وكان والده يسميه بالفقيه لشدة استمراقه في حقبة الدراسة بعلوم الآلة

وبعد جهاده النادر في الدراسة اعتكف على مطالعة الكتب النادرة في مختلف لمون والعلوم، فكانت أول أعماله صباحاً وآخرها مساءً

وأما تلقيه لعلم التصوف فكان على يد والده الذي أحيى الحقائق ووطد الطرائق، وجدده رَسَم القوم بعدما كاد يخبو، وأبان معالم التصوف بعدما أشرف جواد سوانقه أن يَكْبُر، فذس الله سيره، فعلى يده تربي وقطع حَقَبات سلوكه، على نمط أهل التصوف الإسلامي، ومنه استفاد ما لا يُعد ولا يُحصى من فوائد شيوخ التصوف الحقيقيين الذين اجتمع بهم في رحلاته العديدة بالمشرق والمغرب، تلك الرحلات الواقعة في القرن قبل الماضي، والتي كان لها أثر كبير في ربط المغرب بالشرق، وهو الذي لقنه عدة أوراد كانت سبباً في إشراق قلبه بالإمدادات الإلهية والمبوضات المحمدية؛ وبعد ذلك كان تلقيه من الحضرة النبوية، كما قال في نائيه الشهيرة.

أنا بغزل المعنح من حضرة اليمى مادن رسول الله شيعي وعمدني
فمنه أخذنا ما تدفق جَهرة على صغر الأجرام حين شيبني

وقد ذكر عن نفسه أنه كان يلزم ذكر سبعين ألماً من الهيئة، وستين ألماً من الاسم الشريف سيدنا محمد ﷺ وعلى آله - كما تقدم ذكره - تتوجه تام إلى

أن دحاه الفتح، واحتتمع بالنبي ﷺ يقطعة^(١)، وأحد عنه دعوته الإسلامية وطريقته الكتابية، وأذن له في الإرشاد، ودعوه الخلق إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ليكون مجتد الإسلام في القرن الرابع عشر، ويحيي من سُن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما اندثر، تصديقاً لما أخرج أبو داود في «السُن» والحاكم في «المستدرک» والبيهقي في «المعرفة» وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِثَّةٍ سِنَةً مِنْ بَعْدُ لَهَا دِينُهَا».

✽ قيامه بالدعوة والإرشاد.

قام رحمه الله تعالى بالدعوة إلى الله تعالى، وتعليم الناس، والحروح إلى البوادي والجبال من أجل ذلك، حتى إن البربري والأعرابي الذي لم يكن يجيد ذكر الشهادتين أصبح يحفظ القرآن الكريم ويواظب على الأوراد والأدكار السوية وملازمة دقائق السس التي لم تكن معروفة ومُتبعة في حواضر الأمة الإسلامية ذلك الوقت بله غيرها

وربهم على الأخلاق الإسلامية المحمدية، وحفظ السُن، وتعميق العقيدة، والجهاد في النهار ضد المستعمر، والصيام، والقيام في الليل تهجداً إلى الله تعالى

واسطلق الناس إليه أمواجاً أمواجاً في سبيل ذلك، حتى تتلمذ له بعضُ شيوخه وأبناء الملوك بَلَّة من دوابهم، وأحيان في بلاد المغرب رَمَت الإسلام بعدما كاد

(١) اختلف العلماء في إمكانية الاجتماع بقطعة برسول الله ﷺ، وألف في بصره ذلك الحافظ السيوطي مؤلفاً مستقلاً، وبصر المترجم ذلك طويلاً في كتابه «خبر الكون»، ومن أدلة المجبرين ما صح عنه ﷺ: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة»، رواه البحري (٦٩٩٣)، واجتماع رسول الله ﷺ بالأنبياء في الحياة الدنيا كما في أحاديث الإسراء والمعراج، ومعلوم أنه: ما كان مصحراً للنبي جاز أن يكون كرامة للولي

يحبوه، وبشّر العلوم، وانتشر تلاميذه وتلاميذ تلاميذه في شمال إفريقيا والحدود
واليمن والشام ومصر والهند وجاوا وغير ذلك من البلاد، داعين إلى الترام الكتب
والسنة والشعائر المحمدية، والابتعاد عن البدع والأهواء، والصلاوات والعمالات

حتى قال فيهم شيخ الإسلام في الأستانة الشيخ محمد المكي ابن عرور في
رسالة مطولة للمحافظ عبد المحي الكتاني: «إن في الروايات خفايا، وفي الرجال يقايا،
وإن أولئك السادات الكتانيين هم الطائفة القائمة بأمر الله ورسوله، هم العلماء
بالله ورسوله وبالدين، هم المعانوك من الله في أوقانهم وكتبهم، هؤلاء لدين
كلامهم أشد وقفاً على المستدعة من مواقع المترليور^(١)، لا المحكي بن عرور»

* ابتلاؤه بمَرَاكُش.

ولما كثر أتباعه، وفاق مشايخه في العلوم بَلَّة من ذويهم، كثر حاسدوه
ومُبعضوه، حتى أوعروا إلى السلطان عبد العزيز بن الحس العَلَوِي الحسبي -
ملك المغرب وقتذاك - أنه يريد الملك وأنه رديق، فاستدعاه السلطان إلى
حاضرة مراكش، وذلك عام ١٣١٤ هجرية، وأكرمه، ثم دعه إلى المناظرة مع
كبار علماء الوقت، واستمرت المناظرة في شتى العلوم لمدة ثلاثة أشهر،
وانتهت بانكسار أعدائه وانتصاره ضدّهم الانتصار الكبير مما هو مدوّن في كتب
التاريخ، وكتب شيخ الإسلام الشريف ماء العينين الشقيطي الإدريسي الحسبي
وثيفته الشهيرة في نبرته، والتي صمّمها الملك في مرسومه الملكي بتاريخ
١٣١٤/٧/١٥ هـ، وقسم محالفيه إلى ثلاثة أقسام

(١) قسم حاسدون

(٢) قسم لم يشربوا مشربه

(٣) قسم لم يبلغوا ما بلغه من العلم ولم يتعمقوا في علوم الشريعة

(١) المترليور: مدفع رشاش كان يُستعمل في بداية القرن الهجري المنصرم في الحروب

فكان ذلك مدعاةً لتعظيمه أكثر وأكثر في أعين العامة والعلماء واسلمت،
الذي اصطفاه بعد ذلك مستشاراً له

وقد حج عام ١٣٢١، واجتمع بكنار علماء المشرق واستجارهم واستجاروه،
حتى إنه كان يحيط الليل بالهار في كتابة الإجازات لهم، ورار الشريف عون الرفيق
بمكة المكرمة ونصحه، وفرح به الشريف عاية حتى كان يقوم إجلالاً له ويقول

قباسي للعزيز عليّ فرضي ونرك القرضي أني يستقيم
وهل أحد له عقل ولبي ومعرفة يراك ولا يقوم ١٩

ووشى له البعض فيه، فقال له: اسكت يا حمار، وهل مثل هذا يكون كما
تقول ١٩

ودرس في المسجد الحرام فترةً هو ومجموعة من علماء تلامذته، وأحد هذه
الجم من الحبيب وعلماء الحجاز العلم والإجارة وطريقته الأحمدية الكتبية
ورار المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وكان احتفاءً أهلها
به كما كان بمكة المكرمة.

وفي مصر - وهو في طريقه إلى الحج - درس بالأزهر درساً في شرح حديث
أبي الإسلام على خمس، فأوجه من أحد عشر مطمحاً دُهِش جميع علماء
الأزهر له وبثوا بتأفلونه أكثر من ثلاثين عاماً، قال الشيخ أحمد رواف الشامي
في قصيدة في مدحه

والأزهر المعمور من درسه قد كاد من فرح به أن يطير
وأحد هذه كثر من علماء مصر وعائتها الإجارة والطريقة وتعلموا له

وكذلك التقى بالحدادي إسماعيل، واجتمع به فترات طويلة، وحدود
التسويق بينه وبين الدولة العثمانية والدولة المغربية لمواجهة الهجمة الاستعمارية،
غير أن محاولاته باءت بعد ذلك بالمثل لعلبة الدنيا على القلوب

وقد دوّن رحلته هذه العلامة الشيخ عبد السلام بن المُطفي المغربي الإدريسي الحسني، وأسماعها: «اللؤلؤة العاشية في الرحلة الحجازية»

✽ الرجوع إلى المغرب واستشهاده:

وفي تلك السنة وهي عام ١٣٢٢ عاد إلى المغرب وكان علم حق اليقين بيه المستعمر في احتلاله، بدأ يرشد القبائل للجهاد وتوحيد الصف وبرح ما يبيها من غل، ونشط أكثر في نشر العلم والمعرفة والتربية والسلوك بين الناس

وفي عام ١٣٢٥ بعد أن بدأ يدت داء الاستعمار في المغرب والاحتلال، وحاكم الوقت لم يكن بذلك المهتم، بل كان دانياً في شهواته، عمل بما كان لذيّه من نفوذ ومركز علمي على جمع علماء فاس والقضاء بحلج السلطان عبد العزيز وتولية شقيقه العالم السلطان عبد الحفيظ بشروط اشترطها وكنها هو بموافقة علماء المغرب ذلك الوقت، فتمت البيعة على شروط الشورى والجهاد، وكان ذلك بتاريخ ١١/٢/١٣٢٥ هـ

وفي عام ١٣٢٦ جمع زعماء القبائل المغربية بمكناس، وعقد بينها رابطة الصلح والسلام والأخوة، وأن لا تطالب قبيلة الأخرى بدم ولا بغيره، وبقيت هذه الحانة من السلام إلى الآن بحمد الله تعالى، فلم تعد القبائل تسطر على بعضها وتحارب بعضها لأدنى سبب.

ثم كان ما كان مما هو مذكور في كتب التاريخ من خذلان السلطان عبد الحفيظ - عمر الله له - لشروط البيعة ونفريه الأجانب، ثم خذلان العلماء الذين وقفوا على المعارضة للشيخ رضي الله عنه، وبصع كثيراً وما تم النصح، ثم حاولت فرنسا إغراء الشيخ رضي الله عنه بالمال والنفوذ من أجل أن يسكت عن دحوبهم المغرب، وذلك عن طريق قتلهم «كبار»، فرصن وجمعن أحصن الناس من أهله وأتباعه وهرب بهم نحو الجبال للجهاد بعه وأتباعه، وإزالة ما شات الأمة من الظلم والهوان.

غير أن الاستحيات العربية كانت بالمرصاد، فأحرت السلطان أن اشع
 رضي الله عنه، أراد القيام عليه، فأرسل إليه جيشاً أدركه قبل الوصول للبحال
 وأرجعه على الأمان

ثم - وفي قصة طويلة - وبعد حلال الأمان، عمل السلطان على جلد
 لشيخ رضي الله عنه بالسياط إلى أن وقع شهيداً، وذلك صبيحة يوم الثلاثاء ١٣
 ربيع الثاني عام ١٣٢٧، وله من العمر سبعة وثلاثون عاماً، وأُحيى حنمته رضي
 الله عنه

قل العلامة المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي «فقد افترس مشاهد
 هذا العالم الجليل باستشهاد أمة كاملة، وهي أمة المغرب» وكان مثاله في نهاية
 الأمة كمثال جده^(١) الإمام الشهيد الحسين بن علي عليهما السلام في بدة هذه
 الأمة، شهيد كربلاء^(٢).

* تلاميذ الشيخ رضي الله عنه :

ترك الشيخ رضي الله عنه تلاميذ كثر في المشرق والمغرب كانوا أئمة
 التجديد على مختلف النطاقات، وأذكر منهم على سبيل الذكر لا الحصر

-
- (١) حيث والدته والده شريفة حبيبة من بيت الصقلي الفاسيين، فهو حسي حبي
 (٢) لم أنطرق لكرامات الشيخ رضي الله عنه، لأن الكرامات ليست من أصول التصوف،
 فالأصل الاستقامة، والكرامات إنما هي كالمعرض بالسبة للجوهر، بل هي في حد ذاتها
 هوارض في الطريق، ولذلك كان العارض يستحيون من إبرازها كما تشي المدرء من
 الحبيس - كما قال الصوفية رضي الله عنهم - ولكن أشير إلى أن سجل المصنف الإمام أبا
 الهدى محمد الباقر الكتاني جمع أكثر من ثلاثين منها في كتاب خاص سماه: «كر
 البراهين المادية في كرامات المشيخة الكناية»، ولا يزال مخطوطاً

- (١) شقيقه خاتمة الحفاظ الأعلام وشيخ الإسلام أبا الإسعاد وأبا الإقبال الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني صاحب «التراتب الإدارية في الحكومة البوية» و«فهرس الفهارس والأثبت»، وغيرها من النصايف السائرة
- (٢) بن حله الإمام علم الأعلام أبا العباس أحمد بن جعفر الكتاني، صاحب شرحي البحاري والحكم العطانية
- (٣) حله الإمام العلامة أبا الفصل محمد المهدي الكتاني صاحب «الصبيحة» في عدة مجلدات
- (٤) بجنه ومؤرخ حياته الإمام المجتذ الحافظ أبا الهدى محمد الباقر بن محمد الكتاني^(١)
- (٥) شيخ الجماعة بالرباط الإمام محمد المكي بن علي البطاوري الحسي
- (٦) الإمام أبا العباس أحمد بن محمد العيلالي الكاوري الإدريسي الحسي
- (٧) العلامة الكبير شارح «الجامع الصغير» أبا عبد الله محمد بن محمد بن المنطلي العمراتي الإدريسي الحسي.
- (٨) الإمام العلامة محمد الومري بن محمد بن جعفر الكتاني مؤرخ القرن المنصرم
- (٩) شيخ الطريقة الشاذلية بفاس الإمام العارف أبا عبد الله محمد بن إبراهيم العاسي.
- (١٠) لشيخ الإمام العارف الكبير أبا عبد الله محمد بن الصديق بن أحمد العماري الإدريسي الحسي

(١) خص المترجم بثلاثة مؤلفات. «بلوغ الأماني في ترجمة الشيخ محمد الكتاني» في مجلد مطبوع. و«التاج المصنوع بالجوهر الفريد في ترجمة الإمام الشيخ محمد الكتاني لشهيد» في ثلاث مجلدات، و«دائرة المعارف والعلوم الكتابة» في ثلثي مجلدات. علاوة على ما جمعه له من المعاجم والأثبت، وضعه في كتبه الخاصة بالتراجم

(١١) شيخ علماء الشام ومجدّد الإسلام به أبا العصل محمد المكي بن محمد بن جعفر الكتاني

(١٢) شيخ علماء الحجاز الإمام أبا حفص عمر بن حمدان المخربسي وهو دأته بالمدينة المنورة

(١٣) مفتي الجيش العثماني العلامة محمود باشا التركي

(١٤) علامة الحجاز الشيخ عبد القادر بن توفيق الشلبي الطرابلسي وهو دأته في الحجاز.

(١٥) العلامة المسند الشيخ عبد الستار بن عبد الوهاب الهدي ثم المكي

(١٦) العلامة بوضيري عصره يوسف بن إسماعيل النهاني

(١٧) علامة الشيخ جعفر الجاري

(١٨) العلامة شيخ الحنابلة بمصر أبا العباس أحمد البتيوني

(١٩) مؤرّخ مكّاس العلامة الكبير عبد الرحمن بن زيدان العلوي الحسي

(٢٠) مؤرّخ تراكش العلامة الكبير العباس بن إبراهيم

(٢١) علامة الكبير شارح المحاري أبا عبد الله محمد الفصيل الشيهي (إدريسي الحسي

وغيرهم كثيرٌ ممن ذكرنا مفضلاً في غير هذا الموضع

• مؤلفاته :

ترك الشيخ رضي الله عنه ما يريد عن ثلاثمئة وأربعين مؤلفاً بين مجلدات كبار ونصائيف في أوراق، وحوالي عشرة آلاف رسالة وقد ذكرتُ حوائج (١٦٠) مؤلفاً له في كتابي «الشُّبْحَةُ النُّورانية»، في ذكر ألف من المؤلفات الكتابية، وتراجم أصحابها ذوي المزايا السامية»

أذكر منها هنا

- (١) المتأوى الحديثية
- (٢) الفتاوى العفوية
- (٣) الفتاوى الصوفية
- (٤) شرح حديث الحبيصة المخرّج في الصحيح، في مجلد صحم
- (٥) أجوبة عما أشكل في القرآن في جانب التوحيد
- (٦) أجوبة عما أشكل في الصحيحين في جانب المقام المحمدي.
- (٧) أسرار الاستعاذة، طبع.
- (٨) الأمالي في علم الأمهات، طبع
- (٩) الأجوبة التفسيرية
- (١٠) بيان الآفات في حكم تضييع الأوقات، باللغات السمة بانكارطة (السدة) وانضمام وما شاكلهما مما ينطبق عليه اسم التفسير
- (١١) تفاسير خمسة للمسئلة من علم الكلام والتصوف والحقائق والبحر
- (١٢) تشریح أسرار الشريعة في قوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْظَلَةِ لَمَسَّةٌ﴾.
- (١٣) تأليف في الحشوع في الصلاة
- (١٤) تأليف في الفرق بين طريقة الاجتهاد وطريقة الإنابة
- (١٥) حياة الأنبياء، في مجلدين ضحيتين يثبت حياتهم في قبورهم
- (١٦) حديفة الجنان، أجاب فيها عن أمور تنكر على الصوفية
- (١٧) ختمة البخاري، من بضع وعشرين علماً، طبع.
- (١٨) حبيثة الكون في شرح الصلاة الأنموذجية، في عدة مجلدات، طبع الأول منها
- (١٩) الدرة البيضاء في معنى الصلاح الذي تطلبه الأنبياء.
- (٢٠) رسالة في أن البسملة آية من كل سورة

- (٢١) روح المعصوم في الفلسفة الإسلامية، في مجلد صحاح
- (٢٢) رسالة في أبوته ﷺ وكلُّ نبيٍّ أبٌ لأمته، طُبعت.
- (٢٣) الرسائل الكتانية في الهداية والإرشاد، في عدة مجلدات
- (٢٤) زينة المرام في حكم دخول الحمام.
- (٢٥) الطلاسم في الكمالات المحمدية
- (٢٦) كشف الثام عن سر الصيام
- (٢٧) الكشف والبيان عما حفي عن البيان في سر آية ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِسْلَامُ﴾.
- (٢٨) لسان الحجة البرهانية في الذب عن شاعر الطريقة الكتانية، طبع بفاس ثم بيروت
- (٢٩) الكمال المتلالي والاستدلالات العوالي، في معالجة أهل التعريط والتعالي، وأن فيضان الربوبية والمحمدية لا يتخطى بل متالي. طبع (٣٠) الاجنباء.
- (٣١) الاستباقات إلى حضور صلة الحق للموجودات. طبع
- (٣٢) مقدمة للشعائل الترمذية
- (٣٣) النهر المُرَبَّد في شرح خطبة ميارة على المرشد، في الفقه.
- (٣٤) الفهرمان الأقدس
- (٣٥) القول لشافي والبيان الكافي في أن فاعل القبض في العريضة غير جاني
- (٣٦) مجمع البحرين في مشروعية البسلة جهراً في الصلاة العريضة
- (٣٧) الوصايا الكتانية.
- (٣٨) السر الصمداني والفيض الحَقَّاقِي في أنَّ العارف لا يُزايده الحوف ولو بعد دخول الجنة.
- وعبرها

* ثناء العلماء عليه :

كثيرُ ثناء العلماء الأعلام رضي الله عنهم عليه وعلى مقداره العلمي، وأذكر هنا شيئاً من ذلك

قال الإمام أبو الحسن علي بن محمد القنطري الحسني «ولو حضرت يا أبا المهدى مجالسَ إمام أهل الحضرات العليا والسفلى لأبهر عقلك في علم التفسير حتى تخال أن لا مفسر سواه، ولو خلي وصيبي»

- أعيذُ بالواجب من شر كل حاسد -

لبقي يتكلم في الآية القرآنية إذا شرع في تفسيرها حتى يحرج الإمام المهدي، ولو حضرت وقت أماليه في المجالس الخاصة، بل والعامة، لرأيت ما لا تنأسف معه على عدم إدراك جميع من تقدمه من أهل الله تعالى

ولو حضرت ذكره لأسرار الشريعة لأبهجك ثم أبهتك، ثم حيرك ثم فتك، ثم أدهلك ثم أحسرك، ولقلت: إن عيني رأيت المآل في وقت واحد

ولو حضرت في وقت مرجه لعلم الأحكام بعلم الأصول، بعلم الكلام، بعلم الحقائق، لقلت: إن إحدى لسنه ﷺ يتكلم.

قل ما نشأ فأنت فيه مصدق الحب يفضي والمحاسن تشهد

ولو حضرت أماليه على الدوام، لحصنته بوجه الله العظيم وقلت: به الكتب المسطور، والبحر المسجور، والبيت المعمور بأنواع العلوم والمعارف والأسرار المحمدية التي لم يثها ﷺ لأحد سواه. اهـ باختصار

وقال فيه شيخ الإسلام محمد بن جعفر الكتاني الحسني في «اللبنة اليسيرة» بعد ترجمة والده: «ومهم: ولله الذي طُبِّقَ ذكره الآفاق، وشاع صيته في الحواضر والبادي وسائر الرفاق، العلامة الأنهر، الصوفي الأكبر، من تعجرت

الستة وأقلّاه بالعلوم، وبهر بما يديه الخصوص والعموم، العربي الفاع،
الكثير التلاميذ والأتباع...».

ومهم شيخ الهند الإمام الشهير الشيخ محمد حسين بن تفضل حسين
اعمرى الهندي المتوفى عام ١٣٢٢، تلمّح معه وحلاه في إجارته له بـ «لغز
الأوحد، العاضل المعزّد، مالك الملّكات، صاحب الكمالات الوهية والكسية،
الحجر الحضمّ الحلاجل المظلم، قرّة عين الرمان، إسان عين لإسان، اندي
بناهي كماله الكمال، وحامت حولّ بحره العذب ألباث الرجال، اعارف
لشهير...».

وقال فيه علامة مصر ومعتبها الشيخ عبد القادر الرفاعي «هو من نحة
لعلماء العاملين، وخيرة الأنقياء المرشدين، وقد رقى أهل مراتب الكمالات،
مع غزارة علم، وسعة اطلاع في المنقولات والمقوليات...».

ورصفه الإمام الحافظ أبو شبيب بن عبد الرحمن الدّقاني في إجارته لوجه
شيخ محمد المهدي بقوله: «الشريف الأجل، العالم الأمل، الحافظ اللاطف،
الذي كرع من بحري الشريعة والحقيقة حتى ارتوى، سيدي محمد بن سيدي
ومولاي عبد الكبير الكتاني الحسي رضي الله عنهم وبما يبركاتهم آمين» وقال
في بعض محالسه في مراكش - وكان يحصرها الحجم الصغير من الناس - «ما
رأت عيني من يحسن دراسة التصير كالشيخ سيدي محمد الكتاني رحمه الله،
سواء في المغرب أو المشرق»، وصار يصف لهم مجالس المترجم في الحرم
المكي حينما كان يدرس التصير به عام ١٣٢١

وقال فيه شيخ الشافعية بالحجاز الإمام الشريف حسين بن محمد الخبشي
الباعدي الحسبي في إجارته لابنه المذكور «إنه من ذوي العلوم لواسعة،
والحقائق الجامعة، الدين علت همّتهم، وتسامت في العلوم الظاهرة والباطنة
رتتهم، الواصل الموصل إلى طريق الحق والصدق واليقين، الدر السامي

المقدار، الظاهر كالشمس في رابعة النهار، العارف بربه، المستغرق فيه بقله،
من أرجو باتصالي به الخير، وزيادة النور والبركة ودفع الصير...»

وقال فيه مسدُ الشرق ومحدثه الإمام أبو الخير أحمد بن عبد الله مرداد
المكي الحنفي من سعي اجتماعي بثوث هذا الوقت والزمان، خلاصة
السادات الأعيان، صاحب الأسرار والعلوم العرار، مربي المريدين، ومرشد
الساكنين، محرر الموائد واللطائف، ومعدن الحقائق والمعارف، مولانا أبي
لميض سيدي الشريف محمد.

وقال العلامة المسد عبد الحفيظ بن محمد الطاهر العاسي المَهْرِي في
«معجم شيوخه» «صدر من صدور عصره، عالم متبحر، حافظ من حفظ
الحديث، بصير بمعانيه وفقهه، متمكن في علم التفسير والأصليين والكلام،
متبحر في التصوف، غواص على دقائقه، خبير بأحوال أهله وطبقاتهم ومنازلهم
ومذاهبهم وفِرَقهم ومشاربهم ومقاصدهم واصطلاحاتهم، قدير على فتح
المشكلات وقضُ المعضلات، مثابر على نشر العلم، دؤوب على تقريره
وتدريسه، لا يحلو وقت من أوقاته من الخوص في مسائله، حرٌّ للمكر
والضمير، يجاهر بأفكاره ومبادئه في مؤلفاته ودروسه، مقتدر على إقامة الحجة
واقناع الخصم والاستيلاء على أفكاره بما أوتي من قوة العارضة والقدرة على
البيان والبراعة في الاستدلال، مع فصاحة اللسان، وثبات الجان، لم يبلغ أحد
من أهل عصره بعد الشيخ ماء العينين مبلغه في إقبال الخلق، ويُعد الصيت،
وشهرة الذكر في المشرق والمغرب. انتهى بإحتصار وتصريف.

وإنكلام ولتقول في هذا الباب كثيرة جداً، ولا يعني أعلنها عن غيره،
فرحمه الله تعالى ورضي عنه ولا حرماً من بركاته.

* التعريفُ بهذه الرسائل :

لقد انتقينا إحدى عشرة رسالةً من رسائل الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، الأولى: رسالة المؤاخاة، في المؤاخاة والتربية وإظهار أسباب تحلف الأمة الإسلامية في هذا العصر، والثانية: سمية المحبة، في السلوك والتربية، والثالثة: سحرة من عاب عنه المطرب، في الفلسفة الإسلامية وإفدح الغمض بالمثل بين يدي خالقها رَحَباً أو رَحَباً، والرابعة: المرق بين الواردات الرحمانية والممكنة والنفسانية والشيطنانية وكلام في طريقة التصوف، والخامسة: رسالة إلى أهل سلا في فضل الصلاة على رسول الله ﷺ والحض عليها، والسادسة: وجوب اقتران ذكر رسول الله ﷺ بذكر الله تعالى وكلام في وجوب التزام الأدب، والسابعة: الإجارة الطرفية وشروط وأركان الطريق، والثامنة: الوصايا الكتانية، والتاسعة: سُنن السجدة وكُتُوف العباد، والعاشر: الأمل في علم الأمهات، والحادية عشرة: ثابته العرفانية المباركة، في المعارف والسلوك

وتُسَمَّى التسع الأولى هي بخط تلميذ المؤلف شارح «الجامع الصغير» في عشر مجلدات وغير ذلك الإمام العلامة المحدث الشريف أبي عبد الله محمد بن محمد بن المُعْطِي القُفْراني الإدريسي الحسي، وكانت في ملك عمه والدني شيخ الطريقة الكتانية العلامة الداعية إلى الله تعالى العارف بالله أبي الأنوار محمد بن محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني رحمه الله تعالى

— الرسالة الأولى :

وهي «رسالة المؤاخاة»، رسالة أرسلها إلى أعيان طريقته في مراكز مؤخياً بينهم، وراماً من بينهم الكلمة، على شروط وصعها لئمة المؤاخاة، مظهرأ أسباب انهيار ونصمصح الأمة المحمدية، هي رسالة في السلوك والإحاء، وفي السياسة، وتعتبر وثيقة تاريخية لحال الأمة الإسلامية في تلك الحقبة من الزمان، أي قبل الاستعمار

أما العلماء الذين آخى بينهم رضي الله عنه، فهم:

الإمام العلامة العارف بالله المؤلف المُجيد الشاعر النثر أبو الحس علي بن محمد بن عبد القادر الحسني العَدْلُوي الدِمَاشي ثم المراكشي، خليفة المؤلف في دُشانت، ترك نحو أربعين مؤلفاً في العلم والأدب والتصوف، وكان له دورٌ مُجيدٌ ضد الاستعمار

والإمام العلامة المحدث العارف الكبير أبو عبد الله محمد بن محمد بن المُغَطِّي العُثْراني، خليفة المؤلف بمراكش، وأستاذ الجامعة اليُوسُفية، له مؤلفاتٌ ورسائلٌ عديدة، وشمراً كثيراً في مدح النبي ﷺ ومدح المترجم وعائلته، وهو شارح «الجامع الصغير» للسيوطي في عشر مجلدات، وصاحب المؤلفات الحديثية والفقهية والتربوية الصوفية النخبة.

العلامة الفقيه النوازلي عبد السلام بن محمد بن المُغَطِّي العُثْراني الإدريسي الحسني، مفتي مراكش وعضو مجلس الاستئناف الشرعي الأعلى بالرباط، علامةٌ كبيرٌ مؤرِّخٌ داعيةٌ شاعرٌ نثر، وهو صاحبُ «اللؤلؤة العاشية في الرحلة الحجازية»، وهي الرحلة التي رحلها مع المترجم.

والإمام العلامة الفقيه شيخ الجماعة^(١) مراكشي أبو عبد الله محمد الصالح بن المدي العُثْراني الإدريسي الحسني السرخيني، وهو أحد مداح السلف الصالح في العصور المتأخرة.

والعلامة الجليل العارف بالله ذو المزية الماضية والصمير الحي محمد خير الدين التونسي. رضي الله عن الجميع.

(١) شيخ الجماعة لقبٌ يُعطى لمن بلغ البراعة في حفظ العلوم الشرعية وتلمذ له أحبُّ علماء بلده، وهي نصرٌ وثبةٌ شيخ الإسلام في المشرق

— الرسالة الثانية :

وهي «سفينَةُ المحبة»، في السلوك، والتركيب، والتربية، ألقها لجمعية القرب
على الله تعالى، وجعل لها أربع زوايا

— الزاوية الأولى: في الصبر.

— الزاوية الثانية: في الشكر.

— الزاوية الثالثة: في التوبة، وفصل فيها الكلام حول الذين يظلمهم الله تعالى
في ظله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله.

— الزاوية الرابعة: في الحياء.

وهي رسالة جامعة مانعة في الوصول إلى الله ختمها بقوله

«ولكن: إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبْسِ

وكنيت أردت أن أذكر محلَّ جزيانها، وبم تجري، ومن أين مبدؤها، وإلى
أين تنتهي، وما يرى راكبها في الطريق من النباير والمخاريف، لكن معني من
ذلك الضعف ونقص أن أريد من قيام المحبة هليكم بريادة البيان »

— الرسالة الثالثة :

وهي «نسخة من غاب عنه المطرب»، قال في أولها. «أردت أن أكتب رسالة
لنفس بقصد محاورتها ومناظرتها وإبداء حواراتها ومعايها وإصامي منها »

وقد جاءت محاورَة عجيبَة بين ذاته وروحه أو عقله وروحه، فلسفِيَة عميقة
بلسان جامع لذتي، حتى إنها احتوت على مواضع تشكل على من لم يتأملها
ويتحصنها لأول مرة. وقصده إقناع النفس من الناحية العقلية بمناصرة أوامر
خالقها عز وجل، وعبادته طوعاً لا كرهاً، فجاءت بحمد الله تعالى فريدة في
بابها ومضمونها.

— الرسالة الرابعة :

«الفرق بين الواردات»، تطرّق فيها لذكر الواردات الرحمانية والملكية والإسسية والشيطنية، والفرق بينها، ثم طريقة الاستحضار في الذكر وتطهير السطن، ثم طريقة التوجه في الذكر، وبعد ذلك طريقة التصرف في الكون، ومعرفة المستقبلات... إلخ ذلك.

وقد أرسلها إلى أئمة عارفين من أتباعه، فلا يقدرها إلا من بلغ مقامات عالية في المبدء، وقال في آخرها. «روح هذه المسألة التحرّد من العواشي البدنية، ومحو النقوش الكونية». ٤٠.

— الرسالة الخامسة :

«الرسالة إلى أهل سلا»، وهي رسالة إلى أناع طريفته في مدينة سلا بالمغرب (وهي مدينة كبيرة مجاورة للعاصمة الرباط، عرفت بالعرفقة والعدم، واستيطان الأندلسيين بها) يحضهم فيها على الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ، مستدلاً على ذلك بالأحاديث والآيات، مستعرضاً بعضاً من محاسن رسول الله عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام

— الرسالة السادسة :

«وجوب اقتران ذكره ﷺ بذكر الله تعالى، وشيعة في الأدب»، وهي جواب أرسله من مصر عام حجة ١٣٢١ على رسالة والده رضي الله عنهما، استدل فيها بالبراهين العقلية والعقلية على وجوب ما ذكر، ورد على من أنكر ذلك، ثم استدل لوجوب الترام الأدب والتخلق به، واتحاد شيخ تربية يمين عليه

وهذه الرسالة جعلها ردّاً على بعض أصحاب الطرق الصوفية الذين يذكرون الهيلة ثلاث مرات ثم يتبعونها بذكر «محمد رسول الله» مرة واحدة

— الرسالة السابعة :

«الإحارة الطرقية»، وهي إحارةٌ كتبها لبعض الأعلام الصالحين، ذكر فيها شروط الطريقة الأحمدية الكتابية، طريقته، وأركانها، ثم فصل في مسألة سحره صلى الله عليه وآله وسلم في الذكر، ومشرب الطريقة الكتابية في ذلك، ومشاهده وقد طبعت في مصر سابقاً، غير أنني لم أظفر بنسخة من طبعة مصر.

— الرسالة الثامنة :

«الوصايا الكتابية»، وهي وصايا كتبها لأتباعه يرشدهم فيها للمعامل والأدواء التي تقطع السالكين عن طريقهم، وميل إراحة الحجب عن لفتوب وتحببهم انغوال من آفات التكاسل والتواني عن طلب لمراتب لعبية

— الرسالة التاسعة .

«سفن لحاة وكهوف العباد»، وهي عهدٌ أحد عشر، عاهد عليها أتباعه وأمرهم بانسرام مقتضياتها، ويمكن اعتبارها تديلاً على «الوصايا»

— الرسالة العاشرة :

«الأمالي في علم الأمهات» والسحة التي اعتمدتها فيها هي لطعة عامسة الحجرية

وهذه الرسالة جواب أرسله إلى تلميذه العلامة أستاذ جامعة انقرويس الشيخ أحمد بن محمد بن الطبيب الغلالي الجاوزي الإدريسي الحسني، عن سؤال هو أن كثيراً من العارفين كل واحد منهم يذكر أنه أفضل الناس وأوسعهم معرفة بالله تعالى، وأن علم من قبله إلى علمه ككنا إلى كذا، وأن طريقته أفضل لغيري وأوصلها إلى الله تعالى، فكيف يثبت هذا التعارض؟

فأجابه الشيخ رضي الله عنه عن ذلك بهذه الرسالة، وذكر فيها علوم القوم العالية، ذكر منها بعضاً وتسعين علماً، ثم تطرق إلى مراتب القطبية والعوثية والحنفية وغيرها، ذكراً علاماتاً، متتبهاً في نهاية المطاف إلى مقدم الحنيفة الكبرى الذي دلت على حوله جمع من العارفين بالله تعالى، مثل الحكماء الترمذي والإمام الحاتمي وغيرهما. وأتى فيها بمباحث تحيّر الألباب

وقد بَشَّرَ - رضي الله عنه - في بعض رسائله أن هذه الرسالة سوف نشر في المشرق وسوف يعرف أهلها قيمتها

وأقول بأنه إن لم يعلم القاري معانيها، فإن فيها - مع ذلك - سرّاً عجبياً، وهو أن مدارك القاري تتفتح وصدرة تنبع بشكلٍ كبيرٍ للحقائق، وبالأخص خلاف أهل السنة من المتكلمين وأصحاب الحديث، في الاعتقاد وغير الاعتقاد، ويصبح المرء يرى المسألة الواحدة بملاحظ ووجوه كثيرة، ومن أنكر فليجرب

— الرسالة الحادية عشرة :

وهي قصيدته اثنتا عشرة ألفاً في مئة وثلاثة عشر بيتاً، صنفها علوماً حتمية بلسان القوم، وقد استعصت على كثير من العارفين، وقام بشرحها بعض أتباعه من العلماء الكبار لم يحصرني اسمه الآن، وقد قامت عليها صيغة كبيرة بين موفقي ومحالفي لها فيها، وهي من أسباب محبة المؤلف المزاكشية، وقد ألهمها وحمزه ٢١ صماً فقط، أما تحقيقها فقد قمت به أنا وشقيقي المهندس الباعة محمد «حسين» - حفظه الله تعالى - على عدة نسخ، منها النسخة المطبوعة بالمطبعة الحنبلية، ونسخة بخط نجل المؤلف الشيخ محمد الباقر الكتاني ونحيمه لها^(١)

(١) مراجع البحث والترجمة

١ - «ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد» لجله الإمام محمد الباقر الكتاني، واعتمدت عليها اعتماداً كبيراً حتى إنني نقلت بعضها باللفظ وهي نفسها المسماة: «بلوغ الأماني» -

* حملنا في تحقيق هذه الرسائل :

- ١ - قمت بانتساخ المخطوطات من الأصل - الذي هو بخط كوفي معربي - إلى الخط المشرقي
- ٢ - زودت النص بعلامات الترقيم من فواصل ونقاط وغيرها
- ٣ - قسمت النص إلى عناوين شارحة ومهمة له
- ٤ - قمت بالتعليق على بعض المواضع وتفسير بعض الكلمات غير المعروفة
- ٥ - قمت بعرو الأبيات وأقوال العلماء إلى مصادرها ما أمكن
- ٦ - قام أخي غسان أبو صوفة بتخريج الأحاديث الواردة في المتن وعروها إلى مصادرها الأصلية ما أمكن وذلك في أربعة من هذه الرسائل، وهي سمينة المحبة، ومسحة من غاب عنه المطرب، ورسالة المؤاخاة، ورسالة اقتران ذكر رسول الله بذكر الله تعالى، والباقي قمت بمعزدي بتحريجه وخدمته بعون المولى تعالى

٢ - المظهر السامي في السب والطريقة الكتابية للإمام الحافظ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني

٣ - رياض الجنة وهو مصحف شيوخ العلامة المسند عبد الحفيظ بن الطاهر العاسي المهري

٤ - «الذولة العاشية في الرحلة الحجازية»، تأليف شيخ الجماعة الإمام عبد سلام بن النمطي العمراني، وغيرها

وقد أفرقت سيرة المترجم وطبي الله عنه بأكثر من أربعين مؤلفاً وترجمت ضمن ثمانين مصدراً، ذكر جميعها أو أغلبها سجله الشيخ محمد الناصر الكتاني في كتابه «داح بمرضع بانجوهر الفريد» في ترجمة فليخ الإمام محمد الكتاني للشهيد، الواقع في ثلاث مجلدات.

ولا أسى أن أشكر حالي وشيحي العلامة المدرس النفاع الأستاذ بجامعة
الحسن الثاني بالنار البيضاء سيدي بدر الدين بن عبد الرحمن بن محمد السقر
الكتاني الحسي، الذي سهل علي الوصول إلى كافة المخطوطات والأطلاع
عليها، مع إعادتي بجميع المعلومات عن جدنا الإمام أبي العيص رضي الله عنه
وطريقته خاصة، ومختلف العلوم والمعارف عامة، فجزاه الله عني كل خير

والحمد لله رب العالمين

وكتبه سبط حميد المؤلف

الشريف محمد حمزة بن محمد علي الكتاني

١٣ من محرم الحرام سنة ١٤١٩ هجرية

بعمّان الأردن من بلاد الشام

حرسها الله تعالى

النفائس الكتانية

١

رسالة المؤاخاة

تأليف

الإمام أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني

المستشهد بفاس سنة ١٣٢٧ هجرية

رضي الله تعالى عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا ومولانا أحمد، وآله وصحبه وسلم

الله جلّ مجده أحمد، وأصلي وأسلم على بيته سيد ومولانا أحمد، وعلى
آله وصحبه الركن الشّجّد.

من محمد بن الشيخ عبد الكبير الكتاني إلى إخواننا في ذات الله تعالى،
وأصفيائنا من أجله، وأودائنا وأصيارنا في جانب الله تعالى ورسوله الكريم
الأسنى: الكبريت الأحمر^(١) مولاي علي النعماني، والعارف بالله تعالى سيدي
محمد بن اسمعطي العنبراني، وبقية السلف وبركة الحلف سيدي الصالح،
والمشارك المتفهم الفارس النحل سيدي عبد السلام، العمراني، وشعلة الدكاء
وبراس البهاة وقطعة النور، العضد سيدي محمد حير الدين، إني أحمد إليكم
جلال الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد

(١) الكبريت الأحمر: هو مصطلح من كل شيء نادر الوجود، وفي لسان التصوف، إشارة إلى
مقام الختمية، ولست أدري مقصود المؤلف هنا، رضي الله عنه، علماً أن مقام الختمية
يُتدرّج ويتعدّد. كما فصله نحل المصنف، العارف بالله الشيخ محمد الباقر الكتاني في
كتابه 'الروضة الندية، في إثبات السقي من الحقيقة الأحمدية، بما لا يوجد في غيره،
وهو مخطوط

[المقدمة]

قد علمتم إخواني أن شمس الدين اليوم كُورِت، وسجوفها انكدرت،
وجباله سُيرت، وعشاره عطلت، وبعوس العالم رُوجت، كل انتظم إلى هواء،
وصحف لصمائر والأسرار نُشرت، وسماء المعالي واقتنائها والمعاني واكتسابها
وادحارها كُشِطت، وإذا الجحيم سُمرت، جحيمُ الجهل بالله تعالى وبرسوله
الكريم، وجحيمُ العوائد الرديّة والأعراف المحالفة للسنة الطاهرة العراء البلجاء
التي لا يربح عنها إلا هالك! سمرت وأضرمت وشيت نيرانها وتوهجت وقامت
في كل ربيع وحي

وانتم أصهركم الحق حلّ قدسه في هذه الطائفة الكتانية^(١)، والدس مُشرثون
إيكم اثرتاب الهيم إلى الورود، فإني أردت أن أواحي بيسكم في دت لله جن
قدسه، ونكون مؤاخاتكم على نظري لا على نظركم، فأنبهوا إليّ، وخُطّوا
رواحلكم بين يدي، وأعطوني الطواحيّة والانقياد من أنفسكم طلق الطن^(٢)

[شروط المؤاخاة الدينية]

وشروط المؤاخاة الدينية أن أقول.

وأه جلّ عدله أتمكم على نبليغ شرعه إلى أعليه، وجعلكم أوهية لحمد،
ومكنكم من الإفصاح والنبياح عما استحفظكم، وأعطاكم فسحة من عر تمشون
بها في الناس، وأعطاكم مقابله النعوذ فيهم

(١) إشارة إلى الطريقة الأحمدية الكتانية التي هو مؤسسها رضي الله عنه، وكان لها دور مهم
في التعليم والتوعية الدينية والسياسية والجهادية في القرن الرابع عشر واستد أنبها من
السررب إلى جاوا

(٢) أي بجميعكم ظاهراً وباطناً

فما عذرکم مع الله سبحانه ومع رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله، ومع أملاكه الكرام، ومع العلم الذي حُملتموه، ومع الإنسانية التي بها عرفتم، ومع تطويق الخلافة عن أهل الله سبحانه مما اتموكم على أصحابهم ومريدتهم وتلامذتهم في هذا التفاعد والتكاسل والعجز، وعدم النهضة الإيمانية، وعدم القيام على ساق في النصح لعباد الله وتذكيرهم بأيام الله، وعدم إرشادهم ودلائتهم على الله تعالى، والسكوت والمحابة، والتبس بالأعراس الشخصية، والتدريج بالأحوال الطبيعية، وعدم النهضة لله بالله مع الله في الله لا لأمر بشائي أصلاً و [لا] لمحبة محمداً ولا ليقال ولا لقصد ثواب ولا حظ أحروي؟

[المساواة والعدل]

وصورة الأحوال التي أعفد بيسكم عن إدن إلهي محمدي أن تتحدروا كنكم عن الأحوال الشخصية والأعراس الطبيعية، وتحركوا حركة إيمانية وبهمة روحانية بفضلكم بعضاً، وتكونوا في الحق سواء.

وكد عمر رضي الله عنه وقاماً عند كتاب الله تعالى، لا يكر بكم عاب ولا مار، ولا مقدم ولا مؤخر، ولا شريف ولا عالم، ولا رئيس ولا متعل، بل كوبر في الحق سواء ﴿قَوْمِينَ بِالْأَفْطُ شَهَدَاءَهُمْ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [الباء ١٣٥]

أمر سبحانه عبده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقط؛ أي العدل، فلا يعدلوا به بعباً ولا شمالاً، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يصرفهم عنه صارف، وأن يكونوا متعاونين متساعدين متناصرين به

[الإخلاص في الدعوة إلى الله والنصح]

وقوله سبحانه: ﴿شَهَدَةً قَوًّا﴾ هو كقوله جل ثناؤه: ﴿وَأَقِيمُوا أَشْهَادَةً لِلَّهِ﴾ [الصلاق ٤٢، أي: أدوها ابتغاء وجه الله، فـ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾

[التقصير: ٨٨]، أي كل شيء ابتغي به غير وجه الله هالكٌ مصحجٌ لا أثر له ولا نورٌ ولا تهذيب للنفس يصحب فعله، ولا نتيجة بعدها المكلف من النفس بفعله، إذ الشرائع كلها أدويةٌ روحانية، وطبٌ إلهيٌّ للأمراض الحاصلة للأرواح والعقوب، والنموس والأسرار، وإنما سقاء حل اسمه هالكاً لأنه لا أثر له في الوجود ولا في نفس العامل ولا في الواقع، ولا يجد له المكلف نعمة يوم التعاقب. ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [التقصير: ٨٨]، أي إلا ما ابتغى به وجهه جل سناء

فإذا أدبت الشهادة ابتغاء وجه الله كانت صحبة خالصة من التعريف والتبديل ولكمراة وفق ذلك، قال جل علاه ﴿وَلَوْ عَلَيَّ أَنْفُسُكُمْ﴾ أي أشهد الحق ولو عاد صرره عليك، وإذا سئلت عن الأمر فقل الحق فيه ولو عاد صرره عليك.

[لا يحدث من الصدع بالحق ضرر أصلاً]

ولا يحدث من الصدع بالحق ضرراً أصلاً؛ لقول الله جل محده ﴿إِنْ تَصُرُّوا أَفْئَةً يَخُذْكُمْ﴾ ولم يقل سبحانه: يخذلكم، ﴿وَبَيَّنْتَ أَفْئَاتَكُمْ﴾ [محمد: ١٧]، ولم يقل سبحانه: ويرلرل أقدامكم فالوهم والخيال سح هذه الآية الكريمة وأشباهها

وهي الحقيقة محبباً المترلة في قلوب الخلق وحب المحمدة والعلو في الأرض هو الذي سبحانه، فلذلك لم ينصر الله ولذلك لم ينصروا، ﴿وَيَصْرِكُ اللَّهُ مَنْ يَصْرِكُهُ﴾ [الحج: ١٠].

يتوهم أهل الحجاب أن أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المكر يُسقطهم من ثبوت الخلق، وهو وهمٌ كاذب؛ إذ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام والورثة الكاملون لم يسكتوا طرفة عين عن النصيح للخلق كافة، لكن مع لسياسة لعادلة، شرعية، فتتج نصيحهم وقيل رشدهم، وصار محلاً للمقبول

بما كان قصدهم بالهي عن المكر حفظ الأمة، والأحد برسم الشهوات
والشبهات في الدين، فرَدُّوها كما تُردُّ جِمَاحُ الخيلِ باللُّجَمِ

وكان قصدهم: امتثالُ أمرِ الله جلَّ قُدْسُهُ بما طوقهم من حسنِ الرعية في
الرعية والقيام على حفظها عن أمرِ الله سبحانه

وقد بلغ الخاتم الماحي - صلواتُ الله وسلامه عليه - من النصيح وردُّ
الشوارد وقمع الأواند إلى حلالِ الربوبية إلى أن أسلم شيطانُه صوتَ الله
وسلامه عليه، فصار لا يأمره إلا بخير^(١)، وللعلماء الوارثين حظُّ من هذا الباب
أيضاً، فإذا لم يرثوا موروثهم في المراتب الأربع فما ورثوه: الورث في
الأقوال، الورث في الأفعال؛ وهذا هو مجموع كتاب الشماثل، الورث في
الأحوال، الورث في المنازلات؛ وهذا هو مجموع منازل السائرين

أما ورث البوَّة في الأحوال والممارلات فهو أقسام في البدايات، وهي
ابقطة والتوبة، والمحاسبة والإنابة، والتعكُّر والتذكر، والاعتصام والبرار،
والرياسة والسماع

وهي الأبواب وهي الخُرن والحواف، والإشفاق والخشوع، والإحبات
والرهدة، والورع والتبتل، والرجاء والرغبة

وهي المعاملات وهي الرعاية والمراقبة، والخُرمة والإخلاص، والتهذيب
والاستقامة، والتوكل والتفويض، والثقة والتسليم

وهي الأخلاق وهي الصبر والرضى، والشكر والعبادة، والبصدق والإيثار،
والحُلُقُ والتواضع، والعتوة والانباط

وهي الأصول وهي انقصد والعزم، وإرادة والأدب، واليقين والأنس،
والذكر والمعر، والعين ومقام المراد

(١) كما أخرج ذلك مسلم في «صحيحه» (٢٨١٥) من حديث عائشة بنت الصديق رضي الله عنها

وفي الأدوية وهي الإحصان والعلم، والحكمة والبصيرة، والمروسة
والتعظيم، والإلهام والسكينة، والطمانينة والهمة

وفي الأحوال، وهي المحبة والعيرة، والشوق والقلق، والعطش ولؤخذ
والدهش والهيجان، والبرق والذوق

وفي قسم الولايات: وهي اللحظ والوقت، والضما والسرور، والسر
والنفس، والغربة والاستعراق، والميئة والتمك

وفي قسم الحقائق: وهي المكاشفة والمشاهدة، والمعاية والحب،
والعص والبسط، والسُكر والصحو، والاتصال والانفصال

وفي قسم النهايات: وهي المعرفة والعناء، والبقاء والتحقيق، والتدبُّس
والوجود، والتجريد والتضريد، والجمع والتوجيه^(١)

هذه عشرة أصول في كل أصل عشرة مقامات، هي مائة منزل إذا أُلقيت
بالك للأحاديث النبوية، وتجردت عن علوم الكسب^(٢)، وتحليت عن الرسوم،
واستطعمت ربك جل جلاله، واستكسونه واستسقيته. يطعمك ويكسك ويسفك،
يبداه مبسوطتان يفوق كيف يشاء

وليقبل كل عبد عند إرادة العلم أو التعطش للعمل يا هادي هدا لما
اختلفوا فيه من الحق بإدراك، بقلب قوي ولسان روحاني، ولسان الافتقار

(١) انظر في ذلك كتاب «مزار السائرين» بين مراتب إياك عبد وبياك مستجير» شرح لإسلام
أبي سماعيل الهروي وشرحه مداوي السالكين شرح مزار السائرين للإمام المعاصي شمس
الدين ابن قيم الجوزية

(٢) أي وصفت إلى معاني الألفاظ دون الضاع بين اختلافات العلماء فيه ومصادره خلافهم.
وليس في هذا دعوة إلى الإعراس من العلم والعلماء، وحاشا، بل من صرح المؤلف
رعي الله عنه الدعوة إلى العلم

وإدانة، يجد الأثر في نفسه حالاً، فإن الله سبحانه حيي كريم يستحي د رفع عبده يديه إليه أن يردهما صفراوتين^(١)

[الرسول ﷺ كان يتكلم في منازل الكمال]

نجد صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله يتكلم في هذه المنازل ويحوص حُبابها، وينوع أفانين التأديب والتهذيب والإرشاد على حسب انشراح لها والدلالة عليها، إذ هي المنازل التي سار عليها الساترون إلى معرفة ربهم سبحانه

فأحب أن تبحثوا عن «منازل الساترين» للإمام الهروي، كتاب صغير الجزم عظيم الجدوى والعائدة، وإن لم يوجد هناك فكانتونا عليه، واحتموه فيما بينكم لمرة بعد المرة، وتكلموا فيه حسبما يهكم واهبُ الجود جلُّ أمره

وتكون المذاكرة مساوية لا مهابية، كما كان الصحابة لكرام، فإن الأمر جدٌ ولناقد بصير، والعلماء إذا لم يرثوا سيهم ومتبوعهم صلى الله عليه في هذه الأحوال فليما يرثون! لم يبق إلا الأعراض والشوائب، والمحطوط وإريسات التي لا تسم ولا تسمي من جوع، ولا يحصل الإنسان منها ثمرة ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ غَيْرِ مُخَضَّرًا﴾ (آل عمران ٣٠)، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (إِنَّمَا إِلَهُ الْإِنسَانِ إِلَهٌ وَاحِدٌ) [الشراء ٨٨-٨٩]، أي مما سواه جلُّ سلطانه

وكل من يقوم مع حظوظ نفسه وشهواته وأغراضه فقد أهمل الإنسانية وأصاعها، وكل من لا إقدام له على المعالي والمعاني وانتجرد عن الأحوال الشخصية لم يظهر شرفاً إنسانيته، إذ من خاصية الإنسانية الشهمة والإقدام، بل من خواص الحيوانية أيضاً

(١) يشير إلى حديث: «إن ربكم حيي كريم، يستحي من عبده أن يرفع يديه إليه أن يردهما صفراً خائبتين»، أخرجه الترمذي (٣٥٥٦) وقال: حسن غريب، (١٤٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٥) عن سلمان رضي الله عنه

[من أسباب تقدم الأجانب]

وقد عنيتم ما وصل إليه الأجانب اليوم من العود في العالم، فلما وصلوا لدنك بأمور، ومنها الحرية - التي عبر عنها الشرع الكريم بالقسط - وعدل وانصاح، وعدم المحاباة، والقيام في كل موطن وما يقتضيه، ومعرفة كل مصب وما يطله، وعدم إهمال بعضهم بعضاً، ومعرفة حق من ظهر فيه أدنى نبوغ وتيقظ، وعدم إهماله حقاً، وعدم رفضه. بحلاف غيرهم

[من أسباب انحطاط الأمة : إهمال من نخ فيهم]

فمن من أسباب انحطاط الأمة الإسلامية في كل صقع إهمال من نخ فيهم كاتباً أو شاعراً أو مشيراً، أو صانعاً يحسن صفة النحيص أو البه أو الأوسي أو الشيب، أو صاحب صوت حسن، أو تعاض إلى لخلق يرموه رمية واحدة عن قوس واحدة ولم يكن صدر الإسلام كذلك

[من أسباب الانحطاط : عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

ومن أسباب انحطاط الأمة أيضاً عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واشتروطوا به شروطاً قل أن تنفق، فمروا بمساعي الشرع بتلك الشرائط، والله سبحانه يقول ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَهُودَ عَلَىٰ السَّادَةِ الْأَرْضِ﴾ [هود ١١٦]، وقال بعد أن قسم بني إسرائيل مرقاً ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُنثَىٰ إِنَّمَا مَنَّمُنَا آلَ اللَّهِ مُهَيَّئِينَ لِّمَعْدَةٍ شَدِيدَةٍ قَالُوا مَعْزُورَةٌ إِنْ رُبُّكُمْ إِلَّا رِجْزٌ وَلَعَلَّهُمْ يَنْشُقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا دُعُوا رَبَّهُمْ أَلْحَسَا الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف ١٦٤-١٦٥]، وطائفة أمرت ونهت بحده سبحانه

وطائفة نهت من بهن عن المكر وقالوا ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْآيَاتُ مِن قَبْلُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأعراف ١٦٤]، وطائفة لم تأتمر ولم تنته، فأهلك الله جل سلطانه الطائفتين ﴿وَأَحَدًا الذِّكْرَ ظَنَّمُوا يَمْذُوبٌ

يَعِيبُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ طَمَأَ عَتَوَا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ فَلَمَّا هَمُّوا كُتِبَ لَهُمْ مَقَرٌ وَمِنْهُمْ قَوْمٌ مُبْتَلَوْنَ ﴿١٦٦﴾ [الأعراف: ١٦٥-١٦٦]، ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّلْمَايِنِ يَذَّيَّبُ بِهَا وَمَا جَلَّهَا وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة ١٦٦]، مع أن الله وقع عن المكروه ومن السوء وعن ترك المدحوب وعن ترك السس

وَأَم قَوْلُهُمْ فِي بَابِ الْجِهَادِ وَفِي آخِرِ الْبُيُوعِ الْعَاسِدَةِ «لَا يُكْرَ إِلَّا مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ» أَي مَعَ الْإِلْرَامِ وَالتَّحْتِيمِ، وَأَصْلُ هَذَا الْكَلَامِ لِعِيَاضٍ أَوَّلُ «الْإِكْمَالِ»^(١)، وَنَحْوَهُ لِلْإِمَامِ السُّوَيْ مَدِينِيًّا كَلَامَ عِيَاضٍ قَائِلًا: «أَمَّا لِمُخْتَلَفٍ فِيهِ فَلَا إِنكَارَ، وَلَيْسَ لِلْمَعْتَى وَلَا لِلْقَاضِي أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَيْهِ مَا خَالَفَهُ، إِذَا لَمْ يَحْتَالَفْ بِهِ الْقُرْآنُ أَوْ أَسَنَةُ أَوْ الْإِجْمَاعُ»^(٢) وَيَقُلُّهُ فِي «سِرِّ الْمُهْتَدِينَ»^(٣)، وَرَادُّ الْمَوْثِقِ فِي «شَرْحِ الْمَحْتَصَرِ»^(٤) عَنْ الْقُرَافِيِّ وَهَذَا الدِّينُ نَحْوُهُ، وَهُوَ مُشْكَلٌ

لَأنَّ فِي الْمَذْهَبِ مَسَائِلَ صَرَّحُوا فِيهَا بِالْأَدَبِ مَعَ شَهْرَةِ الْخِلَافِ فِيهَا، بَلْ صَرَّحُوا بِاتِّدَابٍ فِي فِعْلِ الْمَكْرُوهِ، وَذَكَرَ الْحَطَّابُ فَقَالَ بَعْدَ ذِكْرِ «خِلَافٍ» فِيهِ: «فَالظَّاهِرُ أَنَّ لَا مَعَارَضَةَ، وَأَنَّ مَنْ وَاضَّظَ عَلَى تَرْكِ السُّسِ وَعَلَى فِعْلِ الْمَكْرُوهِ فَهُوَ الَّذِي يُؤْذِبُ وَيَجْرِمُ، وَمَنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ مَرَّةٍ لَمْ يُوْذِبْ». اهـ

وَقَالَ الْإِمَامُ الْمَارَزِيُّ أَوَّلُ كِتَابِ الْإِيمَانِ مِنْ «الْمُعْلَمِ» مَا نَصَّهُ: «وَالْتِمَادِي عَلَى تَرْكِ سَائِرِ السُّسِ مَذْمُومٌ يُوجِبُ الْأَدَبَ عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ» اهـ

وَبِهِ يُعْلَمُ مَا فِي جَوَابِ فِي «الْمِغْيَارِ» لِمُؤَلِّفِهِ وَنَصَّهُ: «وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يَتَعَلَّقَانِ إِلَّا بِمَوَاجِبٍ أَوْ حُرَامٍ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ» اهـ وَبِهِ

(١) «الْإِكْمَالُ» لِلْقَاضِي عِيَاضٍ (١: ٢٨٩).

(٢) «شَرْحُ مُسْلِمٍ» لِلْإِمَامِ السُّوَيْ (١: ١٩٢).

(٣) «سِرِّ الْمُهْتَدِينَ» لَأَسِ الْمَوَاقِفِ ص ٥ مِنْ الْمَلْرَمَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ طَبْعَتِهِ الْعَاسِيَةِ الْمَطْبُوعَةِ سَنَةِ ١٣١٤ هـ.

(٤) لَمْ أَجِدْهُ فِي شَرْحِهِ الْمُشْتَقَّى بِ«النَّجَّاحِ وَالْإِكْلِيلِ»، وَرَبَّمَا هُوَ فِي الشَّرْحِ الْكَبِيرِ لـ

ليس بظاهر إن قلنا إنه يؤذّب على فعل المكروه وترك المس، لأن الأمر وإنهيه
باللسان أحق من التأديب

مع أن كلام الأبي في شرح مسلم^(١) يعيد أنه لا خلاف أن ذلك مطبوع،
فإنه إنما حكى الخلاف في الوجوب فقط، ويأتي لمطه على الإثراء، وقد وقع
الشيء عن المكروه وتكرر في زمن الصحابة فمن بعدهم

وهي «الصحيحين» أن أبا سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أنكر على
مروان تقديمه الجمعة على الصلاة في العبد^(٢) قال في «الإكمال» «وقوله» لا
تأثرون بحير مما أعلم» تصريح بالحق وإن لم يكن في الواجبات» هـ ونقله
الأبي في «إكمال الإكمال» وقال عقبه «قلت» اختلف في وجوب التعبير
لمعاملة المتدوب^(٣)

وقد أمر النبي ﷺ وعلى أنه حسبما في أصح الصحيح أن يقال لمن يشهد
الصلوة في المسجد «لا ردها الله عليك»^(٤)، وفي «الصحيحين» وغيرهما أن سيد
عمر قان لسيدا عثمان رضي الله عنهما حين تأخر يوم الجمعة عن التهجير أياه
ساعة هذه^(٥)، ثم قال له ثانياً^(٦)

(١) «إكمال إكمال المعلم» (٢٥٢: ١)

(٢) «صحيح البخاري» (٩٥٦)، «صحيح مسلم» (٨٨٩)

(٣) شرح الأبي على مسلم المسمى «إكمال الإكمال» (٢٦٢: ٣)

(٤) مسلم (٢٥٤)، واختلف المخاربة في أي الصحيحين أفضل

(٥) انظر البخاري (٨٧٨)، ومسلم (٤٠٤)

(٦) بعد هذه الجملة، كلام لا علاقة له بالنباي حديثه، ونصه، «والروضه أبعاء»، «وس على
متصل بالرواج، ولو لم تلزمه، وأعاد إن تغدى أو نام اختياراً، إلا لأكل حبة» وهي من
مختصر خليل

وفي «الصحیح» عن أنس عباس رضي الله تعالى عنهما كتب أنصرت
الناس مع عمر رضي الله تعالى عنهما على الصلاة بعد صلاة العصر^(١) وفيهما
أيضاً قول عمر للرجلين الذين كانا يرفعان أصواتهما في المسجد لولا أنكم
عريسان لأوجعتكما ضرباً^(٢)، وفي «الصحیح» أيضاً قول سيد عمر سيد
عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهم عند نفسه وهو محرم ثوباً مصروعاً
ما يكره للمحرم نفسه ولا يحرم «إنكم أئمة يقتدى بكم»^(٣)

وفي «المعيار» نفسه عن «المدخل» «وردت السنة أن من يكرم الميت
تعيين لصلاة عليه ودونه»^(٤)، وقد كن بعض العلماء رحمه الله تعالى يحافظ
على السنة، إذا جازوه بالميت إلى المسجد صلى عليه قبل الخطبة ويأمر أهله
أن يخرجوا إلى دفنه، فجراه الله حيراً عن نفسه وعلى محافظته على السنة

فلو كان العلماء ماشين على ما مشى عليه هذا السيد العيور؛ لانسدت هذه
الشمة التي وقعت، وهي أن من أحدث شيئاً سكت عنه فتريد الأمر بدفعه،
فإنا لله وإنا إليه راجعون

ونقل كلام صاحب «المدخل» غير واحد من شراح «المختصر» وسلموه كما
سلمه صاحب «المعيار»، وبه يُعلم ما في كلامه المتقدم

وقد وصل الحال من سكوت أهل العلم إلى أن صار الكفرة المعجرة يعلمون
المسلمين ما يصلحهم في طريق دينهم ومعاشرهم، ولا أقل إن أصابت [أهله
الداخية] من الهوى عموماً، فلا أقل من نفس الإنسان وأهله وعشائره وتلامذته

(١) البخاري (١٢٣٣)، ومسلم (٨٣٤) بمعناه

(٢) البخاري (٤٧٠)

(٣) سم أجده لفظه، وهو بهذا المعنى وفريق من هذا اللفظ في «الموطأ» (١/٣٢٦)، وفيه ذكر
طلحة بن عبد الله بدل عبد الرحمن بن عوف

(٤) كلام ابن الحاج في «مدخله» (٢٦٨.٣)

ومن يدخل تحت حكمه ونفوذه، وقد جعل جل شأنه إثم الساكت أعظم من إثم
الفاعل في القرآن

وكثيراً ما ينظر الإنسان المريد يدخل الراوية على غير نظر السنة فلا يحدث
في نفسه أدنى انزعاج ولا حزارة ولا حدة ولا عصب إلهي إذ حالف أمره سبحانه
وبما ترى إذ رأيته أساء الأدب علينا لكنا كذلك! لا والله، بل يثمر وجهها
ويثرثك^(١) وبذلكنا لسنا غضباً وبعد ذلك من العصب لله، والحال أنه حال شخصي
يعود على دأنا بالنفع الذي هو أشبه شيء بالسراب لا أثر له ولا وجود في الخارج

[التناصح بين الإخوان لله]

وفي الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه ثباتاً لما جئت به»^(٢)
فيعلم الإخوان كيف الدخول للمسجد والحروح منه، وأوراد الدخول والخروج،
وكيفية الدخول للمنزلة، وأي الرجلين تقدم، وفي الدخول للمرحاض

وكثيراً ما ترون المؤذن يؤذن ثم يقيم الصلاة هير، وفي الحديث «من
أذن علينا»^(٣)، وكثيراً ما ترون المأموم يبادر الإمام في الصلاة ولا يثنى مع أنه
من الكائن، وقد نوعد عليه الشارع بالمسح فقال «أما يحسن أحدكم إذا رفع
رأسه قل الإمام أن يحول الله رأسه رأس كلب أو رأس حمار»^(٤)، وكذلك

(١) يتميز ويختلف

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخه (٤: ٣٦٩)، وابن أبي حاتم في السنة (١: ١٢٠)، والبخاري
في شرح السنة (١: ٢١٢). صححه أبو نعيم والنووي، وضعفه ابن رجب

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٩) وضعفه عن زياد بن الحارث الصدائي رضي الله عنه، وأبو داود
(٥١٤)، وابن ماجه (٧١٧)، وأحمد في المستدر (٤: ١٦٩). وحسنه الحارمي وقواه
العقيلي وابن الجوزي. والعمل عليه كما هو الترمذي عند أكثر أهل العلم

(٤) أخرجه البخاري (٦٩١)، ومسلم (٤٢٧)، وأبو داود (٦٢٢)، والترمذي (٥٨٢)، والنسائي
(٢: ٩٦ برقم ٨٢٨)، وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه

التلميد إذا رفع رأسه قلّ إمامه لا يأمن أن يحول الله رأسه رأس كلب أو رأس حمار كما في الحديث

وكثيراً ما يُرى المؤدّن يساوي الإمام في الكبيرات ولا يُهَيّ، مع أن السنة أن لا يبدأ المأمومون عموماً بالكبير إلا بعد فراغ الإمام من التكبير، وهو فائدة التعقيب بالعاء في قوله: «إنما جُعِلَ الإمام ليؤتم به، فإذا ركع فاركعوا، وإذا سجد فاسجدوا»^(١)

[بعض مزايا الطريقة الكتانية]

وحُلّ الإحوان لا يعرفون أن مما امتازت به الطائفة عشر تسيّحات في الركوع والسجود لا بد منها، وهو السنة كما في «سنن أبي داود»^(٢)، وأمّا ما في كتب المذهب في مسألة الطعنانية والاعتدال فليس بمحرراً وإني شارح في كتاب «الصلاة» على الشرع المعصّر الطري، لا الآراء والأقوال والاحتلالات التي توارث عندها شمس النبوة وأقمار الرسالة

ومما امتازت به أيضاً طولُ حاصِر بعد الرفع من الركوع وبين السجدين كما في «الصحيح» من قول أنس «كان صلى الله عليه يظبل في لموصعين حتى يقول إنه قد سبي، أو يقول إنه قد أوهم، أو يقول إنه قد مات»^(٣)، وتعمين الفقهاء بنظرون بمحل لم يُشرع به على الأظهر لما بعد الرفع من الركوع مصدمة لسنة، وهي سنة تركها جميع الحلق، فليُعدّوا لتركها جواباً!

(١) أخرجه البخاري (١١١٣)، ومسلم (٤١١)، وابن ماجه (١٧٣٩)، وأحمد (٢٣٠ ٢).

(٢١٤، ٤١١، ٤٣٨)، وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) برقم (٨٨٨) عن أنس رضي الله عنه، وأخرجه أيضاً النسائي في «الكبرى» برقم (٦٣٤) رجال إسناده كنهم ثقات إلا أنها يريد الصماني، قال أبو حاتم: صالح للحديث، وقال النسائي: ليس به بأس

(٣) الحديث بالمعنى، وانظر بمعناه في مسلم (١٩٦)، وأحمد (٢٠٣، ٣)، بلقظ «أوهم» فقط، وفي أحمد (١٦١ ٣) بلقظ «أنسى» فقط

[الاهتمام بمسائل المعاملات]

وَحُلُّ الإِحْوَانِ لَا يَعْرِفُونَ أَحْكَامَ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَالْبُيُوعَاتِ الْعَاسِدَةِ، وَأَحْكَامَ الرِّبَا، وَلَا يَأْكُلُ الْإِنْسَانُ أَكْلَةً إِلَّا حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، مَعَ أَنْ مُحَارَبَةَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ هَدْمِ لُكْمَةٍ مِثْلَةِ أَلْفِ أَلْفٍ مَرَّةً، وَلَا مَقْهُومٌ لِلْعَدَدِ مَعَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَنْوَاحُ مَا أَنْ يَرَى أَكْثَرُ شَخْصٍ فِي الدُّنْيَا يَهْدِمُ الْكُمَةَ وَلَا يَعْصِي اللَّهَ وَلِرَسُولِهِ وَلِدِينِهِ، وَلَا شَرَفَ تَعَبٍ فِي الدُّنْيَا، فَكَيْفَ بِالرِّبَا؟! وَهِيَ مُحَارَبَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ جِسْراً

تَدَارَكُوا أَخَذَ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ (١) - وَحُصُوصاً مِنْ اسْتِزْعِجْتُمْ بِالصَّبِيحَةِ وَهُمْ الْإِخْوَانُ فِي الرَّأْيَةِ - ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّذِينَ عَلِمْتُمْ أَوْ الْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَآفَاقُهُ أَوَّلُكُمْ بِهِمَا﴾ (الباء ١٣٥)، أَيِ وَلَوْ كَانَتِ الشَّهَادَةُ عَلَى وَالِدَيْكَ وَفَرَاتِكَ فَلَا تَرَاعَهُمْ فِيهَا، فَإِنَّ الْحَقَّ حَاكِمٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ

[العدل بين الناس والإنصاف]

وَقَوْلُهُ ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَآفَاقُهُ أَوَّلُكُمْ بِهِمَا﴾ أَيِ لَا تَرْعَ (٢) لِعَمَاءٍ وَلَا تَشْفَقْ عَلَيْهِ لِفَقْرِهِ فَإِنَّهُ أَوَّلُنِي بِهِمَا مِنْكَ، وَأَعْلَمُ بِمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ، ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ (الباء ١٣٥)، أَيِ لَا يَحْمِلْكُمْ الْهَوَىُّ وَالْعَصِيَّةُ وَبَعْضُ النَّاسِ إِلَيْكُمْ عَلَى تَرْكِ الْعَدْلِ فِي أُمُورِكُمْ وَشُؤُونِكُمْ، بَلِ ارْمُوا الْعَدْلَ عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاكُُنْ أَنْ تَنْفُسَ قَوْمٍ﴾ لَكُمْ ﴿عَلَى الْأَعْدَاءِ﴾ أَيِ لَا يَحْمِلْكُمْ نَفْسُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ تَحُورُوا عَلَيْهِمْ، وَلَا تَجَاوِزُوا الْحَدَّ فِيهِمْ، بَلِ اعْدِلُوا فِيهِمْ وَإِنْ أَسَاؤُوا عَلَيْكُمْ، وَأَحْصُوا إِلَيْهِمْ وَبِالْعَدْلِ فِي إِحْسَانِكُمْ، فَهُوَ حَطَابٌ عَامٌ ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (الباء ٨)

(١) أَيِ طَرِيقَتِهِمْ وَمَنْهَجِهِمْ وَهِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْأَخْذِ بِالْأَمْرِ الشَّرْعِيِّ الْمَذْكُورَةِ فِي آيَةِ النَّالَةِ

(٢) فِي الْأَصْلِ يَحْطُ النَّاسُ - تَرَعَاءُ

ومنه: قول عبد الله بن رواحة لما بعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله يحرض على أهل خيبر ثمارهم ودررهم، فأرادوا أن يرشوه بيفرق بهم، فقال: «ولله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إلي، ولأنتم أبغض الخلق إلي من عذتكم من القرود والحصاري، وما يحملني حبي يباه ويعصي بكم على أن لا أعدل فيكم»، فقالوا: بهذا قامت السماء والأرض ﴿وَيَذَلُّوا أَوْ تَفْرِصُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥] (١)

فقوله جل سلطانه ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، نصبت أن التكاليب وإن كثرت إلا أنها انحصرت في نوعين: التعظيم لأمر الله سبحانه، واشتقاق على خلق الله

فقوله: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ إشارة إلى التعظيم لأمر الله ومعى لقيام الله أن يقوم الله بالحق في كل ما يلزمه القيام به من إظهار شعائر العبودية وعدم الرب سبحانه وقوله ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ إشارة إلى الشفقة على خلق الله

[ترك حظوظ النفس]

فروح هذا الإحاء أن تكونوا عارفين عن الحظوظ الطبيعية وعن ملاحظة الأحوال الشخصية، وأن تكونوا عوفاً على الحق لا على مقتضيات العوس وود نعمتم فقوموا بالله عن أمر الله مراعاة لحقوق الله، ولو على أنفسكم وإذا أردتم إبرام أمر فليكن شوري بيسكم، وليس أحد منكم أحق بالإشر بالحق من الآخر، فمن لاح على لسانه الحق فليج، واستحضروا سر قول الشارع: «والله لو سرقتم - فلامه - لقطعتم بدها» (٢) يمني فاطمة الزهراء عليها السلام، وحاشاه

(١) انظر البداية والنهاية للمصنف ابن كثير (١: ٥٨٩)

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨٨)، ومسلم (١٦٨٨)، والنسائي (٧١٨) برقم (٤٨٨٨)، وأحمد (٣: ٣٨٦، ٣٩٥) عن عائشة رضي الله عنها

وم يستح الشارع من الصحابة إذ قال «أفضل صلاة على الصائمين صلاة لعشاء وصلاة المغرب»^(١) وقال الصحابي ولقد رأيتنا وما يتحلف عنها - أي لصبح - في الجماعة إلا منافق
وفي البخاري «ما أمر النفاق على نفسه إلا منافق وما حابه إلا مؤمن»^(٢) ،
رويه : «اجلس بنا نؤمن ساعة»^(٣)

[الاهتمام بشؤون العبادة والإكثار من الذكر]

وفي القرآن في وصف الصائمين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سجدة، ١٤٢]، فمن منا يذكر الله ذكراً كثيراً كما أمر؟

رويه ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَاانَ﴾ [البقرة ٥٤]، وكأنها حل على كواهلنا يثقل علينا الحال متى يؤديها، عكس ما كان عليه الصالحون لكرام أرحمها بها يا بلال^(٤) ، أي أدخل عليها الراحة والسرور بسببها؛ فيها معراج لمؤمن «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْبِي فِي الصَّلَاةِ»^(٥)، «المصلي يباحي ربه»^(٦)، «ولا تأتوها وأنتم تسقون، وآتوها وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا»^(٧)، وقال لأبي بكر لما صلى حلفت الصنف: «راذك الله حرصاً ولا

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧)، وأبو داود (٥٤٨)، وابن ماجه (٧٩٧)، والدارمي (١٢١٥)، (١٢٧٦)، وابن خزيمة (١٤٨٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) «صحيح البخاري» من كلام الحسن البصري قال: «ما خاله إلا مؤمن ولا آمنه إلا منافق» أخرجه البخاري في باب خوف في أن يحبط عمله وهو لا يشعر

(٣) «صحيح البخاري» كتاب الإيمان (١ ٦) من كلام معاذ

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣٧١ ٥) عن أبي علي الأصاري، والطبراني وغيره

(٥) أخرجه أحمد (١٢٨ ٣)، والبيهقي (٦١: ٧) عن أنس رضي الله عنه. وحيث الحفاظ في «التحريض»

(٦) أخرجه البخاري (٤١٣)، (٤١٦)، ومسلم (٥٤)، (٥٥١) عن أنس رضي الله عنه

(٧) أخرجه البخاري (٦٣٦)، ومسلم (٦٠٦) بمعناه عن أبي هريرة رضي الله عنه

تَعْدُهُ^(١) حَتَّى أَحَدُ مَظَاهِرِ النَّهْيِ - إِذَا يَقْتَضِي الْعَسَادُ - الظَّاهِرِيَّةُ، وَأُظُنُّ صَلَاةَ الْمُصَلِّي حَلْفَ الصَّفِّ

وَمِنْ الْحَدِيثِ «لَا يَرُدُّ الرَّحْلُ بِتَأَخُّرٍ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ حَتَّى يَبْأَخِرَ فِي إِبَارَةٍ^(٢)»، وَمِنْ الْحَدِيثِ «لَتَسُوْنُ صُفُوفَكُمْ أَوْ لِيَحَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوْهِكُمْ»^(٣)، فَأَوْعَدَ عَلَى عَدَمِ سِدِّ الْفُرْجِ بِالْمَسْحِ، وَكَانَ الْعَارِوقُ وَابْنَهُ بِصَرْبِ الدَّسِ عَلَى عَدَمِ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ، فَفِيهِ أَنَّ التَّائِبَ يُعَاقَبُ تَارِكُهَا

وَأَحَدُ الظَّاهِرِيَّةِ وَجُوبَ تَسْوِيَةِ الصَّفِّ مِنْ قَوْلِهِ: «إِنْ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ مِنْ إِدْمَةِ الصَّلَاةِ»^(٤) وَكُلُّ هَذِهِ التَّشْعِيَّاتِ مِنْ مَقْضِيَّاتِ مَرُودَةِ حِلَاوَةِ الْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَتَنْشَأُ عَنْهَا هَذَا التَّنْسِلُ: «قَدْ يَسَلِّمُ اللَّهُ الَّذِيكَ يَتَلَلُّوكَ مِنْكُمْ يَوْمَ» [سُورَةُ الْبَقَرَةِ ١٦٣] «وَإِذَا مَا أُمِرْتُ بِسُورَةٍ تَطْرُقُ بِصُفُوفِهِمْ إِلَى تَتِيهِ هَذَا يَرْسَلُكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ أَنْصَرَفُوا» [البقرة ١٢٧]

وَمَا جَاءَ مِنَ الْحِلَافِ بَيْنَ قُلُوبِنَا إِلَّا مِنْ عَدَمِ سِدِّ الْحِلَلِ فِي الصُّفُوفِ لَمَّا فِي الْحَدِيثِ «لَتَسُوْنُ صُفُوفَكُمْ أَوْ لِيَحَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ»^(٥)، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ فَتَجَدَّ الْمُسْلِمِينَ كَأَنَّهُمْ يَمْلُؤُ لَا يَتَوَارَثُونَ يُعْرَضُ هَذَا بِوَجْهِهِ وَيُعْرَضُ هَذَا بِوَجْهِهِ وَمِنْ الْحَدِيثِ «لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَوَسَّوْا، وَلَا تَوَسَّوْا حَتَّى تُحَابُّوْا، أَلَا أَدْلِكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا عَلِمْتُمْوه تَحَابُّيْتُمْ؟ أَهَبُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(٦)، وَمِنْ الْحَدِيثِ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٨٣)، وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٢) لَمْ أَجِدْهُ

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧١٧)، وَمُسْلِمٌ (٤٣٦) مِنْ حَدِيثِ الْعَمَلِ بْنِ بَشَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٢٣)، وَمُسْلِمٌ (٤٣٣) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧١٧)، وَمُسْلِمٌ (٤٣٦) كَمَا مَرَّ

(٦) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٩٣) عَنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

«نصافحوا يذهب الغلُّ من قلوبكم»^(١)، «المصافحة الّية طُة إلهي مذهب للصعائن والأحقاد»^(٢).

[ترك العداوة والبغضاء، والتزام محبة المسلمين]

وقد جعل جل ثاؤه العداوة والبغضاء في القرآن أشدَّ من شرب الحمر وأقبح وأظلم وأشنع، فقال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحَرِّ وَالْثَّبِيرِ﴾، فالحمر والميسر وسيلة عند الشيطان لإيقاع العداوة والبغضاء ﴿وَيَصْلَحْكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَهِيَ الصَّلَاةُ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾ (المائدة ٩١)

ووصف سبحانه أهل الجنة بصفتين فمن وُجدنا فيه فهو من أهل الجنة، ومن لا فلا ﴿وَبَرَعًا مَا فِي مُنْذِرِهِمْ مِنْ عَلَىٰ إِنْخَرًا عَلَىٰ سُورٍ مُّتَنَبِّلِينَ﴾ [الحجر ٤٧]، والثانية ﴿لَا يَسْتَعْوُونَ بِهَا لَئِن لَّوَا وَلَا تَأْنِيًا﴾ [آلَا قِيلَا سَلَكَا سَلَكًا] [الواقعة ٢٥-٢٦]، أي مجالسهم طاهرة من اللغو فضلاً عن آفات اللسان المذكورة في «الإحياء»، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضى عن النفس]

فأصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضى عن النفس، وأصل كل طاعة وبقطة وعة عدم الرضى منك عنها، ولأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه خيراً لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه، وأي علم لعالم يرضى عن نفسه، وأي جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه.

(١) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (١٦) من حديث عطاء الحراساني مرسلاً، وينص في وجوه حديثه

(٢) انظر مفصلاً في المصافحة كتاب «المصافحة في أحكام المصافحة» لحال المؤلف شح الإسلام جعفر بن إدريس الكاكي

حط النفس في المعصية ظاهراً جلبي، وحفظها في الطاعة باطناً حمي،
ومدواة ما يحتمل صعباً علاجاً ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر
المخلق إلَيْكَ معصيةً أورثت دلاً وانتقاراً حير من طاعة أورثت عراً واستكماراً
انكساراً العاصي حير من صنوثة المطيع لا تطالب ربك بتأخر مطلقك، ولكن
طالب نفسك بتأخر أدبك

من جهل المرید أن يسيء الأدب فتزخر العقوبة عنه فيقول لو كان هذا
سواء أدب لقطع الأمداد وأوجب الإبعاد، فقد يقطع المدد عنه من حيث لا
يشعر، ولو لم يكن إلا مع المرید، وقد بقاء مقام المدد وهو لا يدري، ولو لم
يكن إلا أن يحليك وما تريد

العلم إن قارنته حشية فلك، وإلا فعليك، لا ترحل من كوكب إلى كوكب
فتكون كحمار الرُحى يسير، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكنون، وإن إلى
ربك المنتهي^(١)

وانظر قوله في الحديث الشريف «من كانت هجرته إلى الله ورسوله
فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دينا يصيبها أو إلى امرأة
يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(٢)

إذا طلبت عوضاً على عمل لست له قاعلاً طوليت بوجود الصدق فيه،
وبكمي العريب وجدان السلامة أنت إلى حبيبك إذا أطعته أخرج منك إلى حبه
إذا عصيته، لولا جميل ستره لم يكن عمل أهلاً للقبول.

(١) هذه حكم متفرقة عن الحكم العطائية للإمام ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه
(٢) أخرجه البخاري (٥٤)، ومسلم (٩٩٠٧)، وأصحاب الثمّن من حديث عمر بن الخطاب
رضي الله عنه

[الدعوة إلى الله تعالى]

ومن روح هذا الإخاء الانتصابُ لدوام الصبح لعيد الله تعالى، وتلويح الدعوة إليهم كل على حسب قلوبته، وكم من واحد يجمع فيه لصبح ويساء به، لعل أنه لا يقبله، وأقرب الناس من الله أبعدهم منه، وأبعد الناس من الله أقربهم منه

وإذا حضرتم مجلساً فليكن كله ذكراً وتلاوة ومذاكرة، وسرد كتب القوم أو شرح الجامع الصغير، فإن الأمة لا يتقنها إلا إرشاد نبيها وعلمه الغير المشوب، الغض الطري القريب العهد من الله سبحانه

[من أسباب الانحطاط ترك العمل بالحديث وصحيح المذهب،

وعدم مجالسة الورثة المحمدين]

ومن أسباب انحطاط الإسلام: عدم العمل على كتب الحديث في باب التأديب والتهديب والأخلاق والمعاشرة والرفائق والآداب، وأما الأحكام الحلال والحرام فعلى صحيح المذهب^(١).

وكل هذا التوخُّش جاء الناس من عدم محالطتهم للورثة لمحمدين العالمين بالله وبأحكامه، وهي الحديث: «سائلوا العلماء» - أي بالأحكام، أي ولا تحالطوهم - «وجالسوا الكبراء»^(٢)، أي وهم المستعرقون في جلال الله وشهوده وليسو متبحرين في علوم الشرائع.

(١) صحيح المذهب هو: ما حُصِّدَ الدليل

(٢) في كثر العمال رقم (٢٩٢٦٣)، مسائل العلماء، وخاتل الحكماء، وجالس الكبراء، وعراه ابن الحكيم الترمذي من أبي جعيفة. وانظر «تحالف السادة المتقين» للإمام الريسي (٢٧٥ ٥)، (٢٠٤ ٦).

فأمر بمحالتهم ليكتسب من أنوارهم وقوتهم ومعارفهم ومحتهم في الله تعالى، وشوقهم إليه والشغل به جلَّ اسمه خاصة، واكتساب شعائر الإيمان

فتعلموا اليقين والتوكل، والزهد والخوف، والتوبة والشكر، والصبر والرعي عن الله، والمحبة بمجالسة أهلها، فإن هذه العلوم إنما تؤخذ من قلب إلى قلب، وكل إخواننا مرشحين لذلك

«وخالفوا الحكماء»^(١)، وهم الجالسون على الحط المشترك بين عالم المعاني وعالم الأسباب، آخذون بالطرفين، ساكنون بالعالمين، شربون بالكسبي، قائمون بالشعاري، جعلوا الله وإياكم من أشرفهم وأعلمهم وأقربهم: ﴿إِنَّكُمْ كَأَنْتُمْ فِي حَيَاتٍ﴾ [مريم: ١٧]

[الحث على المذاكرة وسرد الحكم العطائية]

ولتسرد الحكم العطائية^(٢) كل يوم بين العشاير، مع شرحها ومشاركة لعقهاء الراية في البيان والإفصاح والبيان والشرح، من غير مئز بهذا من هذا، فهذا من قواميتكم بالقسط فيما بينكم، ولا تصلحوا الجماعة ما سم تصلحوا أنتم وتكونوا على قلب رجل واحد، وتجردوا عن المعطوط انفسية والأغراض الشخصية، وتذاكروا كلكم وتباحثوا كلكم.

(١) من المرجع السابق

(٢) وصف الإمام أحمد زروق كتاب الحكم العطائية في مقدمة شرحه لها ص ٢١ فقال «عبارة رقيقة جامعة، وإشاراته فائقة جامعة، تثلج الصدر ويهيج الخاطر، وتحرك السامع لها والناظر، مع تداعل علومه وحكمه، وتناوب حروفه وكلمه»، وقد بلغت الحكم المائة المعصوم في وجارة اللفظ البديع البليغ، مع فخامة المعاني وبرفتها ودقتها، حتى قال المعبد السامي «كأدب حكم ابن عطاء الله أن تكون وحياً، ولو كانت الصلاة مجور بعير القرا لجارت بكلام الحكم» كما في «إيقاظ الهنم» لابن عجيبة ص ٤. الناشر

والذي يسرد بقول للجماعة. ما ظهرَ لكم؟، بقلب سليم مُخَبِّتٍ أَوَّاهٍ أَوَّابٍ مَيِّبٍ. فَإِنَّ الْقُلُوبَ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ، فَاقْرَعُوهَا، وَاسْتَخْرِجُوا مَا فِيهَا جَلَّ اسْمُهُ مِنَ الْحَيَايَا وَالْأَسْرَارِ فِي عِبَادِهِ

وَتَمَتُّعُوا أَسْرَارَ النُّبُوَّةِ فِي قَوْلِهِ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا فَلْيَقُصِّهَا عَلَيَّ»^(١) دَلَّتْ مِنْهُ لِيُطْلَعَ عَلَى أَسْرَارِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، إِذْ كُلُّ أَحَدٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ سَبْحَةٌ وَرَحْمَةٌ خَاصَّةٌ لَا يَشَارِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ

وقد كان الناسُ زماناً لا يتصلون في الروايات حتى يجمعوها^(٢) أربعة كتب

١ - «إحياء علوم الدين» للغزالي

٢ - «المعارف» للشهروردي

٣ - «الرسالة» للفشيري

٤ - «منار السائرين» للشهري

وابحثوا لنا عن شرح منار السائرين، فقد شرحها خلقٌ، ومنهم الإمام ابن القيم في أربعة أسفار، فياضية الأعمار تمشي سَبْطاً

ونحن نعيب على الولاة عدمَ سياستهم رعاياهم بالنصيحة والتفقد، ونحن نعرب عن إصلاح روايتنا وسياستها والألفة فيما بينها^(٣)، واعلموا أن صحة يوم نَسْتُ قَرِيباً، ودمعة يحفظها اللب، وقال الإمام الحميد المواكلة مرصعة، فمن

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٦)، بقريب من لفظه عن سمرة بن جندب، وهو في عدة مواضع فيه، وغيره

(٢) هي الأصل بخط النسخ. يحفظون

(٣) هذا من باب هضم النفس والطموح إلى الأعلى فقد أنتجت الطريقة في زمن مؤسسها رضي الله عنه أئمة دعواً كباراً في العلم والعمل والجهاد، انظر ذلك في «ترجمة الشيخ محمد بكدي الشهيد» تأليف رجل المؤلف الإمام أبي الهدى محمد الباقر بن محمد الكتاني ص ١٦٠

وكلتموه صدرَ رحماً في الدين تتأكد مواصلته، ويتأكد الدب عنه ولدوع عنه،
والسعي في وصول الحيرات إليه.

وكل من أحلّ منكم بصابط من هذه الصوابط المرعية، فأعلمون بذلك حتى
لا يحتل أمرُ أحوال الإخوان، وقد استرعانا - جلّ أمره - هذه الرعية فإدا لم
يحطها بالنصيحة أوشك أن يعمنا الله سبحانه بعذابه، عَفْوَك يا لطيف

[الدعوة إلى تأليف رسائل في الطريق]

وكل ما يُحتاج إليه من الرسائل في هذا الباب عَالَمُوهُ، أَلَمُوا رسائل في
مداخل الشيطان، وليكن التعبير عنها بالأذواق لا بالتقوّل، فإن دائرة المعاني
أوسع من دائرة الألفاظ، ودائرة الصدور أوسع من دائرة المعاني، مما أحوج
الناس إلى رسالة في هذا الموضوع

وَأَلَمُوا رسائل في الفرق بين اللّمة الملكية واللّمة الشيطانية وعلامات كلي،
ودكر الحواطر وتشماتها، وقد كما أرسلنا رسالة في ذلك^(١)، فليعلموا توسّيت،
أو سمها أُمِّيت، أو لعلها لم تُقرأ، أو لعلها لم تكرر منها السّخ، وليت
شعري لو سأل سائل الإخوان عن هذه الضروريات في الطريق ماذا كانوا يجيبونه
به ١٩

وَأَلَمُوا في أمراض القلوب وعِلَلِها ومراتب الظلام مثل ما عَدَّ صاحب
«الإبريز»^(٢)، فما أحوج المسلمين لعلم هذا العلم لأنه لا يقبل - جلّ علمه -

(١) فيه إشارة إلى مؤلف له رضي الله عنه، وهو: «الفرق بين الولادات الإلهية والملكية
والنفسانية والشيطانية»، وهو أحد رسائل هذه المجموعة المأرقة والله الحمد

(٢) «الإبريز من كلام الشيخ عبد العزيز»، أي الإمام الماروف الشريف عبد العزيز بن محمود
الدباع الإدريسي الحسي، جمع تلميذه الإمام الفقيه المجتهد أبي العباس أحمد بن مارك
المنطبي العاسي

إلا الطبيب، وهذا هو الطبيب: ﴿إِلَّا بِصَعْدِ الْكَلْبِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ يَرْفَعُهُ﴾
[ماحر ١٠٠]

وألغوا في شؤم الغفلة، وأنها هي التي أفسدت الدين وأهملت أمور الإسلام
وشعائره، وتبعوا آداب الشرع، فإنه كله في الحقيقة طرد لجيش العملة وحرث
قدسيٍّ معها، عن عقلي لمن عقل أسرار الشريعة.

ونكر أظكم استعينم عا، فإنه لا يأتي منكم سؤال عن شيء، لا في
الأصول ولا في الفروع، ولا في مشكل الكتاب والسنة، ولا في باب الشهود
وانتجالي، ولكن غاكم عا صير القلوب حراباً بلقناً يباباً ﴿وَيُثِرُ مُعْطَفَةً وَقَصْرَ
قُشْبِيَّةٍ﴾ [الحج ٤٥]، حتى كانه لا شبح لأهل راويتكم، فالأمور فوصى
عندكم

وألغوا في أكذية الخشوع في الصلاة فإنه من أكد مسائل الطريق، وانظرو
«إحياء علوم الدين» في كتاب الصلاة، مما أتى على الملة إلا من عدم تأبطهم
للإحياء حضراً وسفراً، قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم

وبو كنت متولياً، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، لسجنت كل من لا
يحصب بها، والجموع التي لا تقرأ فيها، والولائم، وقد صدرت جموع
المسلمين اليوم كلها حرصاً في الباطل، وقد ذكر سبحانه قوماً سئوا لأي شيء
سكروا سفر؟ فقال ﴿قَالُوا لَوْلَا رَأَيْنَا إِلَهِكَ تَتَمَتَّلُونَ﴾ ﴿وَلَوْلَا تَدْعِيهِمُ الْيَسْكِينُ﴾ ﴿وَصَكَّ حَوْضُ
مَعَ الْخَائِبِينَ﴾ [المدر ٤٣-٤٥]، وكان أعمال الناس اليوم صارت أعمام من لا
يؤمن يوم الحساب.

[من أسباب الانحطاط ذكر الأحكام مجردة عن أسرارها]

وألغوا في أسرار الشريعة ومقاصدها، فإن من أسباب انحطاط الملة ذكر
الأحكام مجردة عن أسرارها، وقول أهل الفروع هذا تملي وهو عجز منهم

عن بيان الحكمة والسِرِّ، والشرع كله مكشوف لأهل العلم بالله، ليس عندهم فيه شيء غير معقول المعنى، «ومن يُرد الله به حيراً يُفقهه»^(١)، والفقهاء العظماء، أي عن الله تعالى في شرعه، وهو المستن بالعريرة في حديث «إذا حمم الرجل القرآن واحسن من أحاديث رسول الله وكانت هناك غريزة، فهو حليمة من حباء الرسل»^(٢)

[الحض على مقاومة الإعلام الأجنبي]

وكان يسمي لعلماء الملة لما رأوا هذه الجرائد العجمية انتشرت أن يفهموا أن ظهورها حث بالأنفلام في الحقيقة لأهل الملة، فكان ينبغي لهم أن يضعوا تأليفاً، ولو أن تشترك فيه جمعية دينية، ويكلف كل واحد بتحرير كتاب فيه، ويُسَبِّح الكتب لجميعهم، في أسرار الشريعة المطهرة، وبيان مواقع نجومها المُقَسَّم بها في قوله سبحانه ﴿فَلَا أَفْسَدُ بِمَوْجِعِ النَّجْمِ ۖ وَإِنَّهُ لَفَسَدٌ لَّوْ تَقْلُسُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٦]

ويطبعون هذه التأليف مجانياً لله ولرسوله، وشكراً للأمانة، وحفظاً للإيمان في قلوب الأمة، وروحاً للمواطن ومقابلة الحرب بالسلم، وإدحاضاً للباطلين وهرقة لمساغيها بالحجج الدامغة.

ويطبعوا منه الآلاف من النسخ ويفرقوه في الدنيا لله. ولو وقع مثل هذا لحدثت أموراً أيضاً في العالم حيرة وسماوية، ولكن إهمال الفرائح وعقمها أنتج نتائج وخيمة لا تُحمد، فأبيسوا إخواني وأحبابي وتداركوا ما أمكن تداركه

(١) أخرجه البخاري (٧١)، (٣١١٦)، ومسلم (١٠٣٧)، وغيرهما عن معاوية رضي الله عنه

(٢) لم أجده

[الحض على المذاكرة في الأمور الدوقية]

وليتذكر كل واحد يوم الجمعة منكم في الأمور الدوقية النافعة بلسان عامي حتى يفهم كل الجلاس، وراعوا [حكمة] البوة، فقد كان يعيد الكلمة ثلاثاً لتفهم عنه، هذا وهو يحاطب الصحابة، فكيف بأمتنا؟ والله الهادي، ولتكن المذاكرة في «شرح الحكم المطائفة» لابن عباد^(١)

وأما الدرس في الراوية فليدرس كل واحد منكم إما «الرسالة لقيرواية»، وإما «المرشدة»، وإما «الشماثل»^(٢)، وإذا [انتهى الواحد] ابتدأ الآخر قراءة درس

ولو سَلَّحت ما الصدور لحضرنا مجالس بعضها بعضاً، لأن طالبا للحق^(٣) وللمزيد، والحكمة ضالة المؤمن يلقطها حيث وجدها.

وأفستت حضرة الملك القدوس [أن لا] يجاورها أهل النعوس، من لم تكن نراه، أي إذا رآه وجودك الوهمي [ومثلاً]، «وربك لي يرى أحدكم ربه حتى يموت»^(٤) إما الموت الطبيعي، وإما الموت الذي تعب الطائفة، وهو الماء الحقيقى، فأديموا مجالسة [الحق] حتى تلذ لكم كل حير وفتح، والسلام

-
- (١) المسمى «غيت المواهب العلية بشرح الحكم المطائفة»، مطبوع مير طيبة الناشر
 (٢) «الرسالة» للإمام أبي محمد ابن أبي زيد القيرواني، مشهورة سائرة، و«المرشدة» هو «المرشد المعين في الضروريات من علوم الدين» للإمام عبد الواحد ابن هاشم القاسبي، كلاهما في النسخ المالكي، و«الشماثل» أي: «المحمدية» للإمام المحافظ أبي هبش الترمذي الناشر
 (٣) في الأصل بخط النسخ: الحق
 (٤) حديث أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٩٣٠)، وأحمد (٥/ ٣٢٤)، وابن ماجه (٤٠٧٧)، من حديث عمر بن الخطاب، وعبد بن الصامت وأبي أمامة الباهلي رضي الله عنهم

[المخاتمة : في المحض على عدم الغفلة عن الله تعالى]

وعجبتُ بطيْلُ العبدِ العجلةَ عن ربه سبحانه فلا تحذ الإنسانُ محتلياً في داره أو رايته أو [مسجده] ويشتل إلى ربه سبحانه، حتى كأنه سبحانه ما حُفَّ له وإنما خُلِقنا لشهواتنا وأغراضنا! هفوك يا حليم.

وما فرص سبحانه حسنَ صلواتي في اليوم والليلة إلا على أهل العلة والعنود، وأما الذين هم أشد حياءً لربهم! على صلاتهم دالمون^(١)

قلوا أنسى الذي تهوى فقلتُ لهم يا قوم من هو روعي كيف أنسا وكيف أنسا والأشياء به حُصَّت من المعانيب ينسى العبدُ مَولاه ومن هذه تأليف من تأليفاً فليخرجه، وليُترد في الراوية حتى تُحتم جميعُ كتبنا، وما احتجتموه فأرسلوا إليه

ولما رُوِّجَ المعجُرُ الكَمَلُ أنتجا كل عقم في العالم، ولما رُوِّجَ الانتباه والإنباء والأوبة والنقطة. أنتجوا كل حسن في العالم.

وإذا كانت النُفوسُ كباراً قَمِيت في مُرادها الأجسام هافِسنُ بِبَذْلِ النفسِ فيها أحا الهوى فإن قَلَتْها منك يا حَبِذا لَبِذُل ومن لم يَجُذ في حُب نعيم نفسه وإن جادَ بالدنيا؛ إليه انتهى النُحْلُ^(٢) والرقيبُ على هذا كله شعلةُ النور والذكاء، العضدُ والركب سيدي محمد خير الدين؛ فونه لا يحايي ولا يماري ولا يداري.

(١) أي أن أهل العلة لا يهتمون بذكر الله تعالى فكان ذلك فرضاً عليهم، أما أهل الرلاية فتك من بدعيات أعمالهم، بل لهم أكثر من ذلك من قيام الليل والمجاهدات والصيام وضبط النفس، لا أن الفرائض ليست عليهم فرائض، وحاشا، فليتأمل

(٢) البيان لسلطان الماشقين عمر بن العارض. الناشر

وسامحوني فإني رجلٌ غيورٌ على المراتب، أحتك أن لا تُفارق صاحبتي إلا وهي راضية، إقتناءً وتدرّيساً، وإمامةً ومشيحةً، وتوليةً وتقديماً، وبصحةً وخدمةً، «رحمَ الله عبداً أظهر من نفسه قوة»^(١)

فالمُطهرُ من بعه قوةٌ في دين الله - وإن لم يستطعها - يستوجبُ هذا الدِّعاء السوي الذي ليس له دون الله حجاب، وأستودعكم الله والسلام على جميع الأحياء. اهـ.



(١) أخرجه أحمد (٣٠٦:٢)، والبخاري (٢٧٦:٣)

النفائس الكتانية

٢

سفينة المحبة

تأليف

الإمام أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني

المستشهد سنة ١٣٢٧ هجرية

رضي الله عنه

[illegible]

[illegible]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على ميرز الدات وآله وصحبه

أما بعد

عاشي فُكُوتُ في توالي رزايها الدهر، وأصبحتُ النظرُ في تواتر سهام مابها
القهر، وأطلتُ الجولانَ في الحُكْمِ المرادة من مقابلة المؤمن السُجَّيْصِ
بالصددمات والنكبات واليَمَسِّ، فأنشج لي هذا أن ليس مُراداً لله من ذلك إلا شيءٌ
واحد: وهو حَتَمِيَّةُ القلبِ على الله، وجَعْلُهُ الهَمُّ الواحدَ الذي يكفي صاحِبَهُ
الهَمُّومَ، ويُدْجِلُ صاحِبَهُ تحتَ المعارفِ في عالم الكون والعسد قبلَ انتطَلُعِ على
حماها عالم القرار

لأن الإنسانَ وَلَدَ وحده، وعاش وحده، ورثته - رُغْماً على أمه - المقديرُ
وحده، ومات وحده، ودخلَ قبره وحده، وسئل وحده وُيُتَّعَ ويُسأل يومَ القيامة
وحده، ويدخلُ الجنةَ أو النارَ وحده.

وبعدَ أن ظهر هذا بأي فائدةٍ في الانحياسِ للخلقِ وجمعِ القلبِ عليهم،
والعرعِ إليهم، مع أن المواضعَ التي يُحتاجون فيها كُلُّها ما وجدنا واحداً منهم
معنا فيها !

[صفة الصديق الحق]

وأيضاً العاقلُ لا يصاحب إلا مَنْ يُعْضي عن زلاته إذا أساء، ويكون أقدرَ
على وُصْلَتِكَ إذا قطعت، وعلى الإحسانِ أقوى منك على الإساءة، ويحفظك حياً

ويعتد للممات بما عنده، ويثبت شمله فيك لجمعتك، ومن يصره به
ليسمعك، ومن يؤثرك بالمشتهات والملذذات وكل ما نهواه النفس، فإذا لتفت
النفس وجدت هذا الأخ أعز من الكبريت الأحمر

ولكن في الحبايا بقايا، [و] في الروايا حبايا، وإذا وجد صاحب الهبة
العليا من يذكرك الله إذا رآه، ويقويه ويحبته إذا ذكره، ويذكره إذا نسيه، ويطلع
على أسرار الذكر وأنواره ولوابعه ولوائحه، وطوابعه وبوابعه وشوارقه، فيبقى
هو أيضا أعماره فيه، ولا يتبع به بدلا، ولا يشغله عنه شاعل

[أركان سفينة المحبة]

سبب إن أركنة وصفت له سفينة عجيبة تسمى سفينة المحبة، أنوحها من
التوفيق، ومساميرها من الجذبة الإلهية، وعلى أركانها رواوي أربع

[الركن الأول: الصبر]

الأولى مكتوب عليها، هذه زاوية الصبر، فإن من لا يصبر لا يبال المنة
والنعم، لئلا أن العالي لا يكون الظفر به رحيصا، وإذا كان عاليا معير عجب
تذلك لعل في العالي، إنما العجب بذلك العالي - وهو هتكت وصفت
وأوتقاتك، وحنواتك وجلواتك، وعمارة أرواحك - في الأمور العالوية المتلاشية
الزائلة، التي إن أصبحت لا تمي، وإن أمست لا تصبح.

[الركن الثاني: الشكر]

وعلى الركن الثاني هذه زاوية الشكر، فإن الشكر ملروم يلزمه الريادة،
ومن كان في ريادة، فهو في ترق، ومن كان في ترق فهو في كمال، ومن كان

في كمالٍ فقد أصلح منه، ومن أصلح فقد أحلص، ومن أحلص فقد قرَّب،
ومن قرَّب فُتِّحَتْ له السُّرَادِقَاتُ^(١)، ومن أذْلَحَ^(٢) برَّوًى وعَرَّسَ^(٣)

إِذَا سَحَرُ أَذْلَجْنَا وَأَنْتَ إِمَامُنَا كَمْ لِي لِمَطَايَا بِدُكْرَاكَ هَادِيَا
أَلَا أَيُّهَا الرَّكْبُ الْيَمَانُونَ عَرَّجُوا عَلَيَا فَقَدْ أَمْسَى هَوَايَا يَمِييَا

ومن نَزَلَ اسْتَقَرَّ، ومن اسْتَقَرَّ تَمَكَّنَ، ومن تَمَكَّنَ تَلَوَّنَ في مَسِيٍّ التَّمَكُّنِ،
ومن تَمَكَّنَ طَلَبَ، ومن طَلَبَ وَجَدَ، ومن وَجَدَ شَاهَدَ، ومن شَاهَدَ انْذَهَشَ،
ومن انْذَهَشَ طَاشَ، ومن طَاشَ مَاتَ، ومن مَاتَ عَاشَ، ومن عَاشَ مَاتَ، ومن
مَاتَ تَكَلَّمَ بِالْمَكْثُومَاتِ الْغَيْبِيَّةِ، وَاقْتَصَرَ الْأَبْكَارَ اللَّذْنِيَّةِ، وَوَصَلَ الْمَعَانِي
الْقَدْسِيَّةِ، وَلَاخَتْ لَهُ اللَّوَائِحُ الْاِكْتِنَامِيَّةُ، وَرُفَّتْ لَهُ الْمَرَاتِسُ الْجَبْرُوتِيَّةُ، وَأُعْطِيَ
لِمَدَنِيَّةِ الْعَبِيَّةِ^(٤)

وربما أحالوه على أرض المعرفة، فَرَجَّ به فيها، فشاهد أن المَرَضُ يقوم
بمنه^(٥)، ومجانب كم أفانا أهلُ الشَّوْءِ بإفشائها

فَأَجِيلُكُمْ إِحْوَانِي عَلَى الدُّوقِ^(٦)، فَجُكُّوا فِي السَّيْرِ فَإِنَّ الشَّمْسَ عَلَى طَرَفِ
الْحَبِيلِ^(٧)، وَاجْتَهِدُوا أَنْ لَا يَمُرَّ بِكُمْ وَقْتُ إِلَّا وَلَسَانُكُمْ رَطْبٌ مِنْ دَكْرِ اللَّهِ، كَيْ
تَأْنُوا بِخُبْرِ الرَّائِيَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ زَوَايَا سَفِينَةِ الْمُحِبَّةِ

(١) السُّرَادِقَاتُ: جمعُ سُرَادِقٍ، وهو كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو حياء.

(٢) أذْلَجَ بِالتَّخْفِيفِ: إِذَا سَارَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ

(٣) التَّعْرِيسُ: نَزُولُ الْمَسَافِرِ تَحْتَ اللَّيْلِ نَزْلَةً لِلنَّوْمِ وَالْاِسْتِرَاحَةِ

(٤) أَيُّ أُعْطِيَ الْمُنْكَةَ فِي اسْتِبْطَاطِ الْمَعَانِي وَالْإِنْشَارَاتِ

(٥) عِنْدَ عُلَمَاءِ الْمَكْلَامِ- الْمَرَضُ لَا يَقُومُ بَعْدَهُ

(٦) الدُّوقُ: التَّمَنُّعُ وَاسْتِطْلَاعُ الْمَعَانِي وَمِرَادَاتِهَا

(٧) فِي إِشَارَةٍ إِلَى قُرْبِ قُوَاتِ الرُّقْتِ، وَانْقِضَاءِ الْمَعْرِ

[الركن الثالث: التوبة]

وعلى الركن الثالث: هذه رواية التوبة، فيسارع طائفة الله بالاستسلام بأحجارها، وتقييل أماكها، والتمرع بأعتابها، ولُروفي صمحات الشيب بقاعها، وجزيدي لآلىء الدموع السواكب بصفائها، والاعتسال بمعين عذب رُلّالها، والعهارة من كل قاطع لا يرصني به عتاء، ونسلخ من كل حانة لا يرصها لله ورسوله، وننظر إليها، ونظر أن لو أطلع علينا أحسن أودائنا على هذه الحالة - فأحرى الأجانب - أنرضى ذلك منه ومنا أم لا؟^(١) فلا أقل من أن تعامل الله هذه المعاملة، أن تعامله معاملة من إذا استروخا أن أحداً يستحي منه بمرأى ما ومسمع أمّ القديم على ذلك العمل أم لا، حتى ندعه يطلع علينا ولا بأس هائسه ويستحي من مقابلته مرة أخرى؟^(٢)

فمن كان يعلم أن الله مطلع عليه فليعامل الله معاملة من يُعبد واسأسُ بطرون إليه، أفندع شيئاً من التحسين والتسبيق؟ لا، لا، وإن ادعى أنه لا يرصني بهذه الرتبة فليعامل معاملة من كأنه يرى الله حالة العمل، فليظن أي شيء يحمل، أحمّل: وأعضاؤه تتفعل، وفزأؤه يتمثت، وروحه تضطرب، ونفسه تنصاعد شوقاً إلى لقائه، وعقله يتأزعه في ترك الأغيار^(٣) والفشاوات، ويذه لا تغر عن العمل، ولسانه لا يسكن من الذكر، ورحله لا تزال مقيمة بالأمكن المقدسة كي يطله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله؟ «ومهم رجل قلبه معلق بالمساجد، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»^(٤)

ولا تُشترط الحلول المعلوم في نيل هذا الأجر، بل المراد منه ذكر الله ولو في الملأ، غير أن قلبه خلا من ملاحظة غير الله، واعتباره بنفسه فيه،

(١) الأغيار جمع غير، والمقصود به: ما سوى الله تعالى

(٢) جزء من حديث السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم القيامة، أخرجه البخاري (٦٦٠)،

ومسلم (٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

واستعراقه في محبته، واصطلابه تحت أنوار مشاهدته، وعبوبه فكره في أنوار جبروته، ووقف عقبه على اقتناص الشوارد من ميادين القرب، وتحبسي نفسه على العناء عن المشتبهات والملدوذات والمشروبات والبلوسات والمكوحات والمشمومات، شغلاً بربه، وامتلاءً بحبه، وتقرباً بشوقه، مؤثراً بصبره، متعمداً بحوقه، متفصلاً برحائه، متعطفاً بإيمانه، متسزلاً بهدانيته

ومن كان لا يعلم أن الله مطلع عليه حالة العمل فالحل في إيمانه، وفي الحديث القدسي «إن كنتم تعلمون أنني مطلع عليكم فلم جعلتموني أهون لدين إليكم! وإن كنتم لا تعلمون أنني مطلع عليكم فالحل في إيمانكم»^(١)، وهذا في القرآن أيضاً فافرأوا: ﴿يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مُعَذِّبُهُمْ﴾ [نساء: ١٠٨]، فليدع من يستحي ويستحي من الناس باطلاعهم عليه، ولا يستحي من الله باطلاعهم عليه فيأرزوا بالعظام

وروى الطبراني عن أبي أمامة رفته. ثلاثة في ظل الله يوم القيامة رجل حيث نوحه علم أن الله معه، ورجل دعته امرأة إلى نفسها فتركها من خشية الله، ورجل يحب الناس لجلال الله، وفي هذا الحديث رجل متروك^(٢)

وفي الحديث «من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن، ومن عصي الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن»^(٣)

(١) لم ألق عليه

(٢) «المعجم الكبير» للطبراني (٨/ ٢٨٦ برقم ٧٩٣٥)، قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الروائد» (١٠: ٢٧٩): فيه بشر بن نعيم، وهو متروك

(٣) أخرجه سعد بن منصور في «سننه» (٢/ ٦٣٠ برقم ٢٢٣٠)، واليهقي في «شعب الإيمان» (١: ٤٥٢ برقم ٦٨٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٢-١٥٤ برقم ٤١٣) عن واقد مولى رسول

وأخرج الإمام أحمد عن عطاء بن يسار «إن موسى عليه السلام سأل الله من يؤويه في ظل عرشك؟ قال: هم الطاهرة قلوبهم، البرية أئداهم، الذين إذا دُكِرَتْ دُكِرُوا بي، وإذا دُكِرُوا دُكِرْتُ بهم، الذين يُسَبَّحُونَ إلى ذكرى، ويعصون لأوامري، وَيَكْتَفُونَ بِحُجَّتِي»^(١)، زاد ابن المبارك «الذين يعصون مساحدي، ويستعصون بالأسحار»^(٢)

وأخرج الإمام أحمد عن عائشة «ألا تدرين من السابق إلى ظل الله يوم القيامة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال الذين إذا أُعْطُوا الحقُّ قبلوه، وإذا سُئِلُوهُ بذلوه، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم» وهو من الأحاديث العربية^(٣)

وهي أحاديث من يظلمهم الله في ظله «ورجلٌ يراعي الشمسَ لمواقيت الصلاة، ورجلٌ إن تكلم تكلم بعلم، وإن سكَّت سكَّت عن حلم»^(٤)

فهؤلاء ثمانية عشر من يظلمهم الله في ظله، يُرادون على لسان الحديث الصحيح^(٥) فتصيرُ خمسةً وعشرين، وهي فائدة حسنةٌ حديثية، ومن جُدَّ

(١) أي: يؤمنون به

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «الزهدة» ص ٧٤، وابن المبارك في «الزهدة» أيضاً ص ٧١

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مستدركه» (٦: ٦٧، ٦٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١: ١٦) و(٢: ١٨٦-١٨٧) وقال: «هذا حديثٌ غريبٌ تروى به ابن لهيعة عن خالد، حدث به أحمد

ابن حنبل عن يحيى بن إسحاق في «مستدركه»

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «الزهدة» ص ١٨٩

(٥) وهم: إمامٌ عادل، وشابٌّ شأى في عبادة الله، ورجلٌ قلبه ممتلئٌ بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تعابا في الله فاجتمعا على ذلك واخترقا عليه، ورجلٌ ذكر الله حالاً معاصت عباده، ورجلٌ دعت امرأةٌ ذات منصبٍ وجمالٍ فقال: إني أخاف الله، ورجلٌ تصدق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه». كذا لفظ مسلم في «صحيحه» (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

وجد أكثر من هذا، فلستأ بصلد جمعها^(١).

فما دام الإنسان لم يسلخ من كل ما لا يرضاه الله فلا يصح له التقريظ أصلاً، لقوله تعالى: «وما تقرَّب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه»^(٢)

ولا يحفاكم إخواني أن معاصي كل أحد وسيناته بحسبه، وتذكروا قول الصادق «حسنات الأبرار سيئات المقربين»^(٣)، فائقوا محفَّرات الذنوب فيها تكدر معيشة الأرواح واقتطاعات العقول^(٤)

وقد قال سيدنا أنس «إنكم لتعملون أعمالاً هي في أعينكم كاندُر، وكبُعْدها هي عهد رسول الله من المؤيقات»، أي الكناثر والمهلكات

إذا أنقض هذه الزاوية وما تخطى خطوة إلا وما كُتبت على زاوية الركن الثالث بين عيبه لا يفارق، لبعينه على التفصيل، والاستمعد، والدل، ولا يكسر بين يدي الملك الفهار حالطت بشاشة الإيمان القلوب، فيصير المرء يحب المرء لا يحبه إلا لله، ويكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ويكره أن

(١) على جمعها غير واحد من أهل العلم منهم الحافظ ابن حجر في كتابه «معرفة الخصال الموصلة للظلال»، والإمام السيوطي في كتابه «تمهيد القرش في الخصال الموصلة لظل العرش» وانحصره في آخر صفاء «بروغ الهلال في الخصال الموصلة للظلال»، وقد أوصيها إلى سبعين خصلة

(٢) حديث قديمي أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٣) ليس بحديث، إنما هو من كلام أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أحد أكابر الصوفية كما رواه عنه ابن عساکر قاله المجلوني في «كشف المعاني» (٤٢٨: ١) ولعل المؤلف عناه - أي الخزل - بقوله: الصادق

(٤) وفي الحديث «إنكم ومحفَّرات الذنوب، فإنهم يجتمعون على الرجل حتى يهلكه»، أخرجه أحمد (٤٠٢. ١) من حديث ابن مسعود، وأخرجه كذلك (٣٣١٠٥) من حديث سهل بن سعيد الساعدي، رضي الله عنهما، وكذلك أخرجه الطبراني عنهما في «الكبير» (١٠٥٠٠، ٥٨٧٢) الناشر

يُقَدَّفَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَلَبَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» فِي وَصْفِ مَنْ
دَقَّ طَعْمَ الْإِيمَانِ^(١)

فاحرصوا إحواشي في ذَرَكِ طَعْمِ الْإِيمَانِ كَيْ يَحْمِلَكُمْ ذَلِكَ عَنِ الْمَجَاهِدَةِ
فِي الطَّاعَاتِ وَامْتِثَالِ الْقُرْبَاتِ، وَعَدَمِ الْمَلَلِ وَالْكَسَلِ، وَعَدَمِ مَرَاقِبَةِ الْخُنُوقِ،
وَعَدَمِ الْخَوْفِ مِنْهُمْ، وَعَدَمِ رَجَاءِ شَيْءٍ مِنْهُمْ، وَعَدَمِ جَعْلِهِمْ الْعُمْدَ^(٢) إِذَا دَهَمَتْكَ
الْمَضَائِقُ الدَّهْرِيَّةُ، فَلْيَكُنِ اللَّهُ أَجْلُ وَأَعْظَمُ مِنْهُمْ فِي هَذَا كُنْهٍ، دَوْقاً لَا لِسَاناً
وَشَفَقَةً، فَإِنْ مِنْ فَاقَ هَذَا الْمَقَامِ - وَلَوْ بِطَرَفِ لِسَانٍ - قَرَأَ قَا سَكِينَةً وَوَقَّرَ
وَحْشِيَةً وَمَرَاقِبَةً عَلَى الدَّوَامِ، وَلَوْ فِي حَالَةِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالنَّطْبِ وَالْحِمَامِ
وَالْيَسَطِ، وَصَاحَتْ فِكْرَةٌ مَحْوَلَةٌ مَشْعُولَةٌ، وَصَاحَتْ ذِكْرٌ دَائِمٌ، وَصَاحَتْ إِقْبَالٌ
عَلَى اللَّهِ دَائِمٌ، وَصَاحَتْ صَحِيحٌ يَنْشُرُ وَعَدَمُ رَفْعِ الصَّوْتِ بِالصَّحْحِ، لِأَنَّهُ مِنْ
أَمْنِيَّةِ عَنِ اللَّهِ، وَعَدَمُ مَذِّ الرَّجُلِ إِلَّا إِنْ اسْتَحْكَمَتِ الْعَمَلَةُ أَوْ طَرَأَ الْبُيُوتُ، فَإِنْ
مَنْ عَرَفَ جَمَالَ اللَّهِ وَحِلَالَهُ وَكَمَالَهُ حَالَهُ عَلَى الدَّوَامِ كَمَا تَعْمِي مُحَالَةً
الْمَلُوكِ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ هَيْبَةَ اللَّهِ وَسُطُوتهُ فَقَدْ دَلَّلْنَا عَلَيْهَا، فَيَقْتَضِي تَارَ قَوْمٍ
طَنُّوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا^(٣)

(١) وهو حديث أنس مرفوعاً ثلاث من كن به وجد بهن حلاوة الإيمان من كن الله ورسوله أحب
إليه منا سواهما، وأن يُحِبَّ الْمَرْءُ لَا يُحِبَّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَهُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْعَمَ
اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي الْخَلْعِ، وَاللَّعْظُ لِمُسْلِمٍ (٤٣) عَنْ أَنَسٍ قَلَابَةً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٢) جَمْعُ حُمْدَةٍ، وَهِيَ مَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ، كَقُرْآنِهِ وَقُرْبِ

(٣) يَنْشُرُ إِلَى الْآيَاتِ الْمَشْهُورَةِ

طَنُّوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا	إِنَّ اللَّهَ عَزَّادٌ مُنْكَرٌ
أَنَّهُ لَا يَكُنْ لِحَبِي رَطْبًا	يُظْهِرُوا فِيهَا قَلْبًا حَلِيمًا
صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا مُنْكَرًا	جَمَلُومٌ لُجْجَةٌ وَاتَّحَدُوا

قال ابن العربي المالكي المعافري كان كثيراً ما ينشد محمد بن الوليد [أي الطرطوشي]

ثم ذكر الآيات، تنظر المصلة لابن بشكوال (٥٧٥: ٢)

وان قال فأنزل هذا الأدب ليس من المؤكدات، نقول له نعم، لكن عند أهل العملية، وقال تعالى ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّ اللَّهَ يَرْكَبُ السَّحَابَ﴾ [العلق ١١]، وفي الحديث «استحبوا من الله حق الحياة»^(١)، وكان الحليل عليه السلام يسمع وحي قلبه على مسافة ميتين، أي صوت سقوط قلبه وروى عائشة أنه عليه السلام كان يسمع من صدره أزيز كآزيز البرجل، حتى كان يسمع في بعض ميكنة المدينة»^(٢)، وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» من قول سعيد بن المسيب أنه رأى رجلاً يعبد بلحيته في الصلاة فقال «لو خشع قلب هذا لحشمت جوارحه»^(٣)، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُنْقَلَبُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وقيل لحلف بن أيوب العامري البجلي^(٤) الفقيه العابد: ألا يؤدبك الذبابة في صلاتك فتطردها؟ قال لا أعوذ بمشي شيئاً يفسد عني صلاتي، قيل له وكيف تصبر على ذلك؟ قال «يلمي أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال: فلان صبور، ويبتحرون بذلك، وأنا قائم بين يدي ربي أفأتحرك للذباية»^(٥).

-
- (١) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٥٥٠٠٤ برقم ٢٤٥٨) عن ابن مسعود رضي الله عنه
 (٢) أخرجه أبو داود (٩٠٤) وأحمد في «مسنده» (٢٥٠٤، ٢٦) وابن خزيمة في «صحيحه» (٥٣: ٢) برقم ٩٠٠ من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه: «أبئت النبي ﷺ وهو يصلي - وفي رواية: رأيت النبي ﷺ وهو يصلي - ولصدوه أزيز كآزيز البرجل»
 (٣) «المصنف» لابن أبي شيبة (٢٨٩: ٢)
 (٤) الإمام المحدث المعني العابد خلف بن أيوب أبو سعيد العامري البجلي النخعي، فقيه أهل بئح وراهم، أحد الفقه عن أبي يوسف وابن أبي ليلى، والرهط عن إبراهيم بن أدهم، وسمع الحديث من حوف بن أبي جميلة وإسرائيل وميمر وغيرهم، قال الحافظ الخليلي في «الإرشاد» (١: ٢٧٤) «كثير، فليهم، ثقة، يكثر بالزهد»، وقال في موضع آخر (٣: ٩٢٩) «صدوق مشهور بخرامات» كان يوصف بالسر والصلاح والرهط، وكان فقيهاً على رأي الكوفيين، أي الحنيفة، ومات سنة ٢٠٥ هجرية، رحمه الله تعالى. وانظر سير النبلاء (٩-٥٤١). الناشر

ويروى أن أبا الحسن علياً بن أبي طالب إذا حضر وقت الصلاة يتلوا أي يرتعد - مذهبه ويتلو، فقبل له - مالك يا أمير المؤمنين، فيقول «حاء وقت أمانة عرسها الله على السماوات والأرض والجال غائب أن يحملها وأشفق منها»

وقال علي بن الحسين: «من اهتم بالصلوات الخمس في مواقيتها وإكمال طهورها لم يكن له في الدنيا عيش» كان إذا توصى للصلاة تغير لونه وارتعد، فقبل له في ذلك فقال «أندرون علي من أدخل، وبين يدي من أهد، ولمن أحطب، وماذا يرد علي؟»

وقد طاب بنا جواد القلم هاهنا، وربما من لم يفهم إلا عكس ما نحن بصدده من الصفاء بقول وأي مثاب في ذكر الصلاة هاهنا؟ يقول له يا أخي عليك ص، لا يكن بك ما باء، فإننا قوم يطلب الله أن تكون أوقاتنا كلها صلاة، فمن تربص أنعمنا على الحضور مع الله في الأوقات عسى الرحمة الإلهية تلجئنا بالسابقين، فقد هوننا من الزلات^(١).

والشمس ترقى في قميص أصفر	ولورق تشدوا والأراك تشي
والزهر بين مذكرهم ومذكر	والبروض بين مفضي ومذهب
والنط بين مرغفر ومغفر	والهز مصقول الأباطح والرئي
إلا لفرقة حنين هذا المظير ^(٢)	ما أصفر وجه الشمس عذ عروبيها

(١) أي: هوننا من كثرة الذنوب والآثام من الوصول إلى درجاتهم رضي الله عنهم، وهذا من نواضع المؤلف رضي الله عنه وتزله مع المخاطبين

(٢) الورق: جمع ورقاء، وهي الحمامة

الأراك: شجرة يستاك بعفاتها، ومنها حود الأراك

مفضي: هو ما يسري فيه الماء، أو فيه يياض كالغصة، والمقصود: الزهور البيضاء

منخب: أي أصفر كالذهب يسي به قورود الصغراء.

وكانني بكم إخواني أهملتم ذلك الشرط الذي عهدا في الورد، وهو محاسبة النفس، فلا تهملوه فإنه سبب الريح الديني والديوي والأحروي

[الركن الرابع : الحياء]

ثم يقال لك التفت إلى الركن الرابع، فإذا مكتوب عليه روية الحياء فتخط ألقائك واستحياءاتك من الحلق ومتابعاتك معهم، وتقبل على الله بما وهبته من حلة الحياء والحياء لا يأتي إلا بخير^(١)

وارض اللهم عن سالم مولن أبي حديفة الذي قال فيه ﷺ. «إن سالماً يحب الله حباً لو لم يتحفه ما عصاه»^(٢)، وارض اللهم عن أبي عبيدة ابن الجراح لمقول فيه. «إني أمين هذه الأمة»^(٣) حتى لما قيل لعمر بن الخطاب لما طعن لو استحلقت قال «إن تركتكم فقد ترككم من هو خير مني، وإن استحلقت فقد استحلقت عليكم من هو خير مني، ولو كان أبو عبيدة بن الجراح حباً لاستحلقت، فإن سألني ربي قلت سمعت بيت يقول إني أمين هذه الأمة، ولو

مدرهم: أي مائل الأصمان، أو أبيض شديد البياض، تشبيهاً بفرعم الفضة

مدر: أي أصفر كالدخان، أو لامع مبرق لتلونه

مصفول: مستوفي الاعتدال، أي قليل الانحناء والمتواء

مزعفر: أي وردني اللون لكثرة ورود الوردية

معصم: أي مليء بهيات المصفر، وهو يرتقي اللون، أو كثير الالتواء

(١) وهو حديث أخرجه البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧)، وأحمد (٤٢٧: ٤) من حديث

عمران بن الحصين رضي الله عنه

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٧٧: ١)

(٣) كما ورد في صحيح مسلم (٢٤١٩) أن النبي ﷺ أخذ بيد أبي عبيدة وقال «هذا من

عده لأنت»، وفي صحيح البخاري (٣٧٤٤) ومسلم (٢٤١٩) عن أبي قلابة رضي الله عنه

قوله ﷺ «إن لكل أمة أميناً، وإن أميناً أمينها الأمة أبو عبيدة بن الجراح»

كان سالمٌ مولى أبي حذيفة حياً لاستحلفته، فإن سألني رضي قلت سمعتُ بيث يقول: «ما قدمناه آنفاً»^(١)

ويا للعجب من كون الحياء شعبةً من شُعَبِ الإيمان الصَّحِيح والسَّيِّئ ومع ذلك لا توجد اشعثٌ كُلُّها إلا به، يشاهد ما في الحديث «إذا لم تُشْتَحِ فاصنع ما شئت»^(٢)، أي لم يبقَ لك حاجرٌ ومَنْعٌ يَمْنَعُكَ عن المعصية، فترتَّحُ إذاً ذلك في وادي المتآلف، والله المستعان.

[أهمية الصُّحبة]

فتعلموا البقيين بمجالسة أهل البقي، والحشية بمجالسة أهلها، ولحية بمجالسة أهلها، والخُلُق الحسن بمجالسة أهلها.

وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ «إن لقمان قال لابنه: يا بُنيَّ عليك بمجالسة العلماء، واسمع كلام الحكماء، فإن الله يحيي القلت الميتَ بور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر» رواه الطبراني في «الكبير»، وهو في «الموطأ» الإمام مختصراً، وهو من بلاغات «الموطأ»^(٣)

(١) روى بحر هذا الإمام أحمد في «مسنده» (٦٠ ٢٠) دون تقييده بوقت طمعه، وفيه قوله رضي الله عنه: «لو أدرتني أحد وجلين ثم جعلتُ إليه الأمر لوثقتُ به: سالمٌ مولى أبي حذيفة، وأبو عبيدة بن الجراح»

قلت، في سنده علي بن زيد بن جدعان، قال الحافظ الذهبي في «سير النبلاء» (١٧٠ ١) «علي بن زيد لَين، فإن صحَّ هذا فهو قالٌ على جلالة هذين في نفس عمر.»

(٢) أخرجه البخاري (٦١٢٠) من حديث أبي مسعود البذري رضي الله عنه، وأوله «إن من أدرك للناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحِ ..»

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (٨ ٢٢٥-٢٢٦ برقم ٧٨١٠)، «الموطأ» بروايه البشري (٢ ١٠٠٢)، و«أهراء في أكثر العقائد» (٢٥٥٨٢) إلى العسكري

وعند الطبراني والعسكري عن أبي جُحَيْمَةَ رَفَعَهُ. «جالسوا العلماء، وبادثوا
لكبراء، وحالطوا الحكماء»^(١)، وعن ابن عباس: «قيل يا رسول الله من يجالس؟
أو قال: ألي جلسائنا خير؟ قال: «مَنْ ذَكَرَكُمْ اللَّهَ رُؤْيَتْهُ وَزَادَ فِي عِلْمِكُمْ مِنْجَلُهُ،
وَذَكَرَكُمْ الْآخِرَةَ عَمِلُهُ»، رَوَاهُ الْعَسْكَرِيُّ»^(٢)

فهت أنكم لا تجدون مع من تجلسون، أليس مولانا الولد^(٣) يملأ أعين
من هم أعلى مِنكُمْ ١؟ فلا رموا مجالسته ولا تطروا إلا لأفعاله، ولا تهتدوا
بلا بهذيه، نعم الناصح ونعم المؤدب، ونعم السيد ونعم الهمام، ونعم الحليل
ونعم الأخ ونعم الرفيق، فلا تَفُشُوا إخواني أنفسكم، ولا تذهبن بكم الأباطيل

[الدعوة إلى تفقد الإخوان ومحبتهم]

وعهد الله بيسا^(٤) إن لم تصفدوا أحاسنا وإخوانا أيما كانوا، ولا تدعوا
لشيطان يبعث بهم، ولا تريدوهم على محبتنا فيكم، وهل جراء الإحسان إلا
الإحسان؟ وما جراء من يُبعث إلا أن يُحب، وفي الحديث: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ

(١) «المعجم الكبير للطبراني (٢٢ ١٢٥ رقم ٣٢٤)، ولكن يلغظ «جالسوا الكبراء، وبادثوا
العلماء، وحالطوا الحكماء»، وعنده كذلك رقم (٣٢٣): «جالس العلماء، وبادث الكبراء،
وحالط الحكماء»، وهو نفس سياق المصنف ولكن بحيغة الأفراد

(٢) جراء إلى العسكري في «الأمثال الهندية في أكثر الأمثال» (٢٥٥٨٨)

(٣) والد هو الإمام العلامة المفسر الفقيه المجهذ المحدث الحافظ أبو المكارم عبد الكبير بن
محمد بن عبد الواحد الكتاني، ولد عام ١٢٦٨، وتوفي عام ١٣٣٣، وكان متعانياً في العلم
والتميز والدعوة إلى الله تعالى، أُنشئ عمره في ذلك، وكان كثير التهجيد، بل لا يروح
جنبه حتى يقوم قُرْحاً من أجل قيام الليل، صوّم، ذكّراً، حافظاً للكتب الستة، يستحضر
أحاديثها كأصابع يده، وله مؤلفات منها «تُرْدُ الصَّوْلَامِ وَالْأَسْئَةِ فِي الدُّثِّ عَنِ السَّيِّئِ»،
وكتاب في ومرتته رحمته، وكتاب في شرح آيات «نوصاً بقاء الميث»، و«سجود المهتدين»
في نصرة الصوفية في مسألة الرخص. وغير ذلك ما يقرب من الأربعين مؤلفاً أو يزيد

(٤) والتفسير: تكونون قد خالفتموه

وجد حلاوة الإيمان وطعمه أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء في الله ويغض في الله تعالى، وأن توقد ناراً عظيمة فيقع فيها أحب إليه من أن يشرك بالله شيئاً، رواه البخاري ومسلم والترمذي^(١)

وعن أبي هريرة مرفوعاً «من سره أن يجد حلاوة الإيمان فيحب المرء لا يحبه إلا الله» رواه الحاكم^(٢) وعن ابن عباس رفته «إن الله جلوس يوم القيامة عن يمين العرش، وكلنا يذني الله يمين، على منابر من النور، وجوههم من انور، يسوا بأبياء ولا شهداء ولا صديقين»، قيل يا رسول الله من هم؟ قال «هم للمتحابون بجلال الله»، رواه أحمد^(٣) وعن أبي سعيد الخدري رفته «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي» رواه ابن حبان في «صحيحه»^(٤)

اللهم رزقنا يا أرحم الراحمين اعتقاداً إليك بقدر استعانتك عنا، ويرحم الله أب الحسن علياً بن أبي طالب فإنه دخلت له رقعة من عند بعض رعيته، وهو الحارث بن ضغصعة، يتظلم من أحد فوقع تحتها «ومر لك بأحيك كنه؟»، في ما أعطها من كلمة

وعن سيدنا أبي هريرة رفته «إن رجلاً رار أحاً له في قرية أخرى، فأرصد الله على مذكرته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أحاً بي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة ترثيها؟»^(٥) قال لا، غير أنني أحسته في

(١) صحيح البخاري (١٦)، وصحيح مسلم (٦٧، ٦٨)، وجامع الترمذي (٢٦٢٤) من حديث أنس رضي الله عنه

(٢) المستدرک للحاکم (٣، ١)، وأخرجه أحمد في «مسنده» (٢٩٨: ٢، ٥٢٠)

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢: ١٢٤) برقم ١٢٦٨٦، قال الحافظ الهيثمي في «المجمع» (١٠: ٤٩١) «رواه الطبراني ورجاله وثقوا»، ولم يمره لأحمد، ولم أحده به

(٤) برقم (٥٥٤) و(٥٦)، وأخرجه كذلك للترمذي (٢٣٩٥)، وأبو داود (٤٨٣٢)، وأحمد (٣٨ ٣)

(٥) ترثيها أي تقوم بإصلاحها وتنهض إليها.

الله عز وجل، قال فلاني رسول الله إليك، بأن الله تعالى قد أحك كما أحبه فيه، رواه مسلم في صحيحه^(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما رفعه: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره» رواه الترمذي وحسنه^(٢).
وعن أنس بن مالك رفعه: «ما تحابَّ رجلان في الله تعالى إلا كان أحبهما الله أشدهما حباً لصاحبه» رواه الطبراني وأبو يعلى^(٣).

وكان مولانا رسول الله كثيراً ما يزور رجلاً مكشوف النحر بالعديّة، ويجلس عنده وفي الحديث «من رآه أضاء المسلم شيعته سبعون ألف ملك يصلون عليه ويقولون: اللهم كما وصله فيك قصده»^(٤) وفي حديث البحري ومسلم «سبعة يطهرهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»، ومنهم «شاة بشا في عدة لله، ورجل فنه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه»^(٥).

(١) صحيح مسلم (٣٨)، وهو عند الترمذي (٢٣٩١)، وأحمد (٤٣٩.٢)، وابن حزيمة (٣٥٨)، وغيرهم.

(٢) الجامع الصحيح للترمذي (١٩٤٤)، وقال هذا حديث حسن غريب وأخرجه أيضاً الحاكم في المستدرك (٤١٣٠١)، والدارمي (٢٨٤:٢ برقم ٢٤٢٧)، وابن حزيمة (٢٥٢٩).

(٣) المعجم الكبير للطبراني (٣٦:٢٠ برقم ٥٢)، مسند أبي يعلى (٦٦٣ برقم ٣٤١٩)، وأخرجه كذلك البرار (٣٦٠٠)، وابن حبان (٥٦٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٤٤)، والحاكم في المستدرك (١٧١:٤) قال الحافظ الهيثمي في مجمع برره (٢٧٦:١٠): «رجال أبي يعلى والبرار رجال الصحيح غير مبارك بن فضالة، وقد وثقه غير واحد على ضعفه».

قيل: ومبارك مدلس، ولكنه صرح بالسماح كما في صحيح ابن حبان، والأدب المفرد، فقال المحدود من روايته إن شاء الله تعالى.

(٤) حواه في أكر العمال (٢٤٦٦٤) إلى حلية الأولياء، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) وقد تقدم.

وعن أبي مسلم قال قلت لمعاد: والله إني لأحبك لعير ديا أرحو أن أصيبها منك، ولا قرابة بيني وبينك، قال: فلاي شيء؟ قلت: لله تعالى قد مجذب جنوتي، ثم قال أبشر إن كنت صادقاً، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «المتحابون في الله في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، يغطهم بمكانهم السيون والشهداء والصديقون»، قال: ولقيت عبادة بن الصامت يحدثه بحديث معاد، فقال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول عن ربه تبارك وتعالى: «حَفَّتْ محبتي على المتحابين فيّ، وَحَفَّتْ محبتي على المتناصبين فيّ»، وَحَفَّتْ محبتي على المتراورين فيّ، وَحَفَّتْ محبتي على المتبادلين فيّ، هم على صابر من يور يغطهم السيون والشهداء والصديقون [بمكانهم]، رواه ابن حبان في «صحيحه»^(١)

وفي حديث شرحبيل بن السمط عن عمرو بن عبسة وفي آخره: «وقد حفت محبتي للذين يتصادقون من أجلي»^(٢)

ليبعوا إخواني ديباكم بأحراكم، ولا تبيعوا أحراكم بديباكم فيصدق حديث قول الله: ﴿أَذَقْتُمْ طِينَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَقْتُم بِهَا﴾ [الأحزاب: ٢٠]، فروروا في الله إخوانكم، وأطعموا في الله، وتناصبوا في الله، وتصادقوا في الله، وتنادبوا في الله، ونجالوا في الله، وأعطوا الله، ونحائبوا الله وفي الله وبالله، وعظموا بعضكم بعضاً، وتعاموا عن ركأت بعضكم بعضاً، فمن لك بأخيت كله؟

(١) «صحيح ابن حبان» (٢٢٨: ٢) رقم ٥٧٧ من الإحسان) قال محققه الشيخ شبيب الأرمازوط: «إسناده جيد» وأخرجه الترمذي (٢٢٩٠)، وأحمد في «مسند» (٢٢٩٠٥)، والطبراني في «الكبير» (٧٨: ٢٠) بالأرقام ١٤٤-١٤٩، ١٥١، ١٦٧، وأبو نعيم في «الحلية» (١٣١ ٢) و(١٢١-١٢٢)

(٢) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠ ٢٢٢)، وابن أبي الدنيا في كتاب «الإخوان» (٩٨)

[الخاتمة]

وميسألنا الحق عن النعيم، فإنه بين وقتز ورغب ورغب وسدّر وأسدّر،
ويروى أن جابراً الجعفي قال: دخلت على الباقر فقال: ما تقول أرباب التأويل
في قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَنُنَازِلَنَّ يَوْمَ يُلَوحِي السَّيْحُ﴾ [التكاثر: ٨]؟ فقلت: يقولون
الظل والماء البارد فقال: لو أنك أدخلت بيتك أحداً وأقعدته في ظل وأسقيته
ماء بارداً، أثمر عليه؟ فقلت: لا، قال: فالله أكرم من أن يُطعم عبده ويسقيه
ثم يسأله عنه، فقلت: ما تأويله؟ قال: النعيم هو رسول الله ﷺ، أنعم الله به
على هذا العالم، فاستنقذهم به من الضلالة، أما سمعت قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ
اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ولا يُعترض عليه هذا التفسير بعد تفسيره ﷺ، لأنه قال «ما تقول أرباب
التأويل؟»، ومعلوم الفرق بين التفسير والتأويل، والتأويل لا يعلمه إلا الراشعون
في العلم بطريق الفكر المور والبصيرة المطهرة، ﴿وَأَنَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

فاجتهدوا في أن تركبوا في هذه السفينة، فما بعد دكوبها إلا الوصول،
لكن

إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَسْرِ^(١)

(١) وهو شرط بيت أبي الغنمية، يقول فيه

نرجو النجاة ولم تسلك مآلكها إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَسْرِ
وقد جرى مثلاً، انظر: «موسوعة الأمثال العربية» (١: ١١٧)، ومقصوده: المحض على
اتحاد الأسباب والمخزم فيها

وَكَيْتُ أَرَدْتُ أَنْ أَدْكُرَ مَحَلَّ جَرِيَانِهَا، وَبِمَ تَجْرِي، وَمِنْ أَيْنَ مَبْدُؤِهَا، وَإِلَى
 أَيْنَ تَنْتَهِي، وَمَا يَرَى رَاكِبُهَا فِي الطَّرِيقِ مِنَ التَّأْثِيرِ وَالْمَحَاوِفِ، لَكِنْ مَنَعَنِي مِنْ
 ذَلِكَ لَصَغَفٌ^(١)، وَحَمَتُ أَنْ أُرِيدَ مِنْ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْكُمْ بَرِيَادَةَ الْبَيَانِ، إِنَّ اللَّهَ
 كَرَّ الْبَيَانَ كُلَّ الْبَيَانِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ^(٢)

وَأَسْتَعْمُرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، وَأَشْكُرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، وَأَسْتَوْهِبُهُ لِي وَلَكُمْ،
 وَأَسْتَرحِمُهُ لِي وَلَكُمْ، إِنَّهُ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ، وَالصَّلَاةُ عَلَى الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ، وَآلِهِ
 وَصَحْبِهِ وَشِبَعَتِهِ، وَالسَّلَامُ



(١) أي ضعف الناس عن مراد البظة وإقامة الحجة

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨: ١٩٤-١٩٥ برقم ٧٦٩٥) من حديث أبي أمامة رضي الله
 عنه. قال الحافظ الهيثمي في «المجمع» (٨: ١١٦): في إسناده عيسى بن معدان، وهو
 ضعيف

النفاثس الكتانية

٣

نسخة مَن غابَ عنه المُطَرِّب

تأليف

الإمام أبي الفبض محمد بن عبد الكبر الكتاني

المستشهد بفاس سنة ١٣٢٧ هجرية

رضي الله عنه

لَسْمُ الرَّبِّ إِذَا رَأَى رَجُلًا يَسُبُّ اللَّهَ
 اِسْمُهُ يَكُونُ لِلَّهِ وَفِيهِ سَمٌ

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صل على سيدنا ومولانا أحمد، كهيب الذات، ولوح التشكلات، وآله وصحبه وسلم.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ رتقي الأسودجات، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على بساط الأسماء
وانصرفت، ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ بجميع ذرات المُقْبَلَات، ﴿مَلِكِ يَوْمِ
الدِّينِ﴾ لفنك عُرنى أضرار التشكيكات والإبهامات والإبهامات في صورة
غيايات جُتْ فزادني ثلاث حَيَاتٍ^(١)، ﴿إِنَّا كَ نَعْبُدُكَ﴾ على بساط ١٥
تَجَرَّدَتِ اللطائف من الشكوك كست الصورة رونقاً وبهاء بإراحة الحيات،
﴿وَإِنَّا كَ نَسْتَعِينُكَ﴾ في الاصطفاف بأنات القربان ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَدَهَلُ
كُلُّ مَرِيضَةٍ مِمَّا أَرْضَعَتْ وَتَصْعُ كُلُّ مَاتٍ حَمْلًا حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَى وَمَا هُمْ
بِسُكَرَى﴾ [الحج ٢]، بنفث ﴿وَرَبَطَا عَلَى قُلُوبِهِمَا﴾ أزرر المكفحات والتلقيات ١٥
قدموا على شأن «إنما أنا عبدٌ أكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس
العبد»^(٢)، عبد همس الفهواتيات^(٣)، ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ بانسني في

(١) إشارة إلى حديث أبي أمامة مرفوعاً: «إن الله وعدي أن يدخل الجنة من أمي ألفاً بعير
حساب» فقال يريد بن الأحس والله ما أولئك في أمك إلا كالغاب الأصهب في الدباب،
قال رسول الله ﷺ «قد وعدي سبعين ألفاً مع كل ألف سجود ألفاً ورادي ثلاث
حيات» رواه أحمد (٢٥٠ ٥) والترمذي (٢٤٣٧) وقال هذا حديث حسن غريب و
ماجة (٤٢٨٦)، وقال المقرئ في الترفيع (٤١٨ ٤) ورواه محتج بهم في الصحيح

(٢) مرأ في مجمع الروائد - أبي الهيثمي - (٢١ ٩) إلى البرار وقال وفيه حمص بن عبارة الطحفي
ولم أهره، وفيه رجاله وثقوا (أما) بنير قوله «أجلس» . . .، ولكن أورد آثاراً بمعناه

(٣) يقال فهوت هت أي سهوت

مُسميات: «أوتيت جوامع الكلم»^(١)، في بساط بحثية الوجود المطلق على برزخية «وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في حجة عدن»^(٢) باستهلاك الاثنيثبات في بساط الماديات، «صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» بأن مُبْزُوا للسقي من التجليات الداتية مع نعت المجاهدات «إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ» عديدة مجهولة العين والأثر «لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ»^(٣) [الأعراف: ٢٠٦]، في جدول: «إِذَا السَّاجِدُ سَجَدَ عَلَى قَدَمِ الرَّحْمَنِ»، «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ»، «غَيْرَ الْمَعْصُومِ عَلَيْهِمْ» بالصبر على مقتضى السياسة ينال شرف الرياسة / ١/، لأن النفوس المتجوهرة تترك الشهوات البهيمية طبعاً لا خوفاً على ناموس الخيالات، «وَلَا الضَّالِّينَ» في ميادين التحكيمات العقلية الظلمانية المستقرة تحت مقعر فلك القهر، وكل ذلك في عالم لكثافات، والوجود المطلق عز إدراكه حتى من باب الإطلاقات^(٤)

أما بعد، فيقول محمد بن عبد الكبير الأحمدى الإبراهيمي الصديقي لأويسى الكتاني: هذا قانون سناه: «نسخة من غاب عنه المطرب»

[المقدمة: في العدل]

وإن أحق ما استحكمت فيه نفوس أولي النظر وانقادت إليه آراء أهل الفكر وحلت الشبهة عنه نواظر المتصفحين، وأصمت به عرائنها قلوب المعشرين العدل، فإنه شُع^(٥) العقل، وجلبق^(٥) النهر، وجسود الفهم، وعدو الهوى، وبه امتاز الوجود الحق

(١) أخرجه مسلم (٥٢٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه، والإمام أحمد في «مسنده» (٢) (٣١٤)
(٢) أخرجه البخاري (٧٤٤٤) عن عبد الله بن قيس رضي الله عنه بلفظ «الكبر»، وسنن كتاب الإيمان (١٨٠)

(٣) هذه مقدمة بلسان جامع لدي، فحبل معرفتها للفوق لطول شرحها وعشر.

(٤) السج بالضم اليمن والبركة

(٥) جلبق: أي وعاء، والمقصود محل نهر المعرفة.

وسحق لنحسب بالحوزة لأجل هذا احتل نظام العالم، ولم يقم على ساق، ﴿طَهَّرَ الْعَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِمَّا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم: ٤١]، غالباء نقول نحن هاهنا جرئية أي طهر العساد والاحتلال والاعوجاج في البر والبحر جراء عما كت أيدى الناس، أي الدين نسوا توفية العهد الذي عاهدوا الحق عليه، فلم يوفوا بنهاهم الذي قام بهم هذا الوصف

وأما الدين ليسوا بتاسي، أعني الدين لم يسوا العهد الذي بين الرب والمربوب في حصرة الدر، وهذا وصف دميم عذ من لا يفقه لمسائل الإلهية، ووصف حميد عند الفقيه، فوفوا أحق ما عاهدوا عليه، ومهم الحلين صدوت لله وسلامه عبه مومني، وفي القرآن ﴿وَاتَّخِذِ الَّذِينَ وَقَّعُوا﴾ [الحج: ٣٧]، مومني الحق هذه معهم مصرهم ﴿وَكَانَ حَقًّا طَلَبًا نَقَرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ولم يصيب أجرهم كما قال يوسف الخنسر. ﴿إِنَّكُمْ مَنْ يَنْتَقِي وَرَتَضِدَ فَإِنَّكَ اللَّهُ لَا يُصْبِحُ أَجْرَ الْمُتَحَيِّرِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]، بل حفظ من بقذ منهم حيث قال ﴿وَكَانَ أَوْفَاهَا صِدْقًا﴾ [الكهف: ٨٢]، وكان بينهما مسكون جذاء، ومع ذلك خيهو بصلاحه^(١)

[الحق تعالى جامع للإطلاق والتقييد]

وينفذ لك يا ولي مائة إلهية، وهي أن الحق قيد معه، فهو جامع للإطلاق والتقييد، والمحال هو أن يقيد بمقولنا، وآرائنا، أما هو حيث قيد معه فليس لنا إلا الإيمان بالعيب

(١) قال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية في كتابه «الدر المشور في التفسير بالمأثور» (٥: ٤٢٢) «حفظ الصلاح لأيهما وما ذكر عنهما صلاحاً، وأخرج من أبي حاتم عن ابن عباس قال إن الله يصلح بصلاح الرجل ولده وولد ولده ويحفظه في دينه... وأخرج أحمد في «الزهد» عن كعب قال إن الله يخلب العبد المؤمن في ولده ثمانين عاماً»

وهب أنا لم مطلع على ماهية المسألة مؤمن بها إيماناً بالغيب، وبأن
الإيمان بالغيب يا وليّ باب متسع المجال فلا ينحصر

ولما كان كلام الحق من هذا القيل ولا يسع سامعه إلا التصديق، صدر الحق
دباجة كتابه فقال ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلتَّقِيّينَ﴾ (البقرة ٢)، ثم شر
المتفكير. ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ (البقرة ٣)، فهي قاعدة كلية لا تحرم ولو جتمع
الأنبياء والمرسلون على هذه الآية بحسب مكنوناتها عند الله ما قدرُوا قدرَه

فإن كثيراً ممن يدّعي الإيمان بالغيب لو فتح الله له أبواب العيوب لاحت
إيمانه ولم يثبت لعدم موافقته إلا لعالم المحسوسات

[سر تحسرننا على المعترضين علينا من أهل الغفلة]

ومن هذا ينقدح لك معنى تحسرننا على من يعترض علينا في إقرارنا للعلوم
المحارحة عن طور العقول الظلمانية، فلو آمن بها إيماناً بالغيب لأمن بالحق وأن
له شؤناً غيبية لا تقلبها العقول التنفيذية، لكن لما أنكرنا علمنا أنه لو برقت
عليه بورق هي غيوبات الميصر الأقدس لربما نمايلت شجرة إيمانه فتشتر أوراق
شعب إيمانه، وفي الحديث «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحب لأخيه ما
يحب لنفسه»^(١)، لأن من أطلع على تراكيب الكائنات وجد هذه الجزئيات متحدداً
بعضها ببعض، وهذا مرتبط بهذا، ومتصل به كما أصبح عن ذلك حديث
«المؤمن مرآة المؤمن»^(٢)

ولا بمعنى أنك إن قابلت من جهة اليمين والشمال والعروق والتحت
مراشي، بالضرورة ما هنا بعكس هاهنا وبالعكس، فقله «المؤمن مرآة / ٣ /

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٧١، ٧٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ولكن
لفظ: «لا يؤمن أحدكم حتى...»

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

أخيه^(١) المراد أن الانفعال الظاهر في هذه المرأة والمؤثر في هذه هو أثر تأثير الأسماء والصفات، المراد: أن ما في هذه المرأة يظهر في هذه

ولا يحسن أنا إذا قابلنا شخصاً لا نطلع على ما في سرائره إلا من ومن^(٢)، وعليه فيتصح معنى الحديث بما تلوناه

وهذا الحديث يا ولي من أمهات الأحاديث المأخوذ منها تحقيق المسائل الإلهية الفلسفية.

[سبب اختلاف الطبائع في الإنسان]

ولما كانت هذه الهياكل مركبة من إطلاقي وتقييد، وكان لوصف على طرفي يقص صار كل شكل يجر إلى أصله. فالكثافات المصرية تجذب إلى وكر عاصرها الظلمانية، فلا تألف إلا ارتكاب الواهي ومجاجة الأوامر، وعدم انشئ على متر الأخلاق وشيم المكارم، واللطافات لاحقة بعوالمها فلا تألف إلا أمثال الأوامر، فلا تقدر على الرجز والإقماص من المحطات الإلهية، لأنها على بساط القرب فلا تألف إلا مقتضيات المعصية فهما دائماً هي لشاجر والشاغر

فالاشكال لاحقة بأشكالها كما أن الأخذات مابئة لأصدهاء، وفي معنى الشاغر

هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ وَرَقَاءُ دَاثُ نَعَارٍ وَنَمُجِ^(٣)

(١) أخرجه الترمذي (٢٩١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ «المؤمن مرآة المؤمن» وفي محل آخر (١٩٢٩): «إن أحدكم مرآة أخيه»

(٢) أي: (لا بصحوة ومشقة

(٣) ورقاء: أي حمالة

- محبوبة من كل ثقلية عارف
 وصدت علي كثره إليك وربما
 أبقت وما أبقت^(٢) فلما وصلت
 وأصها نسيث عهوداً بالحمى
 حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها^(٥)
 عرفت بها هاء التقبل فأصبحت
 نكي وقد نسيث عهوداً بالحمى
 حتى إذا قرأت المسير إلى اليمن
 وغدت تُغرد فوق دروة شامي
 ونسوة هالمة بكل خفية
 هبوطها إذ كان ضربة لارم
 فلاي شيء أنطط من شامي
- وهي التي سقرت ولم تتركع^(١)
 كرهت فراقك وهي ذات تمجع^(٢)
 أبقت^(٣) مجاورة الحراب التفع^(٤)
 ونارلاً بفراقها لم تنفع
 من لبح مركزها بذات الأجرع^(٥)
 بين المعالم والطلول الخضع
 بمدامع تهبي ولما تفلع^(٦)
 ودنا الرحيل إلى العشاء لاومع
 والعلم يرفع كل / ١ / من لم يرفع^(٧)
 في العالين فخرقها لم يرفع^(٨)
 لتكون سامعة لما لم تسمع^(٩)
 سام إلى فقر الحبيب الأوقع^(١٠)

(١) سقرت ولم تتركع: أي أظهرت جمالها دون ستره

(٢) ألفت: أي ما تربت، أو ما قامت للتزاع

(٣) أبقت: محل

(٤) التفع الأرض القمر

(٥) هاء هبوطها أي بداية هبوطها أو حيث ظهر هبوطها

(٦) الأجرع أي منها ما به حجارة، ومنها رمل أي قلبية صعبة وعند الدكتور أحمد فؤاد الأهواني في كتابه من ابن سينا ص ٨٦ «هي ميم مركزها» على أن عنده سقطاً في الأبيات التي أوردها

(٧) في المصدر السابق نكي إذا ذكرت دياراً بالحمى

(٨) في المصدر السابق ويد تغرد

(٩) في المصدر السابق

هبوطها - إن كان ضربة لارم - لتكون سامعة بما لم تسمع

(١٠) في المصدر السابق: لارم بدل لارم، والأوضح بدل: الأوقع

إن كان أرمها الإله لحكمة طويت عن القطر الملبب الأروع^(١)
 إذ عاقها اثر^(٢) الكثيف فصدها قصص عن الأوج الفسيح الأروع
 فكأنها نزلت نال^(٣) بالحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمع^(٤)

وكان لا سبل إلى صبرورة عين النفس والروح واحدة إلا بسوك من الرياضة
 والمجاهدة، وإلا بقي الإنسان ميوداً بالمرء وهو سقيم، فلا خير عده ولا حتر

[حال صوفية الزمان]

وهذا يا وليّ بطريق الانصاف هو حال صوفية الزمان، فتجدهم قد مضت
 سواك عديدة وهم في الأذكار والمجاهدات ولم تظهر لنا ثمرة مواجيدهم ولا
 شطحاتهم، ولا كثرة لقبهم بالأشباح ولا كثرة سياحتهم^(٥)، فأين ذهب ما ذكر؟
 مع ما انطوا عليه من كثرة البخل والحمد والتباعد والشحاء، من تحجير الحق
 في طريق واحد، وأنه لا يصل إليه إلا من سلك طريقهم، فقلوا وأصلوا وظنوا
 أنهم قد رعموا بسلوكهم طريق الله، ورحم الله الجيد حيث أنشد لم رأى فساد
 الحال

أهل التصوف قد مضوا صار التصوف محرفة
 صار التصوف رثوة وسجادة ومسرلة

(١) الأروع أفضل، من رائع ويوجد بتر في الشطر الأول بمقدار كلمة واحدة لا يستقيم انور
 بدونها. وهي، إن كان أمبها لحكمة [...].، فجبرت الشطر من المصدر السابق

(٢) الشره: فعل، مبالغة من الشرود أي الشرد الهارب. وفي المصدر السابق: الشرك

(٣) نال: ارتفع وعلا

(٤) وهذه القصيدة هي حيلة ابن سيا المعروفة وقد نقلها الدكتور أحمد مؤاد الأماني، في

ترجمة ابن سيا ضمن سلسلة "نوايغ الفكر العربي" ص ٨٥، مع اختلاف وزيادة

ونقصان، واختلاف في التركيب عما بين يدينا

(٥) في الأصل يحط التاسع: سياحتهم

صَارَ النَّصْرُ مِنْ صِبْحَةٍ وَتَوَاجُدًا وَمَطِئَةً
كَذَلِكَ نَفْسُكَ لَيْسَ فِي مَنِّ الطَّرِيقِ التُّلُجَةُ

والله ما كما نسمع الطريق هكذا، مما كانت الطريق إلا بالمشاورة على مريض
لكلاب^(١) مجاهدة، وتحمل الأذى وكفه رياضة، والرحمة والشفقة والمطف
على الفقراء والمسلمين كافة تحقيقاً ومعرفة

أين هم من أهل الصفة ومن مطلق من وصفهم ذو النون المصري فقال
«هم قومٌ ذكروا الله بقلوبهم تعظيماً لربهم لمعرفةهم / ٥ / بجلاله، فهم حجع الله
على حقه، ألبسهم الله النور الساطع من محبته، ورفع لهم أعلام الهداية إلى
مواصلته، وأقامهم مقام الأبطال لإرادته، وأفرغ عليهم الصبر من محالته،
وطهر أبدانهم بمراقبته، وطيبهم بطيب أهل معاملته، وكساهم حلالاً من سح
مودته، ووضع على رؤوسهم تيجان مسرته، ثم أودع القلوب من دحائر
العيوب، فهي معققة بمواصلته، فبهمتهم إليه سائرة، وأحبهم بالعيب إليه
ناظرة، أقدتهم على باب النظر من قرباته، وأجلستهم على كرسي أطباء أهل
معرفة، ثم قال عز وجل «إِنْ أَنْتُمْ عَلَيَّ مِنْ هَدْيٍ هَدَاوَهُ، أَوْ مَرِيضٍ مِنْ
فَرْقٍ هَدَاوَهُ، أَوْ حَالَةٍ مِنْ فَاوَهُ، أَوْ آمَنٍ مِنْ فَعْدَوَهُ، أَوْ رَاهِبٍ مِنْ
مَوَاصِلِي هَدَاوَهُ، أَوْ رَاحِلٍ مِنْ فَرْدَوَهُ، أَوْ جَبَانٍ مِنْ مَنَاجِرِي هَدَاوَهُ، أَوْ
أَيٍّ مِنْ فَضْلِي هَدَاوَهُ، أَوْ رَاحٍ لِإِحْسَانِي هَدَاوَهُ، أَوْ خَسِرَ الظَّنَّ مِنْ هَدَاوَهُ،
أَوْ مَحَبٍّ مِنْ هَدَاوَهُ، أَوْ مَعْظَمٍ لِقَدْرِي هَدَاوَهُ، أَوْ مَسِيءٍ بَعْدَ إِحْسَانٍ هَدَاوَهُ، أَوْ
مُسْتَرَشِدٍ نَحْوِي هَدَاوَهُ»... إلى آخر كلامه.

هذه أحوال العارفين، وهكذا يا وليّ تكون همارة البواطن ومكرم
الأسرار، وقد ثبت تفريع النبي صلى الله عليه به لأصحابه المعذنين بمكة على

(١) إشارة إلى التواضع وحسن النفس لا على ظاهر اللط

إسلامهم، ومهم حيات ربي الله عنه، وقاسى بلاء شديداً من أجل إسلامه، وقال شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه به ما تلقاه من البلاء وقدنا ألا تدعُ الله لنا؟! ألا نستصبر لنا؟! فجلس مُخْمَراً وجهه ثم قال «والله من كان قبلكم يزحذ الرجل فيوضع المشار على رأسه، فيشق باثنتين ما يصرفه عن دينه شيء»، ويُعْشَطُ بأمشاط الحديد ما بين عصبٍ ولحمٍ ما يصرفه عن دينه شيء»^(١)

أردتُ أن أكتبَ رسالةً لنفسي قصد محاورتها ومناظرتها وبيدها حواراتها ومعانيها وإنصافي منها، وذلك /٦/ لأن محبتي فيها لها، لاني

[الفرق بين مَنْ أحبك لك وَمَنْ أحبك لنفسك]

وكل من أحبك لك أبرر من معاييك وصانحك ما تقر به عيبك يوم تجد كل نفسٍ ما عملت من خيرٍ محضراً.

ومن أحبك لنفسك كتمَ معاييك، ودامت محبته لك على بساط المداراة والمدحمة، ونشت الصعوبة، وبش ابنُ عَشيرةٍ من يرضى بها وهو يذمي علوُ الهمة، وأما قول

وعين الرضى عن كل عيبٍ كليلٌ ولكن عين الشُّحط تُبدي المسوي
فهو مقام من يحبك لنفسه، لا من يحبك لنفسك، وفي كلام أرسطوطاليس الحكيم^(٢) من لم يُردك لنفسك فهو الثاني منك وإن كان قريباً، ومن أَرَدَكَ لنفسك فهو القريب، وإن تَنَاءَى قرابة.

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٢)، وأبو داود (٢٦٤٩)، والنسائي (٢٠٨٠٨)

(٢) العمل في هذه المسألة نقلٌ عقلي فلسفي، ولذلك كان دأب العلماء في هذه المواضع دجاجة النقل ممن سبق هذه الأمة من الحكماء والعقلاء، ومهم فلاسفة اليونان كأرسطو، وأرسطوطاليس، وأفلاطون، وسقراط وغيرهم، انظر كتب المراتبي والرازي وابن تيمية وابن القيم وغيرهم ممن تطرقوا إلى العقليات

وقال أيضاً: إذا تجوهرت النفوس الفلسفية لحقت بالعالم العلوي، ولا تسكن إلى الهوم الترابية ولا يعترضها زللٌ وإيّاك والاكتفاء والتطبع والتكحل، فقد قال الحكيم أيضاً مديّة لتكفب للمصنوع كمداينة الحق بالباطل وقال من ظهرت معجراته في المعاني ليس انتكحل بالعينين كالكتحل

[علل الأفهام أشد من علل الأجسام]

على أن من أصيب في جسمانيته فقد يُعرض على عفاقر الطب فتعمل فيه بخلاف من أصيب بداء الرضى عن النفس أو الجهل أو قلة التدبر في الأشياء، أو قلة حُسن السياسة، فداؤه أعظم

وقد قال الحكيم: «علل الأفهام أشد من علل الأجسام». ومن كلام أفلاطون: من الفحيح أن تمتنع من الطعام اللذيذ لتصح أجسامنا ولا تمتنع من القباح لتقوى بذلك أنفسنا.

فترى الإنسان يذهب الحكمة والعقل والتمييز والرأي السليمة فإذا سمع أحداً يشتمه غضب عصباً معه من سائر ملأه، وكان من حقه إذا سمع من يتكلم فيه أن يجرد نفسه ويقول: يا نفس! إن كان هذا فيك فلاي شيء تعصين^(١)، ومن هذا إلا حمقٌ وجهلٌ مرتك ونعامٌ حينئذ من يتكلم فيه شيء، لأنه أظنعه على عيوب كدية فيه ولا يطلع هو عليها إلا بمرشد، وهذا قد شذّره في هذه / ٧ / المنقبة فيتحل في هذه المسألة

وإن لم يكن فيه ما وُصفَ فما معنى الغضب ولاي شيء يصغر ويحقر ويررق^{١٩} فيشكر الله حيث قدّمه من ذلك النقص المسبب إليه، ويحزن على

(١) في الأصل يحط الناسخ: تعصب

حسبنا أحبه كيف اجبنت من أصلها ووصعت في صحيفة هذا المتكلم فيه،
كأنه يعصب على نفسه أن وقعت في مثل هذا

وهذا الحلق من شعب الإيمان: «وأن تحب لأخيك ما تحب لنفسك»^(١)،
ثم إنك لا تتكلم في المتكلم فيك وهو غائب، لأنها عيبة، وهي تعظم عند الله
بقدر سن وثلاثين زينة إن كان ما تكلمت به فيه، وإن لم يكن فيه فقد بهته،
واسحق يقول ﴿هَذَا تَهْنِئٌ عَظِيمٌ ۖ يَوْمَ تُكَلِّمُ اللَّهُ أَنْ تَقْرُدُوا لِيُعْلَمَ بِهِ أَتَدْرِكُونَ﴾
[الرر ١٦-١٧]، فشرط عدم العود إليه بكونه مؤمناً، فإن لم يكن كامل الإيمان
عاد إليه، ولا يحلو أبداً من أن تعبئه والشارع يقول «لا تظهر لشماتة بأحد
فيما فيه الله ويبتليك»^(٢)

[خصائص النفس لا تزول]

وبني يا وليي ممن يقول بوجوب النفس، ولا يصح عدي انقطع صفاتها
أبداً ولا خباثتها لأن مذهبها أن البقية لا تنقطع، ومنها تبجس مقتضيات
الأخلاق والمواد

ومن كلام أرسطو: «النفوس المتجوهرة تأبى مقارنة الدل جداءً وأي دل
أعظم من تحكّم النفس في الإنسان، ومهما تحكّم فيها وأنها من محسوساتها
حيث حياة دائمة لا تنقطع، والنفوس الدنية بضد ذلك، ترى موتها موتها مع أن
موتها حباثتها

ومن كلام أرسطو في رسالة للإسكندر «واجتمع في سياستك بين يدار أي
عقل لا حدة فيه ورأي لا ضلّة معه، وامزج كل شكل بشكله حتى تزداد قوة،

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١- ٨٨- ٨٩) عن علي بن عبد السلام، وابن ماجه (١٤٣٢)،
والدارمي، في سننه (٢: ٣٥٧ برقم ٢٦٣٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٠٦)، وغيره

وكن عبداً للحق بعيداً الحق حراً، وليكن وَكُرُكُ الإحسان إلى الحلول، ومن الإحسان وضعُ الإساءة في موضعها، وكن نصيح نفسك فليس لك أراءُ بك منك، ومهما أخطأك شيءٌ فلا يحطيك الفكرُ في الرحيل عن هذه الدار ^(١) إلح

على أن من رضي بجميع ما يصدر منه شُيِّرَتْ عنه مفاصله، وظهرت كمالاته، مع أن الإنسان لا يخلو من مفاصلٍ أبداً، فيرى / ٨ / غيره من نفسه ما لا يره هو من نفسه، لأنه هو أنزلها منزلة الرضى وغيره بالضرورة يفحص عن الأشياء فيرى عوارثه، وصاحبها المتصف بها في غفلةٍ عن هذا لجهله، وهذا يظن أنه يحب نفسه مع أنه - بحسب الحقيقة - يبعثها لأنه يترك غيره يطلع على معانيه، وهذا أجل ما تنصف به النفوس الدنية

وهذا العبرة عند الطواهر وحسن الثبات وتنميق الوجه، مع أن الشارع يقول: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم» ^(٢) إذاً العبرة بالباطن في هذه المواطن لا بالظواهر

فالإنسان إنسانٌ بجوهره الروحي المتصل بالعالم العلوي لا بإنسانيته، وقد قال أرسطاطاليس الإنسان شبحٌ نورٍ روحاني، ذو عقلٍ عربي، لا ما تراه اعيون من ظاهر الصورة

[صاحب الهمة لا يَغْتَرُّ بالإقبال ولا بالإدبار]

فصاحبُ الهمة لا يَغْتَرُّ بالإقبال ولا بالإدبار، ولا بالدم ولا بالفقر، ولا بالنس، فالمال والحكمة متعايران فلا يجتمعان، والحكمةُ حظ النفس لئاقة، والمالُ حظ النفس الشهوانية، والناطقةُ غالبةٌ على الشهوانية، كذا علل

(١) أخرجه مسلم (١١: ٨) وابن ماجه (٤١٤٣)، وأحمد (٥٣٩: ٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

أفلاطون، فكل مَنْ خاطب نفسه وأمرها بفنائها عن ملائمتها وامتنعت فليُحبرها
بأنَّ هذا العالم خَرِبٌ، وتقلَّمةُ الخراب، وبعقبةُ الخراب، وهَبَّ أنها جمعت
هَمَّها على الدنيا ومتعلقاتها فعمَّما قليل تمارقها حُمرًا وحَنَمًا عليها

وإذا كان كذلك؛ فتعلم أن من رأى الأمر يقضي إلى آخرٍ يصير آخره أولاً،
وقد روي في «الصحيح» عن سيدنا ابن عمر أنه رضي الله عنه قال له «كس هي الدنيا
كأنت غربت أو عابرُ سبيل»^(١)

[هذا العالم ليس بمستقر، ولكن مجازاً للمستقر]

ولا يحتمل أن هذا العالم ليس بمستقر على الحقيقة، فهو مجازاً للمستقر
الحقيقي، فقد كنا على ساحل العدم، ثم أُبرِزنا لعالمٍ المرور إلى محل الحياة
الدائمة إن شاء الله، فأدنى شيء يكفيك يا أيتها النفس الدنية فلنأكل ما نجد،
ونلبس ما نجد، ولنتنم على ما نجد ولو التراب^(٢).

إذا أطع على هذا /٩/ هانت عليه الدنيا ونهَلَّ عليه الرهدُ فيها، سيما
مع علمه بأن العبرة بالجواهر اللطيف السماوي لا الأرضي الترابي، وإلا لما بقي
فرق بين الدوابِّ وغيرهم

ويحبرها بأنها هَبَّ أنها ملكت ما ملكت واستولت على ما استولت، فلا
تُخرجُ معها من هذه الدار غيرَ القطر والكف مع كثرة التسامح مهم في أنه لا
يستعده، ويكفيه كذا مع كونه نرد عليه الأجرة والحق تعالى في أن يتركه لهم،
ومع ذلك ربما يكون قطره وكفه سُعلاً من النار عليه مع أنه شت عبيهما
وشاب، فهكنا تفعل الدنيا بأهلها.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٦٤١٦)، وغيره

(٢) كأن المؤلف - رضي الله عنه - يفرج بين أسلوب معاطية النفس ومعاطية الفاري، فينبه لذلك

[رفع الهمّة أسامنُ الكمال]

ومن هذا نعلم يا وليّ أن من تعلّست نفسه عن الشهوات البهيمية هانت عليه مفارقة هذا العالم، وأما من تطلّع بالشهوات وانشقّ عن الملاذ الحسية ما التحق بالعالم الدواني والبهيمي؛ صغبت عليه مفارقة مساكن الأجسام الترابية، فالنظر في عواقب الأشياء يرهّد في حقائقها

وقد حلّم أنه لكل شيء صناعة، وصناعة العقل حسن التدبير والاحتياط والسياسات، وقد رأى أرسطو إنساناً سمين البدن فقال ما أشدّ عابثت برفع سُورِ جسمك^(١).

وهذا جاف الرطوبات المعنوية، فكان دانه شراً بال، والجسم إذا حلا من الشراء المعسوي مات وصار في حكم الإعدام

وقب أن الإنسان تقوى ما تقوى ولم يزل هجر نفسه عن اللذوق بعالمها، فهو أعجز لعاجرين، ومن كلام أرسطو: أعجز الفجرة من قدر أن يربل المعجر عن نفسه فلم يقدر

[من تمام عقل المراء هدمُ الشكوى إلى الآخرين]

ومن تمام عقل المراء وأناته ألا يشكو ما به غيره، لأن المشكوى إليه إما أن يواسيك في مَمِّك، وهذه الدروة القصوى، وهو الصديق الكريم، وإما أن يسليك وهي الوسطى، وهو الصديق الحكيم ذو التجارب الذي جلب أضر الدهر، وإما أن يتوجّع وهذه السفلى، وهو الصديق العاجر

ولا تُد من شكوى إلى دي مروية: يُواسيك أو يُسليك أو يتوجّع

(١) أي. علامته وشفته وسطوته واعتداله.

وأعصم الأحمه اليوم من يتوجع - وإن كان فيه شيء من التسليه - لكن هذا فرق / ١٠ / اتصف به العدو والصديق، فربما احتلّ العدو وصار يتصل، وليس مراده إلا أن يجذب ما في حبايك فيحصل له التشيع، وذلك أمته، فأترك الكل

بل الحيوان كله متقلب، فربما شكوته قصذ أن يفرج عنك ما بك فتجده حيران مما دهمه وهاله فيشكوك فربما تصدعت، والبيه ضبيعة، فليس من سياسة شكوى بعض إلى بعض، ومن لا يصلح لأحد هذه الأمور فترك صحته لأن كل من أردته اليوم لدفع ملئة تجده إحدى المصائب

إد كنت لا علم لديك تفيدنا ولا أنت ذو دين مرجوك لئدي
ولا أنت ممن يرتجى لكريمه عملنا مثلاً مثل شحيتك من طين
فنت لو كان صاحب هذا البيت ممن يعاشر صبيان الملا لعوي ويتعم
مهم المدة: الغية المأخوفة من اليامة الإلهية ما ضيع الطين في تمثاله، بل
الأدي الذي يصيبك إنما هو ممن تعرف

جرئ الله حيراً كل من ليس يبتنا ولا ينه وذا ولا متعرف
مع هالي ضيم ولا مئبي أدنى من الناس إلا من متى كنت أعرف
وكان يفرح لسانه إلا فيما يعيه، ويؤلفهم^(١) ولا ينهرهم، ويكرم كريم
كل قوم ويؤله عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد
منهم بشره ولا حنقه

من أحسن الظن بأعدائهم تجرّع الهيم بلا كأس

(١) المقصود: الصلابة رضي الله عنهم

ولو كانت لي سجة في هذا البيت لقلت بأحابه لا بأعدائه، فاعاقل من
كتم أمره ولم يشك إلى أحد:

لا تُظهِرْ لِمَا ذَرِ أو صَاذِلِ حَاتِيكَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ
بِلِ حُمَّةٍ الْمَنُوجِّعِينَ مَرَارَةً فِي الْقَلْبِ مِثْلَ شِمَاتِي الْأَعْدَاءِ
وَأَخِر:

مالي شكوتُ إليكَ مَارَ جَوَانِحِي لَتَكُونَ مَطِيئَهَا فَكَيْتَ الْمُثْمِلَا
وقال أبو بكر خُبادَة ابن ماء السماء الأندلسي^(١)
لا تشكُونُ إِذَا عَثَرْتَ إِلَى خَلِيطٍ سَوَاءَ حَالِكَ
فِيرِيكَ أَلْوَانًا مِنَ الْإِذْلَالِ لَمْ تَحْطِرْ بِبَالِكَ

ويقال إن رجلاً كان على عهد كسرى يقول: من يشتري / ١١ / ثلاث
كلمات بألف دينار إلى أن اتصل بكسرى فأحضره وسأله عنها، فقال: ليس في
الاس كلهم خيرٌ فقال: صدقت، ثم ماذا؟ قال: ولا بد منهم، فقال صدقت،
ثم ماذا؟ قال: فإليهم على قَدَرٍ، فقال كسرى: قد استوفيت المال فحده،
قل لا حاجة لي به وإنما أردتُ أن أرى من يشتري الحكمة بالمال

[يجب عدم ترك المشورة]

ومع هذا فدع ما كدر وحد ما صغى، فالعالم على قسمين، ويكفي في طلبه
المشورة حتى لو لم يكن في الوزير والصاحب إلا هي لكمت، وفي القرآن

(١) أبو بكر خُبادَة بن عبد الله الأنصاري الأندلسي، المعروف بابن ماء السماء، رأس الشعراء
في الدولة العمارية بالأندلس وشاعر عصره، وهو الذي أقام عماد «الموشحات» وهذب
الفاظها وأوضاعها، واشتهر بها انتشاراً غلب عليه له كتاب في «أخبار شعراء الأندلس»،
وفاته بماتقة سنة ٤٢٢ هجرية. قاله في «الأعلام» (٢٥٨.٣). الناشر

﴿وَشَاوِرْتَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [ال عمران ١٥٩]، لستعبد منهم رأياً وعلماً، لكني نتعرف مقادير عقولهم وأههامهم، وأي رتبة من الرتب استهلكت أفكارهم في اشغف عليها، فإذا شاورتهم في الأمر اجتهد كل واحد منهم في الوجه الأصح في تلك الواقعة، فتصير الأرواح متوافقة متطابقة، وتطابق الأرواح الطاهرة على الشيء الواحد مما يعين على حصوله، وهذا هو السر في الاجتماع عند الصلوات وكوب صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد.

[لا بد من الخليل أن يكون وزيراً]

فقد بيته - يا وليي - القرآن على أن من أراد اتحاد حليل فلا بد من أن يكون وزيراً، لقول الكريم ﴿وَلْيَحْضُرْ فِي وِزْرٍ﴾ [طه ٢٩]، والوزير مشتق من الوزر لأنه يتحمل من الملك أوزاره ومؤنه، أو من الوزر وهو الحبل الذي يتحصن به، أو من المزاررة وهي المعاونة، والمزاررة مأخوذة من إزار الرجل، وهو الموضع الذي يشده الرجل إذا استعد لعمل أمر صعب.

[العلم الإلهي وحال المصنف في زمانه]

ثم اعلم يا وليي أي في هذه البلاد مسحون في قصص لشعورها عن أرباب تحقيق لعدم الإلهي، وهبني أنني عثرت على واحد أو اثنين أجدهم مستخدمين في ذلك الأنفال عن الكتب، وإن تلوت عليهم شيئاً من الكلام القريب المهد من الحق المأخوذ عنه لا عن أحد تسارعوا للإكثار عليك أو اقتطعه آخرون فيسدوه لأنفسهم، ويقولون لآخرين: ورد علينا كذا وكذا.

وهذا العلم لم تتقدم لي حبرة به أصلاً، ولا تحاورت مع أحد به حتى جاء بعثة على العادة الإلهية، حتى إنني بركة سيدي وروحي / ١٢ / الشيخ عبد الكبير لكتاني لا أخذ علمي إلا عن الكتاب والسنة باعتبار مطوبها التي لا تنحصر، وما ذلك إلا لأن الحق يريد أن لا يخرجني عن دائرة قذبيه.

ونراي يا وليّ أقول له قال تعالى بلسان عجمي، وهو يقول قال فلان، وكل من استند في تحقيق المسائل الإلهية على الكتاب فلا تريده إلا عموصاً وبحيراً، فيكون عارفاً بالحروف فيدخل في آية: ﴿مَنْ يَعْدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ (الحج: ١١)، تدبر وما جلستُ للتدكير إلا قهراً وحتماً وواجباً عليّ، لكن مع هذا لا تستغلّ بمسي بالتدبير، لأنّي عالمٌ بأحكامها ومحاييلها، فلو تبعتها لتركنتي ريباً^(١) ملقى على الأرض، فتله لكنتُ أنظر إلى أمواج البحر وتلاطم جواسه وأنظر إلى صدري فأجد العلم والحكمة التي يتفجر مني أكثر وأكثر، فأحتلي بمسي خوف أن يكون ذلك من باب ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ النَّارِ اشْتَوْفَتْ فَرَاقِلَهَا أَشْأَاءُ مَا خَوْلُمْ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَزَكَّاهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (الفر: ١٧)، فيكون مكرراً أم استدرجاً؟ إلى أن رأيت رؤيا منامية، وهي

[رؤيا منامية للمصنف رضي الله عنه]

أنّي رأيتُ كأنّي وسطُ بحرٍ طامٍ ووسطه جدارٌ، فصرتُ أتعجب هل الجدار يثبت على الماء، مع أنه يحتاج للأساس، ولا يثبت على قعر الماء لاشتداد الماء به، والماء فيه تنوّج كهيفة الزرّود^(٢)، وفي وجليّ عظيم من خوف سقوطي من أعلى الجدار فبتلقاني أسدٌ صار أعظم، فإذا بالجدار صار يتلو ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۖ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَٰذَا ۚ يَوْمَ هُمْ تَحْثُوثٌ ۚ أَعْبَارُهُمْ ۖ إِنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۚ﴾ [الزلزلة ١-٥]، فثعلبتُ عن السحوف نزل الجدار فستيفطت

فعممتُ أن الوحي موطئ برلزال الأرض وإخراج الأرض أثقالها ﴿وَنَقَذَ يُحْشَرُونَ فَأَفْرَدَ ۖ كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَزَكَّاهُمْ مَّا خَوَّلْتُمْ وَرَأَاهُمْ وَرُحْمَكُمْ﴾ [الانعام ٩٤]

(١) في الأصل بخط النسخ: وَمَنْ

(٢) الزرّود ج درّة: وهو درعٌ منسوجٌ بطنانٍ على هيئة منعممة

[حوار بينه وبين نفسه]

فسمعتُ أبي ظمَرْتُ بنفسي فقامت الحجةُ مني عليها، وقلتُ يا نفسُ قد عدمتُ بقصورك وثلةَ احتياكٍ وعدمٍ / ١٣ / نصرتُك للأمور العظام، فأصممتُ من نفسك بأن أذهب بك على نهج كتاب الله وملة رسوله ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال ابن مسعود: «كن أنت المحدث إذا سمعت يا أيها الناس» فأنا أرافُ بك عنيداً، وأحفظك من كل حابطٍ عاجلي حليلاً صديقاً، ولا نجعلُني حليلاً مكرراً. ثم أمشي بث على نهج أهل الصفة، ثم التابعين وتابع تابعيهم لأنظر هل لك قدمٌ معهم أم لا

ثم قلتُ لها يا نفسُ، لأي شيءٍ نكثرتُ من الكلام وقد رويما في «الصحاح» و«الموطأ» وغيرهما «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»^(١)

قلتُ: هذا ما عندك!!

قلتُ: وما عندك يا جهولة!

قالت مراده صلى الله عليه به مَنْ كان يؤمن بالله على سبيل اليقين والإيقان والكشف والمكاشفة والعيان، بحيث لا يخرج دائماً عن لمعة المجهولة الذاتية، وقد ارتقى من مقام المراقبة، فليقل خيراً أو ليصمت فإنه لا يأتي إلا بخير، لأن الحق مشهود له على الدوام

ومن كان بهذه الصفة حاله بعد التكليف كحال قتل التكليف، لا يحذُ ملَكُ الشمال ما يكتف عليه، لأن المعصية إنما تصدر حيث يعيب عن الحصرة العلي، فإذا صارت وكر دأبه كلها فائز جزيئاتها لا يتصورُ صدور المعصية منه أصلاً

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨) عن أبي هريرة، ومسلم كتاب الإيمان (٤٨) عن أبي شريح الخراساني وغيرهما

وهي الحديث «من حفظ القرآن فقد أدرجت البيوة بين جهه» أي حفظ مدلولات موادّه في نفسه على بساط التحلّق به في نفسه، لا الحفظ الصدري

والمراد إذا حفظ أوامره ومواهيه فُصم من الوقوع في المحالقات، فاستحق بدرجة البيوة، وإنما قال: «بين جنیه» ولم يقل «فيه» لأنها إن أدرجت فيه يصير سباً حقيقاً، وبيوة التشريع انقطعت وأما بيوة الإخبار عن الله فلم تنقطع، فالبی في الأصل هو المخبر لكل بيا مستقر، أي خبر، فالبی بمعنى لمحبر عن الله بالعلوم الكثيفة لا زال، بدليل «قد كان فيمن / ١٤ / قبلکم محدثون، من یکر في أمّنی فمُتّر»^(١)، والتحديث ملروم يلزمه الإخبار، فالمحبر عن الله بی

[الفرق بين المحدث والمناجی والمکلم]

وهما مسألة وهي أنه فرق بين المحدث والمناجی والمکلم، فالمحدثون وراثت الفاروق والمناجون. رتبة أعلى من التحديث، لأن التحديث لا يلزم منه لُقّي المَحبب بالمحبوب، بشاهد: ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [الباء ٧٨]، ولحديث هو تلاوة القرآن بمعناه بحلاف المأجاة، فيلزم منه لُقّي المناجي والمناجي، ﴿إِذَا تَنَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ أي كاصحتموه بالخطاب وسألتهم ﴿مَقِيْمًا بَيْنَ يَدَيَّ غُرُوْكُم مَّدَقَةً﴾ [المجادلة ١٢]

وقد يحدث المحدث على لسان الهوانف أو الملائكة، أو بلسان المظاهر، بحلاف التناجي

والمكالمة هي المكالمة في بساط المكالمة الدانية بشاهد: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ﴾ [الباء ١٦٤]، فأثر التعبير بالاسم «الله» الدال على الذات بحلاف المأجاة، فإنما كانوا يكلمون ظاهر صَدَب جسمانيته، وأما ذاته الحقيقية فليست المأجاة معها

(١) أخرجه مسلم (٢٣٩٨) عن عائشة رضي الله عنها، والترمذي (٣٦٩٣)، وغيرهما

[البقية لا تفنى ولا تعدم، وجميع الوجود عابد لله بطريق القهر]

فقلت لها يا نسي وقد قَدَّمت - وما بالمهد من قديم - أن البقية عندك لا نسي ولا تقول باعدامها عليه، فلا تأمن أن يدخل عليك التلبس والإيهام من كداراتها فتقع في يد المكر والاستدراج فتظن أن كلامك بالله مع كونه بالهوى، فما هذا التهافت والهذيان؟

قلت النسي غير حفي عليك يا صفي أن جميع من في الوجود من الحقيقة الجنية، والحقيقة الإنسانية، والحقيقة الإبلية، كلها عابدة للحق بطريق القهر الإلهي والعدل الأقدس، وذلك أن الحق ما خلق الجن والإنس إلا ليدروا على عبادته، وإرادته لا تتخلف، فجميع من كان موجوداً أو معدوماً كنه يُخلق عليه شيء، وقد أثبت الحق في القرآن أن كل من اتصف بشبهة الثبوت فهو يسبح الحق بحمده.

ولا شك أن جميع ذرات الوجود شيء، فهي تسبح قهراً عبيداً بطريق التوجه الإرادي، ومعلوم أنه يقال / ١٥ / (سبح) إذا مرّه، «سبح اسم ربك» [أعس ١]، أي مرّه عما لا يليق به، كالقول بأنه مشفق، وقد كان مسمى به قبل إيجاد الحروف الدالة عليه

ولا غرو أن التنزيه لا يهتدي له إلا من أطلق نور عقله فعلم أن لنا حقاً وحقاً، فالحق لا تنزل للخلفة، والخليفة لا تصعد للحق، فهذا أمر ذهني يبرز للبيان، وهو الشاء على الحق بمدلوله في صورة التسبيح

وهذا يا وليّ أمر لا يطلع عليه إلا صاحب عقل وروح وحياة وتعبير وإدراك وعلم وافر، ومراج لا يحتل ومعرفة تامة، وكل هذه الأوصاف مدموجة في لفظ (يسبح)

ومعروف في الحسن أن أفعال العقلاء تُصاد عن العث فأحرى رث الأرباب منك يوم الدين، كيف يصف شيئاً ويحير عنه بأنه متصف بكذا ويُحيله بحس عن طاهره لعدم مؤالفة عقولنا له، فهي تسبُح بلسان المقال

وهاهنا مسألة: وهي أن الوصف الذي قصره الحق على العلماء في قوله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [عاطر ٢٨]، فالآية من قصر الصفة على الموصوف، أو قل من قصر الموصوف على الصفة، وعنى كل فقد شارك الحق معهم في هذا المورد جنس الحصر^(١) فقال ﴿وَلَيْزِمَهَا كَمَا يَحْتَاطُ مِنْ حَشَبِوْ اللَّهِ﴾ [البقرة ٧٤]، فتدبر يا ولي هذه المسألة وتذكر قوله ﷻ «يقول الثوب الوسخ لصاحبه إن كنت مؤمناً فاصلي»^(٢)، ولا يُعذّل عن الحقيقة إلا إذا تعذرت، وهي هذه هاهنا لا يصح غيرها، فكيف تتعذر، فالثوب حقيقة يتكلم مع صاحبه إلا أن الناس مفرقون مفتقرون إلى السقي من حرف الشين^(٣) لا غير

وتذكر قول القرآن: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْيَانُ الْأَسْبَاطِ﴾ [التين ١٦]، والعلامة هو ما سوى الله، فيدخل فيه سائر الحقائق، فكلها عدّها عجائب القدرة، واحتراعاتها وأعمالاتها من عظم الآية الدالة على ربّيّة الحق، ولا يشعر بالآية إلا صاحب العقل انسام من الزبح والحطأ، المتصف / ١٦ / بالمعرفة الثامة، الغير المنخرط في سلك

(١) في الأصل بسط النسخ الجس

(٢) لم أجده

(٣) لم أجده معنى لحرف الشين فيما بين يدي من معاجم الصوفية، ولكن المصنف رضي الله عنه قال في «تأنيته»

لنا الحوض في بحر المجائب جهره ولنا أسرى الغير في فك حُجْمَة
فربما لها معنى خاص بالمصنف - رضي الله عنه - إلا إن قصد بها مقام: «الشهود»

أرباب الكثافات الأرضية، فإدأ سائر الجمادات والحيوانات كلها عندما عارفة،
وعليه فجميع صفات الوجود عابدة الحق تعالى قهراً عليها.

وهي حال غفلنا عن الله وحال انهماكنا في المعاصي تراكيب هيكت نسبح
الحق، وفي حال الرين وشرب الخمر واليوم والعشق وسائر أنواع الصلال كلها
عاصرها وأحلاطها وموادنا تسبح على سبيل الفهر ما من غير شعور ما يدرك

وعليه فما خلصت لنا معصية قط إلا وهي مخلوطة بطاعات وقربات
وكمالات، ويكون الوجود كله مسحوطاً في سلك ﴿حَلُّوا عَمَلَكُمْ لَمَلَاوَةً وَسَفِيَةً
عَنِّي إِنَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢]، و«هسي» من الحق للتحقيق إلا في موضع
إدأ من صدره ذنب [فهو] مخلوط بالعمل الصالح

وكل من وقع منه هذا المزج البديع سبقت إرادة الحق أن لا يد من أن
يتوب عليه وإذا تاب عليه تاب هو في الحين من غير تفهقر ولا تواي، بقوله
﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٨]، وهذه كلها إشارات من الحق، وفي
القرآن ﴿وَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾، وهذه الآية وما بعدها - أصي ﴿يُرِيدُ اللَّهُ
أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٨] - لو قيل إنها أرجى شيء في كتاب الله ما بعد^(١)

ثم أدام الحق لنا عدراً فقال ﴿وَحَلِّقْ الْإِنْسَانَ صَوِيغًا﴾ [النساء: ٢٨]،
وإذا كانت نيته كذلك فكيف لا يخفف عنه؟ وهذا من أعظم العدل الإلهي
كيف لم يخل من عبادته ذرة من ذرات الوجود، فلم يتركها هملاً من خدمة عتبة
حبيبته المحمدي صلى الله عليه به

(١) ما مسألة عميقة جداً، قد تسببي على الإيهام، والمؤلف لم يقصد قط ظاهر الكلام،
إن المقصود أن السر محصور على فعل الخير إن لم يكن بقصدته بل رغم من أنه، عمله
أن يأتي طائفاً لا كارهاً، أما العمرة - والله أعلم - والرحمة ما لا تصيب انقطاع العباد
وإنما تحببه إلى ما كان ربما أن يكون، فليست، وسوف يأتي كلام شيه لما ذكرته،
لاحظاً إن شاء الله تعالى، فوفق نظرك

وإذ أحطت بهذا المصير العريب علمت أننا في حال عملنا وروحنا وسائر صلاتنا وموتنا نحن عابدون الحق كرهاً من حقائقنا في عين معصينا، فسبح يا وليّ أو لا تسبح فإنك مجبول على العبادة كالملائكة^(١)

[ما قدر الحق علينا المعاصي إلا في بساط التشريف لنا]

وهذه مسألة عجيبة الحق ما قدر علينا المعاصي إلا في بساط التشريف لنا / ١٧ / سلتحق بحلة التوبة التي منح بها الروح المُنكي والروح الشيطاني

أما المَلَك فهو طاعة بلا معصية، فلم يَدُقْ طعماً لمقام التوبة، فنقصَ فَلَتُ المَلَكِيَةِ من التحلّق بهذا الاسم ولا مفهوم له. فكم من حضرة من حضرات الأسماء لم يشرّبوا من غُذْبِ مَجِيئِهَا، كحضرة الصُّبُور، ومقام البقيع، ومقام التوكل، ومقام الإعناق في السَّراءِ والصَّراءِ، ومقام كظم العيظ والعمو عن الناس الذي مرّكه سارع إلى معصرة من ربه وجنة عرسها السماوات والأرض، ومقام مجاهدة النفس وغير ذلك، فصارت عصمة الملائكة ابتلاء لهم، وإرسال الأنوار الإلهية علينا بالمعاصي تشريهاً^(٢) وتقريباً وسيلاً لارتكاب الكمالات الإلهية من التحلّق بانتواب والغفار والستير والحكيم.

وكن هذا يا وليّ من أثر قولهم ﴿أَتَجَمَّلُ فِيهَا مَنْ يُفِيدُ فِيهَا وَتَسُوكُ الْيَوْمَانِ وَتُحْنُ تُسَيِّحُ بِحَسَنِيَّتِكَ﴾ [الفرقة ٢٠]، فقد أعلمتكَ يا وليّ بمسألة لم تحظر بيان، فدعها في بخذرها.

(١) في هذا بعض توضيح لما أسلفت

(٢) هذه مسألة فلسفية عميقة لغيري، والمقصود أن الذنب سبب للاستعمار، فكان من هذه الوجهة تشريهاً، أي للروح كسر، وللمستمر خاصة وتعميداً، أما الذي لا يمي هذا ولا يستمر فهو كالشيطان حيث يدب ولا يمس، وفي الحديث «الولا أنكم تظنون لجاء الله يوم يدينون فيستعرون فيمعر لهم» رواه ابن صباغر عن أنس، وروى أحمد عن ابن عباس: «كفارة الذنوب الثلاثة، ولو لم تظنوا لأنّ الله يقوم يدينون ليمعر لهم»، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، فنظر «كثر العمال» (١١: ٢١٦)

ومن أثر هذا أنهم لما وصفوا أنفسهم بالتسبيح جعل الحق هذا الوصف حتى في العنماوات والنباتات والحيوانات وكل من هو شيء، فقال: ﴿وَلَا يَدْرِي سُبْحَانَ إِلَّا بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (الإسراء ٤٤)، كأنه يقول لا حصيبة لكم أيها لملائكة بالتسبيح بحمده، فتأمل الرواجز الإلهية التي تقسم الظهر وتقرع الدهر

وإياك والركون لوعيد أو وعيد، فعد المآل تكرر على نفسك بالإبطان، وانظر لمحاظت بهذا الوصف من صفتة، فكيف بك يا ولي وصفتك^(١)

ولا كذلك النوع الشيطاني: فهو معصية ولا طاعة، فامتاز النوع الإنساني بمقام التوبة وحده، وما وصل إلى حبه إلا بارتكاب المعاصي

قلت النفس: فألقي بالك يا ولي في هذه المسائل الإلهية وأجيني بما عندك فقد أحبرتك^(٢) بما عندي لما أقيمت علي الشبهة

قلت أيتها النفس، هذا كلام عجيب وفتح غريب ما /١٨/ طرق سمعنا ولا علمناه إلى الآن، والحق أحق أن يسمع.

[لولا المعاصي ما ظهرت مقتضيات هذه من الأسماء الإلهية]

قالت النفس وكأنك يا صفي أردت أن تعطّل جل مقتضيات الأسماء والصفات، ولا يظهر مقتضى من مقتضياتها كالتوابع والمعز والرحيم والرحمن والسلام والمؤمن والستير والعفو والمغفار والقاهر، وغيرها فرحيم لمن؟ وعافر لمن؟ وستير على من؟ لولا المعاصي ما ظهرت مقتضيات هذه الأسماء

(١) وفي هذا شرح لما مضى، فلا تنظر للوعيد فتيان، أي من هذا المعنى، ولا للوعيد فتتوكل أي من هذا المعنى، ولكن انظر إلى الله تعالى المخاطب لك بالوعيد والوعيد، فعبده حتى عبادته، بين حقوق ورجاء وشوق إليه تعالى

(٢) في الأصل بخط النسخ فأحبرتك

قالت النفس ولما كان فلَكُ السيوة ملتجئاً بالعصمة وكان هذا المنح يقتضي أنه لم يحصل له دوق في حصرات هذه الأسماء أيضاً، أمرهُ الحقُّ بقوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرُكَ يُلُوكَ﴾ [محمد: ١٩]، ﴿لَعَلَّكَ اللَّهُ مَا تَقْدَمُ مِنْ ذَلِكَ وَمَا تَأْخُرُ﴾ [المنع ٢]، ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ [التوبة: ١١٣]، لأجل أن لا تُترك حصرة من نسيم الإمدادات الإلهية إلا ويُعثر عليها.

وبعدَ عِلم أن السيوة منصبة بالعصمة نعلم أن إطلاق الدب في جانبهم من باب ﴿وَأَمْرٌ مُفْتَكِيهِتٌ﴾ [آل عمران: ١٧] وليس لنا دوق في مقاماتهم حتى نعلم دنبهم ما هو، واستعارهم مِنِّم، ويكاههم مِنِّم وهكذا كنا نسمع من روحنا وقدونا لشيخ عبد الكبير الكتاني، وهذا محل صعب قدورك والكشف الضراح مع كتاب الله وسنة، فكل كشف لم يعضده الكتان والسنة - أعني بواطن^(١) الكتاب والسنة - فلا يُعتمد به

وهت أن الكشف كيما كان لا يخرج عن دائرة الإحاطة الإلهية، وإن دعي أنه من حصرة الإطلاق فليأتِ بأثر منها، وهو الكتاب والسنة.

وبعدَ تعاطيا كَأَمِّن المرافقة، واقتداحا رباذ المباحثة قلتُ لها أيتها النفس، إي وردي إنه لحق، فَمِنْ أَيْنَ جاءتكَ هذه الحقَّة^(٢)؟

قالت من كثرة مطالعتي على أحوال صبيان العالم الأقدس، فيهم اقتديت واكتسبت ما رأيت وسمعت، فهم المطلعون على الشؤون الإلهية، ومن عاشرهم اكتسب ما لهم. ومن المعنى:

شاورُ يسوالك إذا سائلُك مائتاً يوماً وإن كنتَ من أهلِ المشورتِ
فاسعُ تلقى كماحاً ما دنا وبأى ولا ترى معها إلا بمرأة / ١٩ /

(١) أي دقات المعاني والاسبباط

(٢) أي الحق في النظر

وآخر

أَقْرَبُ فَرَأَيْتَ رَأْيِي غَيْرَكَ وَاسْتَبْرَ
فَانْمَرْءُ مَرَأَةً تُرِيهِ وَجْهَهُ وَيَرَى قَعَاءَ مَجْمَعِ مَرَاتِي

وإيضاحُ هذا أن يجعلَ مرأةً بين يديه ومرأةً خلفه تقابلهما، بحيثُ أن تكون أحدهما كبرى لو كان فيها إنسانٌ رأى الصغيرة، وأما الصغيرتان اللتان تحجب كلُّ منهما الأخرى فلا يتأتى معهما مطلوب، فإذا نظر إلى التي بين يديه اتصل به شعاعٌ بصريٌّ بها، ثم انعكسَ طالبا الجهة التي جاء منها، لأن المرأة في القبالة، فتتصل بالوجه وبما وراءه فيجد وراءه مرأةً أخرى، فيطبع فيها ما يطبع في الأولى، لأن الصورة تجري في الشعاع كما تقدم، فيطبع فيها وجهه فيكون له وجهان، أحدهما في التي هي أمام، والأخرى في التي هي وراء، يحد شعاعُ هذه المرأة التي في وجهه خلف، لأنها صفيحة لا يمكنه الثبوت عليها، فيرجع إلى الجهة التي تقابله فيجد القعا يتعلق به كما يتعلق بالوجه من التي هو أمامه

فيؤول الأمر إلى أن طرف الشعاع متصل بقعاه، فتجري صورته في الشعاع حتى ينعكس في المرأة التي هي وراءه، وتؤدي المرأة التي فيها إلى التي تقابلها، فيطبع القعا في التي هي أمامه فيرى لعمري وجهين، ويرى قعاه وهذه مسأله من علم المناظر

فقلتُ لها ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يسف ٧٦)، وإن الحكيم تربيته الحكماء أن فوق علمه علما، فهو يتوابع لتلك الريادة سواء أكانت من الأدنى أو المُساري، فأحرى الأعلى، والجاهل يظن أنه قد ناهم فيسقط بجهله

فلما وجدتُها هكذا انتظمتُ معها كأصابع الكعب، وتألّمتُ معها تألّمتُ أصحاب الكهف، فقلتُ لها يا نفسُ، ما علمتُ وصفاً ذمياً يبعدُ عن الله إلا وقد اجتمعَ فيك، فمالِكِ ارتكبتِ هذه الذنابة ورضيتِ بهذه الجنة!؟

فقلت: اسلك معي مسلك التيان، واجلب عليّ خيل البرهان، كي أنظر
لنفس النصفك أم تنصفني؟^(١)

[العهد القديم وتكران الناس]

فقدت لها وصف الله ورسوله المافقيين، / ٢٠ / واحتمت فيك أوصافهم،
وقد رويّا في الحبر الصحيح عند مسلم وغيره «أربع من كن فيه فهو منافق»
حائض وإن صلى وصام - وفي رواية ورعته أنه مسلم - إذا حدث كذب، وإذا
وعد أخلف، وإذا التمن خان، وإذا خاصم فجر»^(١)

وقد حدثنا الحق تعالى بأن فعل ما به أمر، ونكف عما عه بهي، ومع
ذلك خُنا من العهد القديم، فعاهدنا الحق على أسماح كلامه القديم الخارج عن
طور ما تألفه البشر، ولولا ذلك ما أقرربا له بالربوبية، فإنه لما علم أنه يو أبررنا
من ساحل اعدم إلى ساحل الوجود وألقى علينا الحطاب لأجل التعريف ربما
سكر كما يُسكر يوم القيامة لما يتجلّى في صورة لم تتقدم لهم حيرة بها،
فيقولون: ها نحن في مكاننا حتى يأتينا ربنا

فقول لم تتقدم لنا معرفة بك ولا بما تفردت به ولا بما اشترك فيه من
حيث النسبة الارشادية، ومع هذا أوجدنا ولا تعلم شيئاً كما قلت ﴿وَاللَّهُ
أَفْرَحُكُمْ مِنْ بَطُورِ أَهْلَتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾، والبط كناية عن التورات من
الغيب الداني إلى ساط الواحدة محل التعريف، فهي الأمهات الحقيقة
الاستبدادية ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [فصل: ٧٨]

هل هذا إلا تكليم بما لا يُطاق؟ وهل أنه ممكن لكمة لم يقع، بدليل
سؤال عدم وقوعه علينا في آية ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحِثْ عَلَيْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

(١) أخرجه البخاري (٣١٧٨) بقريب منه، ومسلم (٥٨) عن عدي بن عمرو رضي الله عنه، وغيرهما

و(ما) من صيغ المموم، فبدخل في عمومها التكليف بما لا يطاق، وما أمرنا
بسؤال رُفِعَ حتى رُفِعَ عما: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاكَ﴾ [الغفر: ١٨٦]

بما علم الحق أننا لو أبرزنا لعراقي الحضرات نصراً سُدي هذه الحجج
وهي عيب لا لنا؛ رُكَّتْ جوهر الروح الكلية والجرنية من عقاقير من جملتها
أودع فيها جادياً قدسياً، مهما تلمّخت أو لاحظت ما يُشبه قوّن عرالة الحصرة
طار لُبُّها وانجذب لمخاطب ما يسمع

[الروح مجبولة على محبة الأشياء الحسنة]

لأن هوية الروح مجبولة على محبة الحُسْن والطيب والأصوات المشمقة
ولألحان المرتشفة، فهذا حظ المحقق من الدنيا في آية ﴿وَلَا تَسْكُنْ
تَحِيَّتَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [النصر: ٧٧]، لا غير، كما أعرت عن هذا حديث
«حُبَّتْ إِلَيَّ مِنْ دِيَاكُمُ السَّاءُ وَالطَّيِّبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(١)، وتذكر
قوله: «حُبَّتْ» بصيغة الفعل [المني] للمجهول، للإشارة إلى أن العيز حُبَّتْ إليه
هذه المتحسات على سبيل الكُرْه منه، وأما لو حُلِّيَ وسيله لما أحبَّ إلا ما
دلَّت عليه آية ﴿وَوَرُّوا إِلَىٰ أُفُقٍ﴾ [الذاريات: ٥٠]، أي: على سبيل التجريد بدون
ملاحظة لعالم الحس ولا لعالم مقتضياته ولا شؤونه، فلا يتعلق إلا به، لأنه
حياته، وغيره فيه موته، والأصداد لاحقة بأصدادها كما أنَّ عيز المجائس مبيِّن
لعيز المجائس، فلا تآلف بين الأصداد كما أنه لا تحالف بين الأشكال

وسبب من هذا الحديث أنَّ مراد الحق من إبرارنا لعالم الشهادة هو إبعاد
عالم الحس مقتضاه وعدم إلقاء شؤونته وحركاته وأفعاله وبعوثه، وإلا لو كان المراد
هو عالم المعنى وحده لتركنا في حضرة روايا الطون، لأنها تجريد في تجريد

(١) أخرجه النسائي (٦٦: ٧)، والإمام أحمد في «مسنده» (١٢٨: ٣)، وغيرهما من حديث
أنس رضي الله عنه

[السر في إبرازنا لعالم الحسن]

وأما عالم الحسن فقد كان يعلم الحق أنه يشعلها ويلها ويشطط عن لعبان
بعالم القدس، ومع ذلك اختاره لنا دون العوالم الآخر الغيبية والشهادية، وما
دبت إلا لتقدم شؤبه ومقتضياته وإعطاء حقوقه، كما يسمي إعطاء حقوق عالم
المعنى

وهذه مسألة إلهية قل من يئ عليها من أصحابها، لأنهم يطعنون أنه شعر
والعريق كلها أمر بالاعراض عن عالم التكررات والأحداث والنشئت بعدم
الأعلى، وهو ظن صحيح، بيد أنهم فاتهم علم آخر شئ عليه سيدنا صلى الله
عليه به فذل الناس بيام إذا ماتوا استيقظوا^(١) أي بيام عن عالم الحسن لا
يلتمنون إليه فلا يلاحظونه لاستمرارهم بعالم المعنى^(٢)، وهو يلحق من دن
به فلا ينفى له التمدت لعبه، لكنه إن كان عيز محقق، وأما المحقق فهو
مستيقظ في عالم الحسن والمعنى، يعطي المراتب حقها من جميع ما تطلب

فكم أن المعنى تطلت الاستهلاك فيها بالكلية، كذلك حصرة الحسن تطلت
٢٢ / الاستهلاك فيها بالكلية، لكنهم بذلوا فهم في بساط ﴿وَنَحْنُهُمْ أَفْكَاكَا
وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف ١٨]، أي أبقاظا في عالم الحسن يستمرقون في صرف هياكله
وهم رقود عما تقتضيه هذه الملاحظة، مما حصل لهم الاستعرق في الحقيقة إلا
بما انطوى عليه جوهره القدسي

وما هنا قال تعالى ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْبِ الْآيَاتِ وَالْتَدُرُّ عَنْ
قَوْلِهِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، وأما المؤمنون بأن الآيات محو في وجود

(١) قال الحافظ زين الدين العراقي في ترجمته على «الإحياء» (٤-٢٣) لم أجده مرفوعاً،
وإنما يُعْرَى (إلى) علي بن أبي طالب

(٢) كلمة مقطعة في الأصل غير واضحة

بِهَوِيهِ لِاصْلَاقِهِ تَتَّبِعُهُمُ الْآيَاتُ، لِأَنَّهُ يُدَلَّتْ فِي نَظَرِ هَؤُلَاءِ الدِّينِ حَيَرُوا
لَأَمَامَ، وَبَقِيَ عَلَى مَا تَقْنِضِيهِ صُورَتُهَا عَدَمٌ لَا يُؤْمَنُ

وهؤلاء لا يجدون قَدْماً لأنفسهم في مقام الرهد الذي هو شيءٌ عَدَمٌ قَوْماً،
لأن الرهدَ يكون في شيءٍ لمن يساوي جناح بعوضة، وأم في هذا المأطِ فلا
يمدر على الرهد في ذرةٍ من درات الوحود والناسِ بياضٌ عن مثل هذا المشهد،
فإذا ماتوا وطأخَ رُسْمُهُمْ وَوَسْمُهُمْ وَبَعَثَهُمْ اتَّبَعُوا لِعَالَمِ الْمَحْسُوسَاتِ فوجدوه في
مكانٍ نُشِرتْ فَأَعْطَوْهُ حَقَّهُ

[الأصلُ هو الاستعراقُ في عالمي الحسِّ والمعنى]

فمن استعرق في عالم المعنى وفُزَّط في عالم الحسِّ فهو من لُغْمَةٍ لَا خَيْرَ
عنده ولا خير، ومن استعرق في حَصْرَةِ الحسِّ قَبْلَ لَانْحِقِ في بحر المعنى
وصيرورة لحكم عيياً والوحود مخوّاً فهو من الناسِ، أي الذين سوا عهدٍ لحق
لدي تعاهدوا عليه

وأم من استعرق في عالم الحسِّ والمعنى فهو رجلٌ من بني آدم، وفي
عَرَاءٍ ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْتَ بَنِي آدَمَ وَخَلَقْتَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ بَرُّ الحسِّ وبحر المعنى
﴿ وَزَيَّنَّا لَهُمْ يَمِينَ تَلَوْنَهَا ﴾ أي معاني الأسماء والصفات المثبتة بهم في عين
لَانْحِقِ، ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء: ٧٠]،
كأن استعرق في بَرِّ الحسِّ من غير ملاحظة لبحر المعنى، أو لمستعرقين في
بحر المعنى دون البر، وأولئك فَضَّلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ

ومثل هذا آيٍ مملوكةٌ بالماء، وماءٌ هذه سُحُفٌ وماءٌ هذه نَارٌ، وقد
نقطعت سُحُورَاتُ الماءِ السَّحْنِ وجاء شَحْصٌ لَا يَمِيرُ إِلَّا أَنْ فِيهَا مَاءٌ، مع أن

حكّم هذا تمت عنه طيعة المائة في الجملة، وهذا لا زال على مائته لم
تُسب عنه البار شيئاً

ثم إن المراد من هذه المدلّة هو / ٢٣ / أن جوهر الروح معجون بالجماد،
فبمجرد ما أوقع الحق عليه الحطّات الأقدس تفكّت أرزاقه وانقطعت عُراه،
فأجأت الكلّ كرهاً من غير شعور منه، فمن انقطع عنه هذا الحطاب كما كُلمت
الأرواح هالك فهو كذّابٌ وحائنٌ وأخلف^(١)، وهذه من علامات انبعاث «إذا
وعد أخلف، وإذا اتّمن خان، وإذا حدث كذب»^(٢)

وأيضاً وصف الحقّ الماضين ما بهم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الباء
١٤٦]، وهي بائنة فينا، ونسيحُ الجمادات عدنا لا ينقطع، فهي ذاكرةٌ ونحن
عافلون، ومجاهدةُ السُلخفاة لا نقدرُ عليها، لأنها تطوي أكثر من حمسة أشهر
بلا أكلٍ ولا شرب، وهذا لا يقدرُ عليه حُلّ الرياضيات، والجمَلُ يصبرُ على
الماء الأيام المتداولة، فهو أصبرُ على الماء مع كثرة تحمّله للمشاق والأحطار

انتهى ما وجد من خط ابن سيدنا ومولانا الشيخ، وهو الصو الجليل
العارف الأئيل، الذاكر السبل، وهو ما وَجَدَ إلّا هذا القدر من خط المؤلف
رضي الله عنه ونفعني بركاتهما، آمين^(٣).



(١) لعلّ المارة من (ادعى أنه) انقطع عنه الحطاب لما كُلمت الأرواح هالك فهو كذّابٌ
وحائنٌ وأخلف. الناشر

(٢) سبق تخريجه

(٣) كذا يحط الناشر، ويبدو أن المؤلف - رضي الله عنه - ألف هذه الرسالة وهو في حدود
المشرين من عمره أو دونها، وقول الناشر: فهو ما وَجَدَ... إلخ، المقصود والد
المصنف وهو جيل الستة والذين الإمام أبو المكارم عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد
الكتاني رضي الله عنه

النفائس الكتانية

٤

الفرق بين الواردات
الرحمانية والملكية والنفسانية والشيطانية
وكلام في طريقة التصرف

تأليف

أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني
المستشهد بفاس سنة ١٣٢٧ هجرية
رضي الله عنه

[illegible]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

من محمد بن الشيخ عبد الكبير الكتاني، كسّاء مولاه بأسرار السبع المثاني،
أمين

إلى إخواننا وأحبائنا، وأودائنا المختارين من يمين القبضة الحكيمية،
المطبوعين بطابع العناية الإلهية، المستظّلين بظل كهف رعاية رُوح العالمين^(١)،
وسرّ أسرار الأنبياء والمرسلين، وجوّه الله المحيط بجميع الحقائق^(٢)، والمرآة
الكبرى المنطبعة فيها جميع الرفائق

فهيتاً لكم بمحبة هذا النبي الأعظم، والنور الأتم، والقهرمان^(٣) الأفهم،
ﷺ، فهو الكعبة التي تطوف بها جميع أهل الحضرات المُلْكِيَّة والمَلَكُوتِيَّة^(٤)،
والمعناطيس الجذّات لجميع الأرواح الوجودية، وحصرة الله الحاصّة الإطلاقيّة

(١) المقصود به رسول الله ﷺ، والروح المقصود به اللب والاصل والمصدر الذي به يقوم
الغير، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء ١٠٧]، وبولا الرحمة لم
قامت المرام كما لا يخفى، وفي الأمر تفصيل ليس هنا محله

(٢) المقصود هنا بالوجه الواجبه التي لا يتوصّل إلى ما وادها إلا بها، والمصدر المعكّر به
ما فيه، إذ كان ﷺ حَقَّقَهُ القرآن كما ورد في صحيح مسلم (١٣٩)، فهو المتجلية فيه
الصمات الإلهية التي أمرنا بالتخلّق بها على أكمل وجه بناله مخلوق

(٣) القهرمان: أمين الداخل والخارج

(٤) الحضرة المُلْكِيَّة سبّة إلى عالم المُلْك وهو عالم الشهادة من المحسوسات الطبيعية، أم
الحضرة المَلَكُوتِيَّة فنسبة لعالم الغيب المحض بالأرواح والنفوس

والثقيدية^(١)، ولهذا يلزم أهل محبته ما لا يمتدُّ الحصرُ من أنواع الآداب،
وصروب انتظيقات، ويُعافى على من لم يقم بذلك أن يُرمى بشُبه الإبعاد،
وبأن ما لا يحصى من الأكاد

ذلك ساداتنا أهل مراكز من أشراف وعلماء وخَمَلَةِ القرآن، ومتجودين،
ومحترفين، كلُّ واحدٍ باسمه

سلامٌ عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ورحمته وإنعاماته

أم بعد فطالما نصح القنم بالذَّواة لرايِل وُصلنكم، ولم ينتهياً ذلك لكثرة
الأشغال، وعدم المُعِين، والله المستعان.

[الفرق بين الواردات]

فأما الفرق بين الواردات الرحمانية والمَلَكِيَّة والنصانية والشيطنانية فهو أن
كلُّ ما يكون سبباً للخير بحيث يكون مأمون العاقبة ولا يكون سريع الانتقار إلى
غيره، ويحصل^(٢) بعده توجُّه تامُّ للحق، ولذة عظيمة مرغبة في العبادة، فهو
مَلَكِيٌّ أو رحمانِي، وبالعكس الشيطاني.

(١) إله إنه ﷻ الواسطة في كل خير، ولا يتوصل إلى الله تعالى إلا عن طريقه ﷻ، قال تعالى
﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]، وهو ﷻ وعلى آله مُرْسَلٌ إلى
معالم كما قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وما من شيء
سوى إلا وأمر بانساعده إن هو جاء في رملته، لقوله تعالى ﴿ وَإِلَّا لَأَكِيدَنَّ الْفَجْرِ لَمَّا
شَهِدْتُمْ بَيْنَ يَدَيْكُمْ وَيَكُونَنَّ بِأَعْيُنِكُمْ رُسُلُ مَلَكِكُمْ لِيَأْخُذُوا بِكُم مِّنْ بَعْدِ وَأَنزِلُكُمْ قَالُوا أَأَقْرَبُكُمْ
وَأَحَدُكُمْ هَلْ يَسْمَعُ قَوْلَهُمْ قَالُوا أَفَرَأَيْتُمْ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١]،
ولذلك قال سلطان المشفقين الإمام ابن الطارض رضي الله عنه على لسان الحضرة
المحمدية

وانسي وإن كنتُ بين آدم صودةً علي فيه معنى شاهدٌ بأبوتني

(٢) في الأصل ولا يحصل، يظهر أن «لا» مفعلة في السابق، معذرة

وما يُقال إن ما يظهر من القُدَام أو اليمين أكثره ملكي، ومن اليسار واليمين أكثره شيطاني، ليس ذلك من الضوابط بين الواردات، يد الشيطان يأتي من الجهات كلها كما نطق به القرآن الكريم: ﴿ثُمَّ لَا يَمْنَهُمُ فِي يَدِ أَيْدِيهِمْ وَيَرَى سُلَيْمُ عَنْ أَيْدِيهِمْ وَعَنْ عَمَلِهِمْ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف ١٧]، عدا جهة الفوق، فإنها معصومة، لأنها الوجه الحاصر الذي بين الله تعالى وبين / ١ / كل مخلوق

أو يُقال إن كل خاطر يدعوك إلى قرب المرائص بقطع العلائق عما سوى الله تعالى ونصعية [القلب] عن جميع الدواعي إلى غير محبة الحق تعالى فهو خاطرٌ رحماني

وكل خاطر يدعوك إلى قرب النواقل بالثبوتات والرياضات غير المعترضة عليك، برعة لنفس في النواقل والتعلق بالأحلاق المرصية. فهو خاطرٌ ملكي رُوحاني

وكل خاطر يدعوك إلى المباحات من الأعمال والأحوال، من الشهوات ودواعيها: فهو خاطرٌ نفساني

وكل خاطر يدعوك إلى المسكرات والأحلاق الرديئة والأعمال السيئة ترك أحكام الشريعة والتهاون فيها والتكاسل في أدائها فهو خاطرٌ شيطاني بمعاونة النفس الأمارة بالسوء وموافقتها

أو نقول: الخاطر هو ما يَرُدُّ على القلب من الخطاب، أو الورد الذي لا عمل للعبد فيه

وما كان خطاباً فهو أربعة أقسام.

— وثاني: وهو أول الخواطر، وهو لا يخطئه أبداً، وقد يُعرف بالقوة والتسلط وعدم الاندفاع

— وملكّي: وهو الباعث على مندوب أو مفروض، ويسمّى: إلهاماً

— ونفسي: وهو ما فيه حظ النفس، ويسمّى: حاجساً.

— وشيطاني: وهو ما يدعو إلى مخالفة الحق سبحانه، قال سبحانه ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

ولكن الكلام على الحواطر ربما يكون في رسالة مستقلة، ولذا نذكر هاهنا ما سمح به الوقت، فنقول

[تربيع القلب]

إن جميع الأعمال الصادرة من الإنسان وأحلافه مصادر تلك الحواطر الأربعة^(١)، ولذلك قيل بتربيع القلب، يحطر كل خاطر من جانب، كما أن للكعبة - شرفها الله تعالى - أربعة أركان، كل ركن بمقابلة خاطر القلب، عير أنها في الحقيقة مكعبة ليست مربعة، كما أشار لذلك أعلم الحكماء صلى الله تعالى عليه بالأدعية الموضوعة عند كل ركن.

وكان الركن العراقي مظهر الخاطر الشيطاني، ولذلك كان يستعيد صلوات الله وسلامه عليه عند مقابلته من الشيطان^(٢)، والكعبة صورة قلوب الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، ولذلك كانت مكعبة، لأنه ليس للقرى الشيطانية نفوذ في قلوبهم أصلاً

فالخاطر الشيطاني - ومصدره مهمل عندهم وفي نظره عليهم الصلاة والسلام - لا يدوقون له ذوقاً ولا طعماً، ﴿إِنَّ يَكَاوِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، وهو معنى العصمة في لسان المتكلمين^(٣) / ٢ /

(١) أي: الإلهية والملكية والتنمسية والشيطانية

(٢) وهو قوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الشك والشرك والنفاق والشقاق وشوء الأعداء» قال الحافظ في «التلخيص» (٢٤٧، ٢): أخرجه البيهقي من حديث أبي هريرة مرفوعاً، لكن لم يقيد بالركن ولا بالطواف

(٣) أي: علماء التوحيد والمقاتلة

ولأجل كون إلقاء الشيطان ووسوسته يكون بين الكتفين قريباً من اسير بحرطوم له كالليل، وهو في صورة حريو، ولا يزال يوسوس ما سم يذكر المؤمن، فإذا ذكر الله تعالى أحس - فمن أراد قطع وسوسته فلا يعمل عن الذكر أصلاً - كان الحتم منه صلى الله تعالى عليه بين الكتفين، فكان حتم لسوء ثمة حسماً لعادة الشيطان عنه بالكلية، ولذلك أسلم قريته الكريم فأعانه الله عليه^(١)

[الذكر يرد الخواطر الشيطانية]

ثم إن مادة الخواطر لا تنقطع، ولا تضعف، ولا تحبس الإلقاءات لشيطانية إلا بدوام الذكر، وعدم المتور عنه لا في العادات ولا في العبادات، ولا في سائر أطوار الإنسان

ولا يقال إنه يلزم على هذا أن لا يشتمل بعيره مع أن التكليف جملة

لأننا نقول: أول ما ينشأ المتعطل لصلاح حاله أن ينهز فرصة من التشويشات الخارجية^(٢)، كالاستماع إلى حديث الناس، والداخلية كالجوع الممرط والمصب والألم والشنع المفرط، ثم يذكر الموت، ويحصيه بين يديه، ويستغفر الله تعالى مما صدر منه من المعاصي

[ملاحظة النورين الجامعين في الذكر]

ثم يقبل بكنه الهمة على الذكر، مع ملاحظة النورين الجامعين الكاملين

(١) كما ثبت ذلك في «صحيح مسلم» (٢٨١٥) وقد مر ذكره وتحريره

(٢) أي وقتاً تبعه فيه تلك التشويشات التي سيدكرها

[النور الجامع الأول]

النور الأول، النور الأعظم المحمدي، يشتعل بملاحظته قبل الذكر وحيه، ويتحمله أولاً مُخَدِّقاً به ومُحِيطاً به، ومُكْتَمّاً له من جميع جهاته، لانه ادليلٌ والرفيق قبل الطريق، والجار ثم الدار

ويحتهد في استحصار الهمة المحمدية معه من كل جهاته، ولا يشت مع همته - صلى الله تعالى عليه - سوى ولا غير، ولا أقدار ولا أعيار، ولا سلاسل^(١) ظلمية، ولا تسورات رجيمة، لأن القلب بمثابة السماء، وقد كان عالم الأفلak قبل قدومه صلى الله تعالى عليه لعالم الشهادة غير مضمون من النفوذ الشيطاني، فلم يمه سبحانه قالوا ﴿وَأَنَّا لَنَسَاءٌ أَلَسْنَا فَوَجَدْنَهَا مِلْثَ حَرَسَاتٍ يَدَاوُسُهَا ۖ وَأَنَّا كُنَّا مَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعُودِ لِّلْمَسْجِعِ ۖ لَمَّا يَنْتَجِعِ ۖ أَلَا يَحِيزُ ۖ أَلَمْ يَسْهَلْ رَّصَدًا ۖ﴾ [الجن ٨-٩]

وكذلك القلب قبل استحكام مصاحبة موره صلى الله تعالى عليه معه وتمكين الروابط المعنوية معه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله، بلشيطان النفوذ الكلي فيه، حتى لا يَجِدَ للعبادة لذة ولا طعماً ولا ذوقاً

وأما إذا استحكمت مصاحبة - صلى الله تعالى عليه - البرحمة في سرك بحيث لم ترل تنحبيرة وتشكلف إحصار صورته الكريمة في عالم حيايك إلى أن تاحدها مرأتك فتحفظها فهالك يُحَفِّظُ بِأَمْرِكَ / ٣ / من الأعيار ولا أقدار، والشوishes والتعيرات والتعريفات، بسب دخول النور المحمدي للقلب.

إد هو - صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم - الإنسان الكامل، ففصر النظر عليه متصمناً للتوجه للعالم الأكبر والأوسط والأصغر، بل الحقائق الإنهية^(٢)

(١) السلاطة الشنة، والمقصود الظلمات الشدة

(٢) للمؤلف عدة وسائل في طريقة استحضاره ﷺ في الذكر منها: الإجازة الطرية، وهي ما اختراه لبشر في هذه المجموعة المباركة

فمن هناك كان حفظُ صورته الكريمة في مرآة القلب يتصمُّ حفظُ لسان
من لأعير، لأنَّ الإنسانَ الكاملَ هو الجامعُ لجميعِ العوالمِ الإلهية والكوبية،
لكبية، ولجبرية، وهو كتابٌ جامعٌ للكتبِ الإلهية والكوبية، فمن حيثُ رُوحه
وعقله كتابٌ عقليٌّ مسمَّى بأمِّ الكتاب، ومن حيثُ قلبه كتابٌ للروح
المحفوظ، ومن حيثُ نفسه. كتابُ المحو والإثبات، فهو الصحفُ المَكْرَمَةُ،
المرفوعةُ المَظْهَرَةُ، التي لا يَمَسُّها ولا يُدْرِكُ أسرارها إلاَّ المَظْهَرُونَ من الحُجُبِ
الظلمانية

نسبةُ العقلِ الأولِ إلى العالمِ الكبير وحفاظه بعينها نسبةُ الروحِ الإلهي
إلى البدنِ وقواه

وإنَّ النفسَ الكليةَ قلبُ العالمِ الكبير، كما أنَّ النفسَ الناطقةَ قلبُ الإنسان،
ولذلك يُسمَّى العالمُ بالإنسانِ الكبير؛ فاعقل

[كيف يُستعان على استحضار صورته ﷺ في الذكر]

ويُستعان على هذا بأمور.

مها معرفةُ الشرائعِ المحمدية والتعمُّلُ فيها، وإدماؤُ محاسنها حتى
تُرسَمَ تلكَ الصورةُ الكريمةُ المحمدية التي لا يمثلُ الشيطانُ بها في مراتك

إذا ما الشوقُ أفلقني إليها ولم أظفرُ بمطلوبٍ قديها
نَقِيتُ مثالها في الكُفِّ نَقْشاً وقلتُ لساظري: فَعُصِرْ عليها

يُمَثِّلُكَ الفِكْرُ المُرَوِّعُ في السَّوَى وأرتاحُ إذ يبدو خيالكُ في فكري

ومها: عدمُ الخروجِ عن السنَّةِ المحمدية ظلُّ نَفْسٍ في العاداتِ والعبادات،
ولمعاملاتِ والمعتقدات، فإنه بهذا تتوفَّرُ له الأنوار، ويُقرَّبُ من عالمِ المعاني،
ويتأخَّرُ عن عالمِ الأكلار، لأنَّ السنَّةَ المحمدية هي في الحقيقة صورةُ سِرِّ

المصلي إلى ربهم سبحانه، لو تم لهم التوفيق لما انقطع أحد، ولو وصل الجميع، لأنها لا يوصل بغيرها، وهي عنوان الوصول، وهي بمنضم الوصول، وهي الضياء في مذلهمات الحوالت الثيرة والذهرية، ﴿قُلْ أطيعوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، فتأمل جلالة النبوة في هذه الآية الكريمة، وهذا التوَعُّد العظيم على الإعراض عن السنة المحمدية

ومنها / ٤ / عدم العملة عن الصلاة على مركز دائرة الأورار صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله، في كل حين، فيها تقوى الرابطة معه صلى الله تعالى عليه، مع استحصال مجالته صلى الله تعالى عليه، لأنه جليس المصلي عليه

فيه سبحانه أدته فأحسن تأديبه^(١)، وليس التأديب إلا بالتحلق بأحلاق الله تعالى، وهو تعالى جليس من ذكره^(٢)، فهو صلى الله تعالى عليه جليس من صلى عليه.

وإنما أتى على الخلق من جريان الأعمال على اللسان فقط وعلى الحوارح الظاهرة، وعدم تعقل مما فيها وتعمُّقها الفقه النافع الذي هو الاطلاع على أسرار الشارح في كل جرئية وكلية أمر بها، فهذا يعظم موقع الشرع الكريم في انقلوب، ويعدِّيه بأحده الإنسان أحكاماً مجردة، وأقوالاً تعبدية، فلا يجد لها لذة ولا طعماً ولا دوقاً، ولا يحصل له تزقٍ بسبب أحدها كذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله المهي العظيم

(١) قال تعالى ﴿وَلَقَدْ قُلْنَا لِلَّذِينَ هُتِفُوا لِيُغِيبُوا عَنْكَ آلَهُمْ وَكَوْنُوا غُيُوبًا﴾ [النجم: ٤٤]، وأنا الحديث: «أدبي ربي فأحسن تأديبي» مروي لكن بأسانيد ضعيفة جداً، انظر «كشف البحار» (٧٦: ١)

(٢) أخرج البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «إن عند عليٍّ عيني بي، وأنا معه إذا ذكرني». وفي «المستدرك للإمام أحمد» (٥٤٠: ٢) من أبي هريرة كذلك مرفوعاً: «إن الله هو وجل يقول أنا مع علي، إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه»

[لكل أمر من أوامر الشريعة سرٌ يعلمه العلماء بالله تعالى]

وإن جميع أسرار الشرع كلها يعقها العلماء بالله تعالى، ليس عدهم شيء لا يُعقل، ولا يُفقه، ولكن قديماً قيل «إذا عَجَرَ الحوِيُّ عن التعليل قال: هكذا سُمِعَ، وإذا عَجَزَ الفقيه عن العلة والحكمة قال: هذا نَعْبُذِي أَقْرَبُ الشرع به ولم يُطلعنا على حكمته»

ولكن معرفة المعنى المعنوي، بعد إتقان الفقه الحُكْمِي يقوِي البعث على الامتثال والاحتساب، ويُحِلُّ وَقَع مسائل الشرع الكريم في لقلوب، فثبت قال الشاطبي في «الموافقات» إن القوم حَمَلُوا أنفسهم طوقاً من لتعب حتى الحقو المكروه بالحرام في طلب الترك، والباح بدرجة المندوب، والتسنى بدرجة الواجب^(١)، كل ذلك رغبة فيما عدا الله تعالى، وبصير الشرع عداً، دوقاً لا يشككه فيه العبد ملحدٌ يُصِير الظلمة نوراً والنور ظلمة والطحاة ذُفباً، لا يوفقه في شيء من الرئب لما وجدته من امتزاج الفقه المعنوي بالفقه الحُكْمِي وصاحب هذا المقام له علامات ألمسا بها في «الكمال المتلالي»^(٢)

[النور الجامع الثاني]

النور لثاني مما يلاحظ حالة الذكر النور الإلهي^(٣)، النور الحق، النور القدس، نور السماوات والأرض

(١) موافقات (٤: ١٢٢)، (مشهور)، والفيل بالمعنى، وذكر إلحاق الباح بدرجة المكروه لا المندوب

(٢) هو «الكمال المتلالي»، والاستدلالات العوالي، في معاجم أهل الصربط والتعالي، وأن فيضان الربوبية والمحمدية لا ينقطع بل متالي، طبع في المطبعة الحيدرية بمكة

(٣) سبق المؤلف - رضي الله عنه - ذكر النور المحمدي على النور الإلهي لأن النور الإلهي لا يتوصل إليه إلا من طريق النور المحمدي

فيلاحظ نفسه مستغرقاً فيه، وذاهاً في تياره، وهائماً في مسعه، وولهاً في
لذاتهِ إحراقاً شاعائيه، وهذا النور يستحصره لا في حالة ذكر الكمية
المستغرقة، ولا في حالة ذكر الأسماء الإلهية، ولا في حالة ذكر الاسم لهوية،
/ ٥ / ولكن يحبس النفس ويكررها بقوة وهمة تامة، بحيث يتأثر به من غير أن
يظهر على ظاهره أثرها في باطنه، بحيث لا يشعر به جليساً حبه

ويجعل أوقاته مستغرقة فيه، مهيكة به في إياهه ولياليه، ولا يتركه شغل،
ولا يهمه نكد، لا في القيام والقعود، ولا في الركوع والسجود، ولا في
الاستقامة والاعتناء، ولا في الشدة والرخاء، فحينئذ يظهر المطلوب من الحرارة
المريرية، والحركة الباطنية، والحركة العزادية، أي أن يتشرق صاحبه بالتجلي،
وهو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب

وأمهات الغيوب التي تظهر التجليات من بطانتها مبيعة.

(١) غيب الحق وحقائقه

(٢) وعيب الحياء المنفصل من العيب المطلق بالتميز الأحمى في حصرة
﴿أَرَأَيْتَ﴾^(١)

(٣) وعيب السر المنفصل من العيب الإلهي بالتميز الحفي في حصرة
﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾^(٢)

(٤) وعيب الروح، وهو حضرة السر الوجودي المنفصل بالتميز لأحمى
في التابع الأمري

(٥) وغيب القلب، وهو موضع تعانق الروح والنفس، ومحل استيلاء
السر الوجودي، ومضة استجلاته في كنوة^(٣) أحدية جمع الكمال

(١) يشير إلى قوله تعالى ﴿لَمَّا كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (الحج ١٧)

(٢) يشير إلى قوله تعالى ﴿لَمَّا كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾

(٣) الكنوة: السقطة، كما يكتب: سقط على وجهه

(٦) وعيبُ النفس وهو أنس المأطرة

(٧) وعيبُ اللطائفِ التوبة، وهي مطارج أنظاره لكشف ما يحق له جمعاً وتخصيلاً كما في «التعريفات»^(١)

إذا راطب الطالب^(٢) عليه رباً، وداوم عليه أبداً، ظهر أثر العفة وعدم الشعور في بعض الأحيان، وهو مقدمة الجذبة، فلا يعمل عنه، وإن وقع الفتور يستعمر الله تعالى ويرجع لذلك الحضور.

وبعد، تحصلُ له الملكةُ النائمةُ الطاردةُ جيشَ العقلة عن صاحبة القلب، لكن بشرط أن لا يريده من اللفظ المبارك إلا الذاتُ المقتضية عن جميع انكسبات المنحنية

إذا داوم على الذكر بكنه الهمة، صار ملكة راسخة للقلب، كالسمع للسامعة، والبصر للناصرة، فلو كُلف روائه لا يروى، بل تُكفى صوته، فيصير [الائتمات]^(٣) الشهودي له ملكة، وهو قائم في باب المعلومات النظرية مقدم ابتداءه، ولديه هو الذي لا يتوقف حصوله على نظر وكشف، سواء احتاج إلى شيء آخر من حذسي أو تجرية، أو غير ذلك، أو لم يجد، فإياه من الضروري كتصور الحرارة والبرودة، وكالتصديق، فإن النمي والإثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان

وهذه / ٦ / الطريق التي تشير إليها نقطتها في سبع خطوات، اثان منها من عالم الخلق، وخمسة من عالم الأمر القلب، والروح، والسر، والحي، والأسمى، من عالم الأمر، و[القالب] والنفس من عالم الخلق، والقلب مركب من العناصر الأربعة

(١) «التعريفات» للشريف الجرجاني ص ٥٣

(٢) أي طالب الوصول إلى الكمال

(٣) ما بين الملامتين [] كلام غير واضح في الأصل، وقد جاء كما ترى

[كيفية الوصول إلى الصفاء الرباني]

ومن أراد الصفاء الرباني فعليه بالانكسار جوف الليل، ولحس النفس، والاحتياط في حبسه - حرصاً على جمع الهمة وعدم تشتت الحاطر - حاصيةً عجيبةً في تسخير الباطن، وجمع الهمة، وهيجان العشق، وقطع أحاديث السر وكذلك لعدد الوتر حاصيةً عجيبةً، حتى أجاروا لحس النفس والشرج بكنه الهمة الموصى في الماء، وفي تلك الحالة يشتغل المريء بالذكر مع هذه المراعاة، وكل من لم يحبس نفسه سبع عشرة مرة، أو إحدى وعشرين، أو ثلاثاً وعشرين، أو سبعا وعشرين، أو ثماناً وعشرين^(١) لا يظفر بالتأثير الدكري، والحرارة الجاذبة، والود الحارق

ولذلك تجد المريء يذكر السنوات وهو بحاله قبل التفتيش، لأنه لا يدري ما معنى السبى، وما معنى أحد العهد على أهل الله، ولا القصد من صحبتهم ورفقتهم، إنما غاية ما يهمهم أنهم وسائل في طلبهم من الحق سبحانه أن يسمي رأسه من الوجع، وأن يسط عليه الدنيا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

[احتراسٌ وصولي الله ﷻ من تشتت الخواطر]

وليعتبر بحال سيد الخلق، أطهر الدواب الكوبية - صلى الله تعالى عليه - كيف احترس من تشتت الخواطر وتوزيع الهمة، فقال: «أخذوا خميصتي هذه فإنها شعلتني عن صلاتي، أذهبوا بخميصتي إلى أبي جهنم وانتوبوا بأبوابها أبي جهنم»^(٢)، كن ذلك حرصاً على عدم وجود مشوش ومورع للهمة حالة المساجاة

(١) ربما ذكر المؤلف الرقم (٢٨) وهو ليس وترًا، لأنه من مضامعات العدد (٧) وهو وتر (٢) كما في الصحيح البخاري (٥٨١٧) من حديث عائشة رضي الله عنها، وللمؤلف رضي الله عنه مؤلف ضخمة في شرح حديث الخميصة هذا، جمع فيه علوماً كثيرة، وما زال مطروفاً

وهذا ضربُهُ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مَثَلًا لِلْعُجُودَاتِ لَتَرْتَأَصُّ وَتَحْتَرَسَ عَلَى
احتلاسِ وَحْدَةِ الْوَقْتِ، وَوَحْدَةِ الصَّغَاءِ، وَوَحْدَةِ الْمَسَاجِدِ، لَتَذُوقَ لَذَّةَ الْعِبَادَاتِ
وَالْقُرْبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ

وَلَا يَخْتَلِجُ بِهِمْ رُوحَانِي أَنَّهُ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ نُزُّرٌ فِيهِ صُورُ الْكَائِنَاتِ
أَحْمَعُ، عَنُودٌ وَسُفْلِيهَا، لِأَنَّهُ جَوْهَرٌ صَفِيْلٌ شَفَافٌ، بَلْ لَا يَثْبُتُ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ،
وَلَدَلَّتْ بِشِيرِ بَقُولِهِ «لَوْ كُنْتُ مُتَعَدًّا حَبِيْلًا عِزَّ رَبِّي لَأَتَحَدَّثُ أَمَّا بِكُرِّ حَبِيْلًا،
وَلَكِنْ أَخَوَةُ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ»^(١)، فَلَمْ يَتَأَثَّرْ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِمَصْحُوحَةِ
لِكَائِنَاتٍ لَهُ؛ فَطَعْمًا

وَيُنْظَرُ كَيْفَ احْتَرَسَ عَلَى هَذَا الْمَسَلِكِ / ٧ / فَقَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ
الْوُضُوءِ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يَحْدُثُ فِيهِمَا بَعْضُهُ شَيْءًا عَمَرَ لَهُ مَا تَقْدُمُ مِنْ
دِيهِ»^(٢)، تَأْسِيًّا لِمَسْأَلَةِ حِفْظِ الْعَاطِرِ، وَحِرْصًا مِنْ انْطِبَاعِ صُورِ الْكَائِنَاتِ فِي مَرَّةٍ
اَلدَّائِمَةِ حَتَّى تُكَوَّنَ لَهَا حِجَابًا عَنْ وَحْدَةِ الشُّهُودِ صِنَاعًا

[تَنْزِيهُِ الرَّسُولِ ﷺ عَنْ انْطِبَاعِ صُورِ الْكَائِنَاتِ فِيهِ]

وَأَمَّا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ شُرُوحُ^(٣) «الصَّحِيحِينَ» مِنْ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ كَانَ
يُطْبَعُ فِيهِ صُورُ الْكَائِنَاتِ، لِذَلِكَ نَحَرَّجُ مِنَ الصَّلَاةِ بِالْحَبِيصَةِ لَهَا أَعْلَامٌ، مِمَّنْ
مَعَهُمْ دَعْوَى عَنْ خَاصِيَةِ مَطْلُوقِ النُّبُوَّةِ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٦٥٤) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِإِخْتِلَافٍ بِسِيَرِ
(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٥٦) وَمُسْلِمٌ (٢٢٦)، مِنْ حَدِيثِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَرَادَا
هَآكِ: «مَنْ تَوَضَّأَ مَعَهُ وَضُوءِي هَذَا فَأَحْسَنَ...»
(٣) إِنَّمَا ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - شُرُوحَ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يَذْكُرْ شِرَاحَهُ، أَدْبَابًا مَعَهُمْ رَحِمَهُمُ
اللهُ تَعَالَى، فَلْيَنْبِذْ لِدَلِّكَ

والمحذ أنه صلى الله تعالى عليه واسطة الكائنات في كل ما يبرز لهم،
 وإنما هو قاسمٌ والله - جلُّ شأنه - يعطي^(١)، ومع ذلك لا يتأثر بصحة الكائنات،
 حتى إن ليلة الإسراء زُفَّت له الحقائق العلوية بالاردهاء، ومع ذلك وصف
 سبحانه حاله الكريم الأسنى بقوله ﴿مَا ذُكِّرَ بِهَذَا عَمَّا هُوَ بَعْدَهُ مِنَ الطُّمُوحِ
 لِمُشَاهِدَةِ الْجَمَالِ صِرْفًا بَدُونِ الْبَيْتِ الْمَظَاهِرِ ﴿وَمَا كُنْ﴾ [النجم ١٧] بما قُوبِلَ
 به بل لم يزل ماظراً إلى مركز عبوديته وعُبودته^(٢)

وهذا عتبة التبرير من الحق سبحانه والتعديل لحبيبه الكريم في حاله معه في حابة
 قُرب القُرب، فربناك والعلف في الجانب المحمدي تسقط من عين الله مرة واحدة

[مخاربة المخاطر أثناء الذكر وطريقة ذلك]

وقد تحرى أرباب الطريق في هذا النمى حرصاً على الجمعية القلبية مع الله
 تعالى، حتى قالوا إن مراعاة العدد يسمي أن يكون بمجرد الحفظ، لا بالأصابع
 ثلاثاً نصيح درجة أو درجتين في أمر مشوش.

وحتى قالوا إن الدائر إذا حَجَرَ عن الحُسْ لكثرته وصَعَفَ عن الذكر لقوة
 السلطان العال، فله إرسال النفس مع الذكر، ويكون ذلك باقياً.

وصاحب هذا ينبغي له أن يكون فيه متيقظاً، فلا يدع حطرة تحطر بقله،
 بل يصيد الحطرة في أول ما تظهر، لأنها إذا ظهرت مالت إليها النفس وألغتها،
 فيعسر زوالها^(٣)

(١) كما ورد في البحاري (٧٣١٢) من حديث معاوية رضي الله عنه، وغيره قوله ﷺ إنما أنا
 قاسمٌ والله يعطي

(٢) للمؤلف رضي الله عنه مؤلف في الفرق بين العبودية، والعبادة، والعبودية، لم يطبع بعد

(٣) وذلك قال الإمام ابن الفارض رضي الله عنه.

ولو غطرت لي في سواك إرادة على خاطري، سهواً، قضيت برؤتي

أي: رجوعي إلى أول طريق السلوك

فهذا طريقُ تحصيل مُلكِ حلولِ الدهرِ عن حطوراتِ الحطراتِ وأحاديثِ
الفسرِ، وهو المعرَّضُ عنه بـ«التجريدِ السَّريِّ»، المعرَّضُ عندَ أهلِ طائفتنا، وهو
باطنةُ السُّويِّ والكونِ عن السرِّ والقلبِ، إذ لا حجابَ سوى انصُورِ الكُوبةِ
والأعيارِ المنطبعةِ في ذاتِ القلبِ، والسرِّ فيها كانتوه، والتشهيرَاتِ في سطحِ
امرأة، الفادحةِ في استوائه، المربيلةِ لصفاته

وما أُتِيَ على المريدِ إلا من استرساله في المعلة، وعدمِ علمه بما يصع،
ودهوله في بابِ الهوى القاتلِ المهلك، حتى لا يشعرَ بما يجري عن لسانه
واسحةً في يده، والأستاذُ أمانه، وبيتُ الله محيطٌ به، والرفقاءُ بحبه،
والأصواتُ مرتفعة، والصدورُ مرتجة، وهو في دُكانه يفلُتُ أوراقُ الكيشِ، أو
يتجددُ أديانُ المحاصماتِ مع روجه أو رفيقه أو حصنه أو عدوه، ولحالُ أنه
في حصرةِ الله في الوردِ، أو في الصلاة، أو في التوجُّه، وكلُّ هذا خروجٌ عن
الطريقِ ومَسِّي أهلها، ولذا قالوا: «إنَّ تساهلَ المريدِ عن تكبيرةِ الإحرامِ، فلا
كلامَ معه»

فيا ليتَ شعري ما يقولون فيمن هذه صفته؟ اللهم خذ بأيدينا أحدَ الكرمِ
عليك، ولا تُكِنَّا إلى أنفسنا طَرَفَةً عبي ولا إلى أحدٍ من خلقك، آمين يا ربَّ
العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً،
والحمدُ لله على ذلك

[الكلامُ عن الفناء وأقسامه]

وقد قال بعضُ الساداتِ: «إنه يجوز أن يحصل لبعضِ السائرين فناءُ القلبِ
والروحِ ولا يحصل له فناءُ السرِّ، وربما يحصلُ فناءُ السرِّ ولا يحصلُ فناءُ الحمي
والأحمى، فيكفي فناءُ القلبِ والروحِ والسرِّ فقط، ويكونُ بهذا القدرُ من
البلوكِ في رُمةِ الأولياءِ، لكن إذا ظهرتْ حقائقُ اللطائفِ الحمسة بعدَ الموتِ

لا يعور هذا السالك - بالشراب والتنازع المناسبة لقضاء تلك اللطائف ويقاها،
لتي لم تشرق بالقضاء والبقاء في هذه الشاة الديوية - فوراً كاملاً ، اهـ
والذي يلوح: أنه إذا حصل للعبد القناء في الأفعال، والقناء في الصفات،
والقناء في الذات، ورجع إلى القناء الثاني الذي هو في الولاية بمسرة الرسالة
في حق المرسلين بالضرورة يحصل قناء اللطائف الخمسة، فاعلمه

والمعترى ههنا أكابر طائفتنا: هو المحصور الذاتي، والشهود الدوامي العبر
البرقي، ولا عبرة بالمحصور الرائل المتبدل بالعبية والتجلي الذاتي ما يكون
مبدؤه الذات، من غير اعتبار صفة من الصفات معها، وإن كان لا يحصل ذلك
في الغالب إلا بواسطة الأسماء والصفات، إذ لا يتجلي الحق من حيث ذاته على
الموجردات إلا من وراء حجب من الحجب الاسمانية، بخلاف لتجلي
الصفات، فهو ما يكون مبدؤه صفة من الصفات من حيث تعيها وامتناعها عن
الذات

وقول / ٩ / من قال «إن التجلي الذاتي برقي» معناه أن حرقه جميع
الحجب عن حضرة الذات يكون في زمن يسير كالبرق، ثم تسدل حجب
الأسماء والصفات، وتستر سطوات أنوار الذات، فيكون المحصور الذاتي
كالبرق

والعبية الذاتية كثيرة جداً، ولكن كل من لم يتمكن من الاسلاح من
جلايب البشرية لا يظهر بالتجلي الذاتي أصلاً، أو هو الذي يمنع به برقياً

وأما الذين تولاهم الاسم «الولي» وقدسهم الاسم «القدس»، وتبأهم
التخصيص المحمدي، فيتمنون بالتجلي الذاتي صرماً بدون برافح حجب
الأسماء والصفات، ويحتاج صاحبه لتلاشي ألف مرة في اليوم أو أكثر، أو في
اللحظة الزمانية، لقوة التجلي وتمكن جلايب البشرية منها.

فلا يقوى على النجلى المجرد عن حُجب الكثرة إلا أهل التجريد عن
اشتریات، وربما تعرف في وجوههم مضرة الميم، فتستدل عليهم بذلك، فلا
يقال - إذا لم تكن لهم علامة رسمية - : فِيمَ يُعْرَفُونَ؟^(١)

نقول: إن آيتهم في نفسهم، وهو دواء ترقّيتهم في مدارج العلم والمعارف،
بحيث يعرفون الأشياء كما هي، ورائة محمدية

[نتائج تجمّع الهمة أثناء الذكر والعبادة]

ثم إن تجمّع الهمة، وعدم توزيع الحواطر، والتوجّه للنور الصّرف بكنه
الهمة تنفعل عنه الكائنات، فتتأثر منه الحقائق العلويات والسفليات، وبذلك
قبل: «ارتفاع الأصوات بالدّهوات»، في مساجد الجماعات، يحل ما عقدته
الأفلاك العلويات»

ومن تمكّن من جمع الهمة، ولم يترسل مع الحواطر وقعت له تصرفات
عجيبة من التوجّه لمراد فيكون على وفق الهمة والتأثير، وروى المرحص عن
المريض، وإدعية التوبة على العاصي، والتصرف في قلوب الناس حتى يحثوا
ويعظموا، وفي مداركهم حتى تحدث فيها واقعات عظيمة، والاعلاج على نسبة
أهل الله من الأحياء وأهل القبور^(٢)، والإشراف على حواطر الناس وما يحتلج
في الصدور، وكشف الوقائع المستقبلية، ودفع البلية النازلة.

وأما نسبة كسر النفس والتبرّي عن حظوظها؛ فهي نسبة أهل البيت عليهم
السلام

وها نحن نشير لأنموذج من ذلك؛ فنقول

(١) لم يقل المؤلف «الأمرات» أدباً معهم، ولأن الأولياء الكُمل أحياء في قبورهم ورائة سوية،
حيث الأنبياء أحياء في قبورهم كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، والله أعلم

[تأثيرُ الشيخ في المريد وكيفية ذلك]

أما التأثيرُ في الطالب المتوجِّه بشرائيره^(١) إلى جناب لُقْدُس بواسطة
شيخه

بأن يتوخَّه الشيخُ إلى معه الطاقة، ويُصادِمها بالهمة التامة انقوية، ثم
يستغرق في نسيته بالجمعية بعد أن / ١٠ / يكون الشيخُ متحملاً لسيِّئ من سبِّ
انقوم^(٢)، ويكون راسخ القدم فيها، فيقل نسيتهُ إلى الطالب على حسب
استعداده، أو متحملاً لهمةً محمديةً وبها يسير وهو أربعُ المعارف، ومهما عرص
حاطرُ أثناء هذه الجمعية؛ فيصادم ويراعع بالمرَّة، لأنه يُفَسِّدُ عليه صفوَّ وقت

وبيصرب، لنشيخُ أو حليفتهُ بأصمعه اليمنى في فحده الأيسر، فإن انحطرت
يده، كما علَّم صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله لمن علبت عليه لحواطرُ
في الصلاة أن يفعل ذلك، فيذهب حاطرُه^(٣)، ولكن يسمى لمن هو في الصلاة
أن لا يفعلهُ إلا عند وكوعه حتى لا يفوته الاعتقال

(١) الشراشر الشَّزِيزَةُ القطعة من كل شيء، والجمع شراشر، أي بجميع أجزاء جسده،
أي ب كله

(٢) أي طريقة من طرفهم

(٣) روى الطبرسي في «الكبير» رقم (٥١٢)، والبرار برقم (٥٨٠) عن أبي المليلح بن أسامة عن
أبيه: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني أشكو إليك وسوسةً أجدها في
صدرِي، إني أدخل في صلاتي فما أدري على شئٍ أتعلَّل أم على وتر؟ فقال رسول الله
ﷺ: «مدا وجدت ذلك فارفع أصبعك السبابة اليمنى فاطمه في فمك يسرى، ومن
بسم الله، فإنها سكين الشيطان»

قال الهيثمي في «المجمع» (٢: ٣٥٢). «رواه الطبراني في «الكبير»، والبرار [و] لم
يخمس سيده الحديث، فلملحه من سقم المسخة - والله أعلم - وفيه المهاجر بن المسيب
عن أبي المليلح، وهو مجهول»

نفت وأورده الحكيم الترمذي كذلك في «نوائد الأصول» (٣: ٢٩)

وؤكدُ على من يريد إعطاء الورد من أهل طائفتنا أن يجمع هذه الهمة ثم يلقن الورد إثرها، فبذلك تقع النتائج والشرایط^(١)

ونكر قد يقع التشويش على الشيخ أثناء هذه الجمعية إذا كان في المجلس من هو على غير طهر، أو صاحب جنابات معنوية^(٢)، كما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله في الصلاة لما جهروا معه بالقراءة فشمعوه

خرج الإمام في «الموطأ» والإمام الشافعي، والإمام أحمد، وأبو داود، والنسائي، والترمذي - وقال: حديث حسن، وابن ماجه وابن حبان عن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن مولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله بصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة فقال «هل قرأ معي أحد منكم أمأ؟» فقال رجل نعم يا رسول الله، قال «فلي أقول مالي أنارُع القرآن^(٣)؟»

قوله «أنارُع»، بضم الهمزة للمتكلم وفتح الزاي، والمناوعة: المجادبة، قال صاحب «النهاية» «أنارُع، أي: أجادب [في قراءته]، كأنهم جهروا بالقراءة خلعهم - انكريم - فشمعوه^(٤)» فالتست عليه القراءة وأصل النزع: الجذب، ومنه برع الميت بروحه

راد الراوي «فانتهى الناس» عن القراءة مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله فيما يجهر فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه^(٥)

(١) أي: الأنوار والمواد السارية إثر ذلك

(٢) يعني بها الصوب والمعاصي وقسايد الباطن، تسأل الله العافية

(٣) الموطأ (١٩٠) واللفظ له، والشافعي كما في «السنن الكبرى» للبيهقي (٢ ١٥٧)، وأحمد

(٩٥٢٧)، وأبو حنبل (٨٢٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩١٩)، وابن ماجه (٨٤٨)،

وابن حبان (١٧٨٥) من الإحسان

(٤) «النهاية في غريب المفرد والآثر» للإمام ابن الأثير الجزري (٤١: ٥)

(٥) انظر «الموطأ» (١٩٠)

وقوله «فانتهى الناس» مَدْرَجٌ^(١) في الخير كما بينه الخطيب، وانفق عليه البحاري في «التاريخ»، وأبو داود، ويعقوب بن سفيان، والذهلي، والخطابي، وهو مما لا خلاف فيه بينهم^(٢)

ومن سيدنا عبادة بن الصامت - رضي الله تعالى عنه - قال: صلى مولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله - الصبح، فثقلت عليه القراءة، فلما انصرف قال «إني أراكم تقرؤون وراء إمامكم» ١١/، قال قدا يا رسول الله، إي والله. قال: «فلا تعملوا إلا بأم القرآن، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها»، رواه أبو داود والترمذي^(٣)

قوله «فثقلت عليه القراءة» أي شقَّ عليه التلُّظُّ والجهُرُ بالقراءة، ويحتمل أن يُراد به أنها التبت عليه القراءة، بدليل ما عد أبي داود من حديث عبادة في رواية له بلفظ «فانتست عليه القراءة»^(٤)

فاظر كيف ثقلت عليه - صلوات الله وسلامه عليه - القراءة لشدِّ دعوه فيها، والتبت عليه، فكان يسنِّي للمطالب أن يحتفظ على قلب المرئي حتى لا يَسُدَّ المجاري التي يسه ويته، ويقتي عُرصةً للصباغ، ضيعةً بين الناس

واظر قوله عليه الصلاة والسلام لمن قال له اضمن لي الجنة، فقال له «أعني على نفسك بكثرة السجود»^(٥)، فكيف مع هذا أن يُخلد المرید إلى أرض

(١) المدرج، ما زيد في لفظ الحديث من كلام الراوي، وقد يأتي في أول الحديث، أو وسطه، أو آخره - كهذا الحديث - وليس هو من لفظه **فَكَانَ** بل من لفظ بعض الرواة، وهو هنا من كلام الزهري كما في «السنن الكبرى» للبيهقي (٥٧، ٢)، وقيل: من كلام أبي هريرة وهو ما رجحه الحافظ الكاندلوي في «أوجز المسالك» (١٠٧، ٢)

(٢) وينحو هذا عبارة الحافظ في «التلخيص» (١١ ٢٣١)

(٣) فسن أبي داود (٨٢٣)، و«الجامع» للترمذي (٣١١)، وحسنه

(٤) فسن أبي داود (٨٢٤)

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٦) ولفظ طلب السائل: «أألك مراكبك في الجنة»

لكمّل والراحة والجُنى، ثم يمتلئ مراتب الرجال! لا تامت عينُ الكسل والخص والبخل^(١).

وكذلك الطالب إذا غاب فإنهم يتخيلون صورته ويتوجّهون إليها^(٢)

[تعريفُ الهمة]

وأما الهمةُ فعبارةٌ عن اجتماع الحواطر، وتأكّد العزيمة، بصورة التمسّي والطلب، بحيث لا يحطر في القلب خاطرٌ سوى هذا المراد، كطلب الماء لمعطشان

وقد حُكي أن بلدةً كانت اعتاصت وتمتعت على بعض الملوك أن يستولي عليها مع قوته، فبحث عن ذلك، فقبل له إن أهلها مجتمعَةٌ قلوبُهُم على أنها لا تُدخَل، وطامعون لذلك، فهم في قوة رجلٍ واحد، فسأل عن سبب قلّ عرائمهم حتى يمكنه الدخول للبلدة، فقبل له. شوّش أفكارهم حتى تنفّرق همتهم فلا تجدُ مانعاً يمنعك منهم. فاتخذ طُبولاً لها أصواتٌ مُبرّعة، وأحاطها بسور البلد، فالتفتت لذلك أفكارهم، واشغلت بالبحث عنها، فتوصل ذلك الحيك للاستيلاء عليها، لعدم التماسع والمُدافع فهذه القصةُ عبرةٌ لمن اعتبر

(١) وهذا ما حدث في هذا الزمان، حتى أصبح المذبحون الانتساب لطريق القوم أنعم الناس وأجبرهم عن العمل من قيام وتهجد وصيام وجهاد في سبيل الله تعالى، مع الاعتماد على فضائل الأذكار دون استحضار معانيها والأصناف يحفظونها، والله درُّ الإمام أبي مثنى التلمساني إذ قال

واعلم بأن طريقَ القومِ دراسةٌ وحالٌ من يدعيها اليومَ كيف ترى

(٢) قد يتأسى هنا بما عفاه رسول الله ﷺ وعلى آله من بيعة سيدنا عثمان رضي الله عنه له في بيعة الرضوان عند خيبر كما ذكره أهل السير، ويقول ﷺ وعلى آله في هذه أحاديث: «أمنت بكنا أنا وأبو بكر وعمر»، وغير ذلك من الآثار المتضاربة على هذا المعنى

وكذلك يعمل الشيطان حتى يتمكن من القلوب، لا في الصلاة ولا في الذكر، ولا في جميع الأعمال، حتى يجلب عليهم بحيله ورجله، ويستعمر من استطاع منهم بصوته، ويشاركهم في الأموال والأولاد، ويتعدّهم، وما يعدّهم الشيطان إلا ضرراً

[طريقة رفع المَرَضِ عن المريض]

وأما رفع المرض عن المريض فكيفيته أن يتحيل نفسه المريض، وأن ذلك المرض متلبس به، ويجمع كنه الهمة، بحيث لا يحطر بباله سوى هذا الحاضر، فإن لمرض ينتقل / ١٢ / إليه، وهو من عجائب صنّع الله تعالى في خلقه

[طريقة التصرف في العاصي بإفاضة التوبة عليه]

وأما إفاضة التوبة على العاصي، فصورته أن يتحيل نفسه ذلك العاصي، ويقطع ملاحظة العبرة بين العاصي، كأن نفسه تعانقت مع نفسه، ثم يحدّد الآية والإنابة إلى الله تعالى، ويتجأ إلى الله بالدم والتوبة والاستعمار، فإن ذلك العاصي يتوثق عن قريب، ولئلا يولد ذلك المرار بعد المرار، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْتُلُ النَّفْسَ الَّتِي جَاءُوا بِهَا﴾ [النورى ٢٥]، وإنما لم يقل جل شأنه (يقبل توبة عباده) لإفادة هذه المسألة، وهي أن من تاب بناية عن شخصي فإن توبته تُقبل عنه، ويُركل ذلك المتوثق من منزلة النائب، هذا في النيابة، وأما الآن فقد أفصحت المصائب إلى نفسي واحدة، والسلام.

[طريقة التصرف في قلوب الناس لإرساء المحبة بينهم]

وأما التصرفات في قلوب الناس حتى تقع رابطة المحبة والوداد، أو في مداركهم، حتى تسري فيها الواقعات، فصورته أن يهضم نفس الطالب بقوة الهمة والعزم والتوجه الروحاني، ويجعلها متصلة ومتلبسة به، ثم يتحيل صورة

الحب والود، أو الواقعة المثالية، ويتوجّه إليها بمجامع القلب، فإنّ هذا المتوجّه إليه يتأثّر وتحصل له الواقعة.

[طريقة الاطلاع على نسبة أهل الله ومقاماتهم]

وأما الاطلاع على نسبة أهل الله وطريقه أن يجلس بين يديه، إن كان حياً، ونحو قبره إن كان في البرزخ، ويجرّد نفسه عن كل نسبة، ويُعصّي بوحه إلى روح هذا الشخص زماناً حتّى تتصل بها، وتحتلّط، ثم يرجع إلى نفسه، فكما وحدّ فيها من الكيفيات فهو نسبة هذا الشخص لا محالة.

وقد يتعرّف الإنسان بهذا - إن تمّ له الحضور والانتعاش لروحي - الحالة التي مات عليها الميت، أيّ اسم علت عليه وروح سكوتة حالة خروج روحه، فإنّ الأموات كل واحد منهم يتجلّى له مقتضى الاسم الذي كان أعلت عليه في الحياة^(١).

ومن غيّب هذا لا يشترط في الميت النطق بالكلمة المشرفة، بل العلم بها كافٍ عند خروج الروح، لقول الأنباء المحمدية: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ بِمَنْمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢)، تأدياً من الشارع لمن رأى مريضاً حائزاً المرص وغيّبه عن جسده إلى أن مات، فإن الحاضر عنده لا يجوز له أن يلمّره بشيء، لأن العلم بمقتضى التوحيد كافٍ، وطُرُقُهُ تَشْفَعُ حَسَبَ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ، وهذا المحدث عنه يعلم أيّ الشعب خرج عليها من الدنيا هذا الميت بتوجهه للحضرات الأسماوية. / ١٣ /

وهذا العلم لم ترّ له دافعاً، والله الواهب المعصّل، الجواد الكريم

(١) لما توفي المترجم رضي الله عنه كان آخر ما تلعّظ به: «الله» بصوت عالٍ اعتزّ له السجود الذي كان به يعاس، كما في «بلوغ الأماني» ص ٢١، لجله الإمام الباقر رحمه الله تعالى.
(٢) أخرجه مسلم (٢٦) في باب من مات على التوحيد دخل الجنة عن عثمان رضي الله عنه

[طريقة الإشراف والكشف عن الخواطر]

وأما الإشراف على الخواطر فطريقه أن يجرد عنه عن كل حديث وعبره، ويصني بنفسه إلى نفس هذا الشخص، فإن احتلج في نفسه حديث من قبل الاعمكس وانتقال، فهو خاطئه.

[طريقة كشف الوقائع المستقبلية]

وأما كشف الوقائع المستقبلية فطريقه أن يُفرغ عنه عن كل شيء إلا انتظر هذه الواقعة، فإن انقطع عنه حديث النفس وكان التوجه بكنه الهمة وتبعد عن العالم لسفلي بالمعنى والملاحظة وأكثر من مطالعة العالم العلوي إلى أن يفرّت بروحه للملا الأعلى على حسب استعداده والتجرد عن العلاقات لكويبة فإنه عن قريب يكشف له الأمر، إما بهاتف، أو رؤية واقعة حسية أو خيالية

ومن أنكر هذا فكأنه لم يعلم ما في «الصحيح» من قول المرتضى للنفوس والأرواح «قد كان فيمن قبلكم محدثون، وإن يكن في أمني معمر منهم»^(١)

وقد قال سيدنا علي «إننا لرى في القرآن رأياً من رأي عمر تعبداً لله سبحانه به»

والموافقات العمريّة من هذا القبيل، وقال أبو ثواب^(٢) «كنا نرى أن الشكيّة تنطق على لسان عمر»^(٣)، والسلام

(١) أخرجه يحمرو البخاري (٣٦٨٩)، والترمذي (٣٦٩٣)، وعبرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) وهي كنية الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(٣) ذكره الحافظ الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (سير الحلفاء الراشدين) ص ٧٦ عن الشعبي عن علي بلفظ «ما كنا نحمد أن للشكيّة تنطق على لسان عمر»

ولكن شرط صاحب المسألة أن يعرف ارتباط العالم السفلي بدارهم العلوي، ويعلم شعباً من عالم الحيال بقسميه المتصل، والمنفصل، وبوعيه المُنطق، والمفيد، ويكون له الشئ الكامل في العالم الحيلي، فإنه يتحقق بالوقائع المستقبلية

وإياه أن يعتز بالبرقي الحلب، فإن الصديق الأكبر لما عبّر الرؤيا قد له سد الكُن «أصت بعضاً، وأحطت بعضاً»^(١)، ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَكَ الْمَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزخرف: ٨٥]^(٢)

[طريقة التصرف بدفع البلية النازلة]

وأما دفع البلية النازلة بطريقة أن يتحيل برؤيا ويستحضر روحانيته صلى الله تعالى عليه، ويستحضر تاديئاته وإرشاداته في مثل هذه المسألة، ويعلم أنه لا يخلو عن الهوى، فإنه قال «الدعاء يرد القضاء المبرم»^(٣)، أي الذي يُطْرأ أنه لا يُنَحَل، وقال «الدعاء والقضاء يعتكجان بين السماء والأرض إلى يوم القيامة، فيقول الدعاء: أمرت أن أرُدَّكَ، ويقول القضاء: أمرت أن أنزل»^(٤)

(١) كما في البحاري (٧٠٤٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنه

(٢) تكلم المصنف رضي الله عنه بوجع من التوسع من هذه العلوم في كتابه العظيم «الأسامي في علم الأمهات»، المصنف بضعاً وتسمى جلماً، وهو من أهدناه للشر - بحمد الله - ضمن هذه السلسلة المباركة

(٣) أخرجه الترمذي عن سلمان رضي الله عنه مرفوعاً «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»، ورواه أحمد وابن حبان والحاكم عن ثوبان مثله. قاله الحافظ في «التلخيص» (١٢١.٤)

(٤) أخرجه الحاكم في «مستدرکه» بلفظ قريب (١٩٢-١)، في إسناده زكريا بن مطهر، قال الذهبي «زكريا مجمع على صحته» وأخرج الطبراني في «الأوسط» (١٤٦) من مجمع البحرين) والبرار (٢١٦٥) وغيرهما من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها «لا يمي»

ثم يجمع هُتته على ذلك، ويرى عن الملابس الكونية إلى حير العالم
التفديسي والسافل، / ١٤ / فإنها عن قريب تنقش بركة الأناس المحمدية،
والسلام

[الخاتمة: في شرط التصرفات السابقة]

والشرط في هذه التصرفات: الإغناء بنفسك إلى نفس المؤثر فيه، والإلزام
بها، والاتصال بها، واعتناقها اعتناق لام الألف

وروح هذه المسألة التجرد من العواشي البدنية، ومحو النفوس الكونية،
وأربط هذا التجريد القلبي يعرفون هذا الاتصال وهذا الاعتناق بالمعنى
التجريدية الكائنة في الأماة^(١)، والسلام

انتهت بحمد الله



« حذر من قنوه والدعاء يصح مما نزل ومما لم ينزل، وإن الدعاء ليلقى البلاء فيمتدحج
إلى يوم القيامة»، وفي إسناده وكرياً بن منظور أبصاً، وروى البرز (٣١٣٦) نحوه عن أبي
هريرة رضي الله عنه، وفي إسناده إبراهيم بن عيسى بن عراك، مشروكة، قاله الهيثمي في
«المجمع» (١٤٩: ١٠)

(١) في الأصل: في الأماة

النقائس الكتانية

٥

الرسالة إلى أهل سَلا
في فضل الصلاة على رسول الله ﷺ والحَضُّ عليها

تأليف

الإمام أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني

المستشهد بفاس سنة ١٣٢٧ هجرية

رضي الله عنه

[illegible][illegible]

[illegible]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صل وسلم وبارك على من لم يفعل عن الله طرفة عين لا في يوم ولا
يلقة، وعلى آله وصحبه عدد رضاك عنه

«رأس العقل معافة الله عز وجل» «ملاك الذئب الورع»

من محمد بن الشيخ عبد الكبير الأحمدي الكتاني إلى كافة إخوان الأقطار
المحبين، والبدور المسيرة، الأماجد الأمان، الأماجد الأفاضل، من برحوا لهم
من رب الأرباب ومسبب الأسباب جلّ جلاله أن يأخذ بوجهاتهم إليه، ويجمع
قلوبهم عليه، ويصرف عنهم العوائق والعلائق التي تقطع عنه سبحانه، ويجمع
لهم ضروب السعادة وتشقيبات الكمالات، آمين.

أهل «سلا»، أحضر منهم المتقدم الأجل الأجل، ولوجية «الأح
المطرب سيدي الطاهر، والصابي القلب الأمين الحارثي، وولد القلب / ١ /
سيدي ابن حساين، وكلمة النور سيدي أحمد (نجل نجل العسل)»^(١)

(١) المتقدم هو أبو بكر بن محمد التطوحي، السلاوي، خليفة المؤلف بسلا، وصاحقه العلم
والمعرفة، له عدة مؤلفات ورسائل، وكان له الفضل في نشر العلم والتصوف الصحيحين
بسلا، وطبعة، اعتقل في سبيل الله تعالى، فجعل المسجون كأنه مفروسة علمية وصبوية،
فأعنى سراحه، وقد وصفه المؤلف كما في «الرحلة الحجازية» للحرابي بـ «عتبى الله في
الأرض» توفي سنة ١٢٣٧ هـ وذكر الجبري في «تاريخ علماء الرباط وسلا» (٢ ١٦٧)
أنه سمع على المصنف رضي الله عنه حوالي المائة سفر.

سلامُ الله على سيادتكم والرحماتُ والبركات، عن خير ظلِّ الله في الأرض،
أما بعد:

فقد اشتقنا أبحاركم، وتغنَّينا رؤية آثاركم أو سماعها، وبطلت من الله جل
كرمه أن تكون الراوية عامرة في الأسفار، وقل طلوع العصر يوم الجمعة،
وعموماً الأوقات، فإن المحل الذي يحضره مولانا رسول الله ﷺ تكون العبادة
فيه مصاعفة على غيره من الأماكن، وتكون التهليلُ فيه ليست كالتهليلِ في
غيره، والتسبيحة والحسنة، والركعات والتلاوة

[الحض على الإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ]

فأكثرُوا إخواني من الصلاة على مولانا رسول الله ﷺ، بالمُتردي وانقسام^(١)

الظاهر: لم أتعرف عليه، وكذلك الأمين الحلبي

ابن حناي: فهو محمد بن أحمد بن حناي النجار الحلبي، رئيس الطريقة الكتانية
بسلا، ومدير المدرسة الكتانية التي أخرجت أجيالاً كثيرة بسلا، الملامة البشارك الصوفي
«داعية»، أحد المستنح بهم في المغرب، ما ترك التدريس والدعوة إلى الله حاضر أو سفر،
صحبة لو مرضاً، له عدة رسائل صوفية، وتوفي عام ١٣٧٥

أحمد كانه أحمد بن عبد الله المباح، الشهم الهمام الذكر العابد الوجه، كان متعاباً
في محبة آل البيت الكرام وقوله «نحل نك المل» أي «نحية نك المل» وهي شارة
له، وقد ذكرها بالعامة الممرية

(١) المتردي والقاسم صلاتان أنشأهما المؤلف - رضي الله عنه - فيها جملة عظيمة من الله
عن رسول الله ﷺ وعلى آله، أما القاسم فهي مضممة في ورده الشريف، وقد عهد من
جميله من الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم أنهم أنشأوا صلوات على رسول الله ﷺ،
وعلموها بعض أتباعهم. وقد فصل المؤلف - رضي الله عنه - في هذا الأمر في كتابه
«لسان المحبة البرهانية»، والكمال المتتالي، وكذلك في كتابه الكبير «خبة الكون»

أما صلاة المتردي فنصها:

حتى تُلطَّفَ الكتائف، وتَرُقَّ مراتبُ الظلام التي خُلقت عليها الدات الإنسانية، فإن الصلاة على مولانا رسول الله أُمُّ السعادات، وأساسُ الكمالات والقربات، حتى قال سيدنا الحدُّ علي بن أبي طالب «لولا أن الله فرَّصَ عليَّ ذكره ما أَتَقَرَّبُ إليه إلا بالصلاة على مولانا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله، لِمَا سمعتُ منه فيها»^(١)

وفي الحديث «إن غرورة لِمَنْ حَجَّ حجة الإسلام تعدل غرورة أربعمئة حجة»، فانكسرت قلوب قوم لا يتيسر لهم العرو والجهد، فأوحى الله تعالى إليه «يا صلى عليك أحدٌ إلا كُتِبَتْ صلاته بأربعمئة عرة، وأربعمئة حجة»^(٢)

ولعل هذا في الصلاة على مولانا رسول الله بصلاة عظيمة اشتملت على أمهات الكمالات المحمدية، والصلوات القدسية المبثوثة في تلك الدات التي لا مثل لها في النوع البشري والملكى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله

«اللهم صل على سيدنا ومولانا أحمد، المُتَزَيِّ باردية الكبرياء وأشيعة الفردانية، الممنم بمعاني عظيمة سُرَادِقَات غيب الهوية، المتأخذ في عَيْن الكثرة، المُتَكَثِّر في عَيْن الوحدة، المنسحب بوحدة الدات، المُشْتَوِي بِقَدَم الأحدى على عرش الصفاء، المُشْتَمِل عليه بسان جَمْع المَجْمَع في مهابيع العارات على حَظ قَوْسِ لِسَان الأرك، يمحور الدات بالذات للذات في انداد، الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين، حَظُّ الدائرة ونقطة البرُوج، دَفَنُ المثنى وفهرمان المُرُوج، المَدُّ الحَقْائِي، المُفَرَّد بديس كمثلته شيء، الأحدى الثاني، المتلو عليه بسان الجمع في حضرة جمع جميع ﴿لَوْلَاكَ لُتَلَفَ الْفُرَادَاتُ بِسَ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلَيْهِ﴾ (النس ٦)، هيهات هيهات وما يُفْقَلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ، وآله وصحبه وسلم»

(١) رَوَاهُ الإمام بقي بن مخلد الأندلسي في مسنده: حدثنا هاني بن المشوكل عن معاوية بن صالح عن رجل عن مجاهد عن علي بن أبي طالب أنه كما في «وسلة الوند الملهوف» إلى حده الرحيم الملهوف، لمحاتة الحفاظ الشريف عبد المحي بن عبد الكبير لكتاني شعب المصنف

(٢) لم أجده

[الله تعالى يصلي على من يصلي على رسوله ﷺ]

وحيث كان المصلي يصلي مرة واحدة عليه يصلي الله سبحانه عليه بجلاله
وكماله وعظمته سبعين صلاة^(١)، والصلاة من الله تعالى عن قدر جلالة
واكباره، وصلاتك أنت على قدر حدوثك وقصورك ونقصيرك وجهتك
وضعتك، وصلاته - جلّ سلطانه - على قدر عرته وعلوّه وحيطه علمه

بصلاة واحدة من الله تعالى على من صلى على حبيبّه توجد في صحبة
العبد، أفصل له من / ٢ / عبادة أهل الدنيا والآخرة وأهل السماء وأهل الأرض
تكون في صحبته بدون صلاة الله عليه

هذا في صلاة واحدة يصلي عليه سبعين كما في الحديث الآخر، والسلام عليه
كذلك، فكيف بمائة صلاة في اليوم، فكيف بمئتمنة في اليوم، فكيف بألف ١١٩

وإد تيقظ الإنسان لما تلونه وشرحناه، وعلم حلالة مركز دائرة لأوار،
بعثت من قلبه دواعي الإكثار من الصلاة والسلام عليه، فيأبى وقعوداً، وفي
المسقط ولمكّره، والمسر واليسر، واليقظة والنوم، وفي الأكل والبع والشراب

[جعل الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ من الجاه ما لم يجعله لغيره]

وقد جعل الله لسيدنا محمد من الجاه ما لم يجعله لغيره في العوالم كلها،
فمن تعلق به أدنى تعلق، وانتسب إليه أدنى انتساب، ونحاش إليه أدنى
نحاش؛ أحد الحيز بكلتا اليدين، وسقي من حصرة العين، وانزاح عنه العين

وتذكروا قضية الإسرائيلي الذي قيل اسم مولانا رسول الله لما وجدته في
التوراة، فعمر الله له دنوب مائتي سنة، وروجه سبعين خوراء

(١) رواه أحمد عن ابن عمرو (١٧٢٠٢)

وَلَمَّا كُنْتُ ابْنِي قَالَ وَدِدْتُ أَنْ لَوْ كُنْتُ فِي رَمْلِ مَوْلَانَا رَسُولَ اللَّهِ نَصْرُهُ
بِهِدِهِ الْحَمْدُ، فَمَعَرَّ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ

وَلَسَعِيَةُ الْمَرْفُوعَةِ عَلَى نَفْسِهَا الَّتِي كَانَتْ تَتَحَسَّرُ عَلَى عَدَمِ رُؤْيَةِ مَوْلَانِ رَسُولِ
اللَّهِ كَيْمَا أَرَادَتْ أَنْ تَنَامَ، فَلَمَّا مَاتَتْ أَوْفَعَهَا اللَّهُ سَبْحَانَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَدْ لَهَا إِذَا
سُئِلَتْ أَنْ تَعْدُثَ مِنْ كَانَ يَشْتَأِقُ إِلَى حَيَاتِهَا

[اللَّهُ تَعَالَى مَلَأَ الْعَوَالِمَ كُلَّهَا بِذِكْرِ رَسُولِهِ ﷺ]

وَنَظَرَ كَيْفَ مَلَأَ اللَّهُ جُلَّ أَمْرِهِ الْعَوَالِمَ كُلَّهَا بِالشَّمْعِ بِهِ ﷺ وَعَلَى آلِهِ، عَدَمَ
الْعَرَةِ، وَعَالَمِ الْمَنَكُوتِ، وَالْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ، فَقَالَ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى
النَّبِيِّ﴾ [الاحزاب ٥٦]

فَحَصْرَةُ الرُّبُوبِيَّةِ حَصْرَةُ الْعَرَةِ، وَحَصْرَةُ الْمَلَائِكَةِ عَوَالِمِ التَّقْدِيسِ، وَقَدْ
مَلَأَ سُبْحَانَهُ بِالنَّشَاءِ عَلَيْهِ، وَالشَّمْعِ بِهِ، وَكَذَلِكَ الْعَوَالِمِ الْأَرْضِيَّةِ فَقَالَ ﴿يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الاحزاب ٥٦]، وَهَذَا مَجْمُوعُ أَصْوَابِ
عَالَمِ

وَبِهِ يُعَدُّ أَنْ الْمَكْتَبِزَ مِنَ الصَّلَاةِ / ٣ / وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَيْضًا،
لَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا شَمَلَ هَذِهِ الْعَوَالِمَ إِلَّا بِأَعْظَمِ الطَّاعَاتِ، وَأَفْضَلِ اقْتِرَابَاتِ،
وَدَدَّ كَرُّهُ لَمْ يَصِلْ لَمْ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلِّمَ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى حَقِيقَةً، لِأَنَّهُ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ
يَدْعُو، عَلَى أَنَّهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ»

فَاكْتَرُوا إِحْوَانِي مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى مَوْلَانَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَتَكُونُوا أَقْرَبَ إِلَى
الْحَقِّ مِنْ كُلِّ أَهْلِ عَصْرِكُمْ

وَمِنْ «الْمُتَشَبِّهِةِ» «أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيَّ كَلِمَةً سَبَدًا مُوسَى عَلَى سَبَدًا
مُحَمَّدٌ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ يَا مُوسَى، إِنِّي قَدْ جَعَلْتُ فِيكَ عَشْرَةَ آلَافٍ سَمْعٍ حَتَّى

سمعتُ كلامي، وعشرة آلاف لسانٍ حتى أجيتني، وأحبُّ ما تكونُ إني إذا
أكثرُ الصلاة على محمد^(١)

وهي رواية «أُتِيتُ أن أكونَ أقربَ إليك من كلامك إلى لسانك، ومن نور
بصرِكَ إلى عيِّتِكَ، ومن رُوحِكَ إلى مدِّكَ، وأن لا يبالِكَ عَطَشٌ يومَ القِامةِ^(٢)،
فاكثرُ من الصلاة على محمد^(٣)، صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله

[لرسول الله ﷺ من النعم على جميع العباد ما استرقهم بها]

مِنَما ولمولانا رسولِ الله من النعم على جميع العباد ما استرقهم بها،
وصيرهم، فعمَّةُ السمع هو الواسطة فيها، وعمَّةُ البصر، وعمَّةُ الشم، وعمَّةُ
الدوق، وعمَّةُ الإدراك، وعمَّةُ السعي فالحلُّقُ كُلُّهم معمودون في نعمته،
ومستقبصون من أبخر تَرْزِجَتِهِ، ومظاهر تَكَرُّمِهِ، فهو القاسم^(٤) أمدد الحرث

(١) انظر «الرسالة المشوية» للإمام أبي القاسم الفشيري ص ٦٥٧

(٢) لم أجده في «الفشيرية»، وربما هو في غيرها

(٣) في الحديث الصحيح كما في البحاري «إنما الله معطي وأنا قاسم» انظر تحريجه في
«مفحة المحبة» المملوق رقم ٢٢

وهنا اقتباس من صلاة كريمة للمصنف - رضي الله عنه - نصها

«اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا أحمد، القاسم أمدد الحرث الإلهية، على أجناد
الدور المُلكية، من لُجَّة قاموس بخر جردك الأعظم، الطامحة لتأيب فيه قوايل
المُنكِتات في عالم البطون والظهور، الذي جعلت اسمه - الجامع المُعْبَض ميازيب رَحْمَات
«مطايا، الراعي برعاية الله، والرامي بجزيرة الله، والكالي بكلامه الله - متعدياً باسمك
لأعظم، الذي به انتظم أمرُ العالم، واستقام أمرُ السماوات والأرضين، من مَنك ومنك
وَوَضَعْتَ في عالم التخطيط من التجلي للرحماني، صورة هيكلة الجسماني، مثلاً
«طَبَّخْتَ الكائنات أجسامها بشكلك المحمدي عنواناً للمعادات الأبدية الترميدية، على صورة
أنموذج الأشياء من رحمة بخر حقيقة «خلقَ الله سيدنا آدم على صورته»، وعُجُزَتْ مُنْصَر =

الإلهية، على أجاد الدوائر المُلْكِيَّة، من لُجَّة قاموس بحرِ حُودِك لأعظم،
الضامحة لشآبيب فيصه قوايلُ الممكنات في عالم البطون والظهور، فإذا كنت
أمدادُه للحَقِّ بهذه المثابة، فكيف لا يدانُون في كل أوقانهم على ذكره واشعشع
به والشاءُ عليه؟!

سبَّما بصلوات الطائفة الكتانية الجامعة لما نفرَّق في غيرها من الصلوات،
والمصنَّي بها يحثه مولانا رسولُ الله محبةً جمعيَّة من جميع دانه المحمدية، إذا
صلواتُ تصفُ الكمالات المحمدية وأمهاتها بالمرَّة، فتنبعث من كل قصبة في
الذات المحمدية محبةً وتوجُّهٌ حاصٌّ لمن أنش عليه بها، ضرورة أن الكروم إذا
٤/ مُدِحُوا أَجَزَلُوا العطايا والمَنَح.

فعمَّروا إخواني أوقانكم وأمانتكم بالتملُّق بمولانا رسولِ الله ﷺ التملُّق
لحاص، حتى لا تُرَدُّ لَكُمْ طَلِبَةٌ، ولا يُسَدَّ في وجوهكم باب، ولا يَغْشَى عليكم
مأربٌ مِعاوِيٍّ أو أَرْصِي، لما أنَّ الجاءَ عظيم، والحرَّ قِياص، والمَدَدُ واسع،
ولكرمٌ عَمِيم، والجودُ طَمٌّ:

إنسانٌ عَمِي الكَمونِ يَسُرُّ وجوده يَسِينُ إكسِرُ السَّعادةِ طنة
كيف لَسيلُ إلى تَقْصِي مَنَحٍ مَنْ قال الإلهُ له - وحسبك جها -

موضوع مادة محموله، روح العالم، وأدم آدم، ونُقْطة بَاء كُتِب العيوب من أنية أن الله
بيت الأعظم، وصراطُ الأفقِ الأقوم، السَّابح في بحر عظمة نُور وَجْهك، الدال عليك
بك في جميع الخَصرات والحيثيات، ورُجَّح في أرض الأمل والاحتمال، يَمُنُّ على
مُطَيَّة الأسرار، وأشهدني حتى أُنْصِفَهُ وَجْداً وعياناً، وأعرفني في عين حياء طوالع سمود
حقيقته الربانية حتى أكون به ومنه وإليه، بل حتى إذا جاءه لم يجد شيئاً وَوَجَدَ الله عبده،
وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا حدَّ رضاك عنه، يا الله، يا الله، يا الله.

وقد شرح هذه الصلاة العلامة الإمام عارف مراکش الشريف أبو عبد الله محمد ابن
المعطي العمري الإدريسي الحسي، في مؤلف سماه «حل الطلاسم في شرح صلاة
القاسم»، طبع في مصر عام ١٣٢١هـ.

إِنَّ الْمَدِينِ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا
هَذَا لِمَخَارُءٍ، فَهَلْ سَمِعْتَ مِثْلَهُ
مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ
يَقُولُونَ رِيدُوا مِنْ مَدَائِجِ أَحْمَدَ
مِجْنَرِيْلُ وَالْأَمْلَاقُ فِي دَرَجَاتِهِمْ
وَحُدُودِ رُؤْيِي فِي السَّمَاوَاتِ كُلِّهَا
وَجُمْلَةِ أَهْلِ الْإِقْلَامِ كُلِّ بِدْكَرِهِ
وَهَلْ سَمِعْتَ الْمَدَائِدَ إِلَّا مِثْلًا
وَلَا رَفْعَ لِلْحُجُبِ إِلَّا مُحَمَّدُ
وَمَا الْمَصْطَفَى الْمَحْتَرُّ إِلَّا مُرْفَعُ
أَصْدَاقِ قُصُوفِ السَّالِكِينَ بِخَبَرِهِ
وَمَا دِكْرُ خَيْرِ الْخَلْقِ إِلَّا مُطَهَّرُ
وَهَلْ تَبَيَّنَ الْعُلَمَاءُ فِي قَلْبِ دَاكِرِ
وَأَيُّ شَاءٍ مِثْلُ نُصُورِ مُحَمَّدِ
وَكُلُّ جَبَّاءٍ فِي الْمَخْدِ يُنْصَحُهَا الْعَتَى
وَدِكْرُ حَبِيبِ اللَّهِ لَا ضَرْفَ عَدَا
وَوَافَقُ أَخَا الْإِرْشَادِ يُبَيِّنُكَ نَاصِحًا
وَلَكِنْ بِإِمَامٍ لَا يُخَارِقُ مَنَّةً
فَمَا يَرْتَعُ الْبُتَائِقُ إِلَّا بِهِ

فِيمَا يَقُولُ - يَبَايِعُونَ اللَّهَ
وَأَهْلَ لِسَانِهِ الْكَرِيمَةِ وَهِيَ
تُحَفُّ بِقُيُومٍ بِذِكْرِهِ مُحَمَّدُ
وَجُدُّوهُ وَلَا تَسُوا مَدِيْنَةَ لَدَهْرِ أَحْمَدِ
غِيَاثُهُمْ دِكْرُ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ
يُضَلُّونَ إِكْرَامًا عَلَى عِلْمِ الْهَدْيِ
تَوَسَّلْ لِلرَّحْمَنِ فِي مَوْقِفِ الْهُدَى
أَتَى رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَسَيِّدًا
وَمَا مُنْقَذُ عَمْرٍاءِ الْحَبِيبِ مِنْ لَزْدَى
وَدَاكِرُهُ أَصْحَابُ بِدْكَرِهِ سَيِّدَا
فِيَا حَبِيبًا قَلْبُ يُجِيبُ مُحَمَّدَا
لَأَدْنَى قَلْبٍ قَدْ أَصْرُ بِهِ الصُّدَا
تَلَالًا بِالنُّوْرِ لَعَلِّي تَوْفِّدَا
بِهِ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُ قَلْبٍ فِي اهْتِدَى
مَدَكِرِ سَيِّدِي فِي الْهُدَى يَنْبَغِ اِهْتِدَى
طَرِيقَ إِلَى الْخَلَائِقِ فَاسْلُكْ مَجْرَدَا
عَنِ الْمُسْتَلَكِ السَّامِي وَلَا تَنْتُ مُفْرَدَا
وَدَعْ عَنْكَ مَنْ أَصْحَى عَنِ الرُّشْدِ مُبْعَدَا
أَلَا يَا فَتَى فَاسْلُكْ طَرِيقًا مُؤَيَّدَا^(١)

(١) من قصيدة شهيرة للإمام الساجدي رضي الله عنه، وسيأتي ترجمته

ولذلك ورد أن من صلى عليه في يوم الجمعة بعد العصر ثمانين مرة عُفرت له ذنوب ثمانين سنة^(١)

فاكثروا - إخواني - منها يوم الإثنين وليلته، لأن فيه طهر هذا النور الأعظم، ويوم الخميس وليلة الجمعة وبومها^(٢)، ولا تُدُّ، واعطوا المواهي حَقَّها تكونوا من خُدَّامه صلى الله تعالى عليه وسلم، وعلى آله وأحبابه، وخاصته، واغتنموا العمرَ فقد ضاعَ سَهْلاً

فاذكروا الله بذكركم، واشكروه بِرِزْقِكُمْ، وخافوه بِؤْمُكُم، وارجوه بِئُذُنِكُمْ، واسألوه بِغُطَّتِكُمْ، وتأدبوا عند ذكره بِجِلَّتِكُمْ، وقوموا عند أمره وبهيهِ بِرَفَّتِكُمْ، على أقرانكم، واطمئِنُّوا لَوُجْهِتِكُمْ إليه بِشَهْدِكُمْ وَبِطَبِيعِكُمْ على ما عَدَّ، وأحبُّصوا أعمالكم إليه وحده بِتَكْفِيكُم شُرُورَ أَنْفُسِكُمْ، وإنَّ الله بكم لرؤوفٌ رحيمٌ، صلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا

انتهت



(١) رَوَاهُ الدَّارِقُطِيُّ مِنْ عَيْرِ قَوْلِهِ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَحَتَّى الْمَرَاتِي، كَمَا ذَكَرَهُ شَيْخُهَا الْمَلَامَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّمَارِيُّ الْإِدْرِيسِيُّ فِي «النَّمِطَةِ الْإِلَهِيَّةِ فِي الصَّلَاةِ عَلَى خَيْرِ لَبِيَّةٍ» وَوَرَدَ بِمَعْنَاهُ عِنْدَ ابْنِ بَشْكُوَالِ مِنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْقُومًا، كَمَا ذَكَرَ الْحَافِظُ السَّخَاوِيُّ فِي «الْفَوَائِدِ» بِإِسْنَادٍ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْحَبِيبِ الشَّيْخِ ص ٢٨٤

(٢) يَوْمَا الْإِنْبِيَّينِ وَالْخَمِيسِ تُعْرَضُ فِيهِمَا أَعْمَالُ الْأُمَّةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَمَّا يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَبَلَدُهُ فَيَسْتَحَبُّ فِيهِمَا الْإِكْتَارُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَمَا وَرَدَتْ بِذَلِكَ كَثِيرَةُ الْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ، فَجَاءَ أَنْ يَكْتَفَرَ الْمَرْءُ فِيهَا مِنْ فِعْلِ الْحِرَابِ بِالْأَحْصَى الصَّلَاةَ عَلَى مَرْكَرِ الْخَيْرِ وَأَنَّهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى آلِهِ

النفائس الكتانية

٦

وجوب اقتران ذكر رسول الله ﷺ بذكر الله تعالى
وكلام في وجوب التزام الأدب

تأليف

الإمام أبي الفضل محمد بن عبد الكبير الكتاني

المستشهد بفاس سنة ١٣٢٧ هجرية

رضي الله عنه

[illegible]

محمد حسن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صلِّ وسلم وبارك على مُبْعَثِ الألفاف، وعلى آله وأصحابه المُرتَبِعِينَ
على الأعراف

من محمدٍ إلى إنسانٍ حين الرمان، بل حين إنسانٍ نوع الإنسان، وسنَدِ
الديالي المُضْمَرِ في حاطر الدهر، بل نُذْرُهَا الذي رُفَّت به لهذا البصر، عالم
امصلا، وسيد البلاء، وجوِّ الدين، كريم الذات، بديع الأحلاق: مولانا
وسيدنا الوالد^(١)، حفظ الله سبحانه عليك نعمة المسلمين، وقواك وأهلك على
بثِّ سس سيد الحرمين، ولا عَقَمَ لجلالك قريحة، وأبقاها بتولُّدٍ منها الذُرُّ
واللؤلؤ، وتُوَفِّي هلى كل البحور قِيُوضَهَا المنيحة، آمين

وأمدُّ بك الأكوان، وأعلى مكانتك هلى كجوان، وراذك من الأمداد القطُوبية
والمنايح الودُودية، والإفاضات الرَحْمُوتية، آمين.

ولا أمدُّ يبا رماناً، ولا أمْكَنَةً، ولا تُعِيْتُ هها والحمد لله كلُّ آ، ولا في
اليوم، وكذلك مولانا وسيدنا وشجرنا من نُعُولٍ في المهمات على دعوتها
وهي شِئْهُ المضائق على نضرعاتها^(٢)، والله الوافي العاصمُ الحافظ، وكذا

(١) انظر ترجمته في المقدمة

(٢) هي والدته المصطفى رضي الله عنها، انظر الكلام عنها في المقدمة، ولجلله الحافظ الشيخ
عبد الحي الكافي فيها مصنفٌ خاصٌّ اسمه «ترقية المريدين»، بما تضمنته اليد الوالدة
من أحوال العارفين»

مولانا الأخ الذي عزَّ نظيره^(١) فما وجدنا له شيعياً، زاده الله من حُسن
لاستعداد، وأكمل لمولانا الوالد فيه المراد، ونفع به العباد، آمين
أما بعد، فقد وَرَدَتْ علينا مكاتبتكم... إلخ، إلخ، إلى قوله: وفيه الإحبارُ
بوفادة العالم النحوي سيدي محمد بن أحمد^(٢) للزيارة، وكذا إرسالُ معادتك
لولي الله تعالى الصالح مولاي عبد السلام بن العاقل^(٣) من أجل المسألة التي
أُنبأَ فيها، وأن العلماءَ المارقين ائترقوا فرقتين

[كلمتا الشهادة كلمتان متقارنتان]

والحق في تلك المسألة أنها تحتاج إلى تفصيل كبير، وأدنى ما يُقال فيها
مع سبق الوقت والشغل أن هاتين الكُتبتين الشريفتين متقارنتان كما قال
ابنُ تيمية، لا تقوم إحداهما بدون الأخرى شرعاً وعقلاً

(١) هو شقيق المصنف الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو الإسعاد عبد النحوي بن عبد الكبير
الكتاني الحنفي، صاحب «المهرس الفهارس» و«الترايب الإدارية في الحكومة النبوية» وغير
ذلك، ولد عام ١٣٠٣، وتوفي فجر الجمعة في ٢٨ من ربيع الثاني عام ١٣٨٢

(٢) محمد بن أحمد العلوي الإسماعيلي الحنفي، العلامة الكبير فاضل مكاس، الفقيه
الوازلي المحدث المشارك المتفصل، من تلامذة وأتباع المصنف رضي الله عنه، والده
إلى طريقته، له مؤلفات كثيرة منها شرح على حمزة ابن زيدان في السير النبوية في
مجلدين، وشرحان لأول وآخر حديث في البخاري، ومولود فقهية في مجلدين، وغير
ذلك، توفي يوم الجمعة ٢٨ محرم الحرام ١٣٦٧

(٣) هو العالم المحامد الصالح عبد السلام بن الفضل العلوي الحنفي، من حواصن أتباع
المؤلف - رضي الله عنه - قام بالجهاد ضد الاستعمار ثلاثاً وعشرين عاماً لم يتمكنوا منه
إلا بعد أن أحاطوه بالطائرات والفتلات، فاستسلم، ولم العبادة إلى أن توفي في مكاس
عام ١٣٦٨، وهو من خاصة المؤلف - رضي الله عنه - الذين قاموا بالجهاد ضد الاستعمار،
هو ومحمد بن حمو الزباني، والزعيم محمد بن عبد الكريم الخطامي، وغيرهم، بالأخص
الأخير، وكذلك قام بالجهاد الإمام أحمد الهبة بن الشيخ ماء المييين الشقيطي الإدريسي
الحنفي، وكان من أصدقاء المصنف - رضي الله عنه - لا من أتباعه، وبما حيداً لو يقوم
بعض الأفاضل بالتأريخ لهؤلاء المجاهدين رضي الله عنهم وتحييد بينهم

أما شرعاً فلأن الإيمان لا يُقْبَلُ من أحدٍ اليوم إلا بمجموعهما، ألا ترى أن من لم يؤمن بسيلنا محمد ﷺ فهو كافر، وإنَّ وَحَّدَ الله أو لم يوَحِّد فهو كافر وإن آمن بالرسول^(١)؟ ولأجل هذا التقارن يكتفى بالأولى كثيراً، نحو «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»^(٢).

وأما عقلاً فلأن الأولى مادةٌ للثانية، والثانية مُظْهِرةٌ للأولى، وبين ذلك أن الألوهية عنها نشأت [الرسولية وظهرت]، فكانت الأولى مقتضية للثانية، باقتضاء السبب للمسبب، والثانية مفضية للأولى على العكس

إلا أنه قد عَلِمَ من استقراء سنة الله سبحانه في كتابه أنه لا يذكر معاً من بعثه تعالى إلا وقرنَ معه معاً من المبعوث المحمدية، هذا على [العموم] في كل رتبة، حتى قارن رسالته بالألوهية في لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأمر أن يُشْعَلَ بها لعمري، وأمر أن يُعَلَّنَ بها في أوقات الصلوات كل يوم، واستُخِيت السنَّة أن يكونَ المؤذِّنُ على محلٍّ عالٍ ريادةً في الإعلان بها والاستماع، وأن يكون صيِّتاً ريادةً في الإذاعة بها^(٣)، شرعها الله وأدام أنوارها، آمين، وأصهز أنوارها على الأديان / ١ / كلها إنه قوي متين

وحتى دُكِرَ ذلك في المبعوث التي لا يمتري أحدٌ أنه سبحانه مستبَدُّ بها جلال الربوبية، فلا يُقرن معه غيره، كإفصاله تعالى وتفضُّله على خلقه وإعجابه لهم

(١) انظر هذا الكلام وانظر كلام بعض المرجعين من مدمي العلم في هذا الزمان الذين يدعون أن اليهود والنصارى ليسوا كفاراً

(٢) أخرجه أحمد في المستند (٢٣٣، ٢٤٧) عن معاذ رضي الله عنه، وأبو داود (٣١١٦)

(٣) استبط الفقهاء - رضي الله عنهم - ذلك من حديث أحمد (٤: ٤٣)، والدارمي (١: ٨٦٩)

وأبي داود (١: ٢٣٧)، والترمذي وصححه (١: ٢٥٩)، وابن ماجه (١: ٢٣٢) عن عبد الله

بن زيد بن عبد ربه الأنصاري عن والده عن رسول الله ﷺ، وفيه «فألقها إلى ملال - أي

صيغة الأذن - فإنه أتدنى وأمد صوتاً منك، وصره ينادي به»

وإسمائه عليهم، فظاهر هذه الدعوات أن لا يقرن معه سبحانه غيره، بل ربما قد لا يقوم سأل أحده أنه يقرن معه تعالى غيره في مطلق الدعوات فضلاً عن هذا.

[ما ذكر الله تعالى من دعواته تعالى إلا وقرنه بسبب من دعوات حبيبه ﷺ]

ولما قال الحطيب «ومن يعصهما» قال مولانا رسول الله ﷺ «أشرف الحطيب حطيبكم»^(١)، فهذا هو اللائق بمرتبة العبودية، وهو يدي نعمت الحضرة المحمدية

ومع هذا الكمال - مكانة حضرة المحمدية وشرفها - ابتكر سبحانه هذا مورد، وما ذكر تعالى من دعواته إلا وقرن معه تعالى من دعوات حبيبه إيداً بال تكون معاً هكذا، حتى ذكر الدعوات التي قلنا إنه ربما يحضر بالدهش أنها لا تقرأ، فقل «وَمَا تَقْهَمُونَ إِلَّا أَنْ أَعْتَنَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ» [التوبة ٧٤]، وقد «وَأَذْنُوعٌ لِلَّهِ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَتَمَمْتَ عَلَيْهِ» [الأعراف ٣٧]، وقد «سَيُؤْتِيكَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ» [التوبة ٥٩] . وهكذا

[قَرَنُ الله تعالى اسمه باسم حبيبه ﷺ تشريع لنا]

فلما علمنا هذا من شئ الحق حل سلطاننا تأكد على الحق تأكد تاماً، وطب منهم طلباً حتماً أن يتقسطوا لهذا الإجلال وهذا الشرف يدي شرفه سبحانه بئ وحبه ومصطفاه، ويكونوا على أهبة وبقطة كلما جرى ذكر ربهم جل أمره وذكره إلا ويهرعوا ويذكروا بهم، إن ذكرت الدعوات فتذكر الدعوات، أو الأوصاف فتذكر الأوصاف، أو الاسم فتذكر الاسم، أو الشاء المطلق فتشكر

(١) أخرجه أحمد (٢٥٦، ٢٧٩)، ومسلم (٨٧٠)، وأبو داود (١٠٩٩، ١٤٨١)، والسنائي (٩٠٦) عن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه، وغيره.

مولانا رسول الله ﷺ، لأنه الواسطة في جميع النعم الدنية والدنيوية، المُنكئة والملَكُوتية، الأولية والآخرة، الدنيوية والآخروية.

ما أرسل الرحمن أو يُرسل من رحمة تصعد أو تنزل
الآيات^(١)

وهذا القرآن الكريم أفصح به عاية الإفصاح حتى لم يدع لأحد تساعا في هذا البساط إلا والعمل عليه، والقيام بمشروعته، والتحفظ على سنته تعالى في كتبه، منه قارن براءته ببراءة حبيبه وبه ومحمديه صلى الله عليه وعلى آله، ومُحَادَّته بمُحَادَّته، ومُحَارِبَتِهِ بمُحَارِبَتِهِ، ﴿فَلَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَحْرَبَتِهِ أَفَلَا تَدْرُسُونَ﴾ [البقرة ٢٧٩]، والإيمان به بالإيمان به، وقارن رضاه برضاه ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرَاحَهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة ٦٢]، واستجابته باستجابة رسوله ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال ٢٤]

[ما فرض الله سبحانه فريضة إلا ومن منة أو مُنْتَأ]

ويُظَنُّ فإنه سبحانه ما فرض فريضة إلا ومن منة أو مُنْتَأ، معروض الصلاة من جانب الحق سبحانه ومُنْتَأ من جانب الرسول صلوات الله وسلامه

(١) وهي للإمام أبي عبد الله البكري رضي الله عنه ومن المراد منها

ما أرسل الرحمن أو يُرسل	من رحمة تصعد أو تنزل
في ملكوت الله أو ملكه	من كل ما يُنصَر أو يُشْمَل
الأوطى المصطفى عبده	ببِهِ مُخْذَره المرسَل
واسطة فيها وأصل لها	يُنَلَمُ هذا كل من يُنْقَل

وقوله: واسطة، هو معنى: القاسم، وقوله: أصل لها، لأنه رحمة للعالمين كما ذكره

تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء ١٠٧]

عليه، بل سُئِنُ الصلاة أكثرُ من فرائضها. ففَرَّصَ سبحانه العائحة، وسُئِنُ رسولُه
القيامَ لها، وسُئِنُ / ٢ / السورةَ وسُئِنُ القيامَ لها، وسُئِنُ صفتها من سرٍّ وجهٍ

وفرصَ سبحانه تكبيرةَ الإحرام والقيامَ لها، وسُئِنُ الرسولُ تسعَ عشرةَ تكبيرةً
في الرابعة والشهدين والجلوسين إلا الذي فيه السلامُ يحصل، وسمعَ اللهُ من
حمده... وهكذا.

وهذا القدرُ هو المنصوصُ عليه صراحةً في قوله سبحانه ﴿رَدَقْنَا لَكَ
ذِكْرَكَ﴾ [الشرح ١]، وفسرها سبحانه بأنه لا يُذكر إلا ودُكِرَ معه حبيبُه كما هو
مأثورٌ في التفاسير الطوال والمختصرات: الإمام ابن جرير، وابن أبي حاتم،
والشاعمي في «الأم»، وسعيد بن منصور في «سننه»، والْبَغَوِي، وابن كثير،
والدر المنثور، والمحرم الرازي، والمختصرات، كالبيضاوي، و«الكشاف»،
والبحر، والجلالين، والشربيني، و«عرائس البيان ومقاصد القرآن» لملك الهد
العلامة^(١)، و«الشفاء» و«شروحها»، وقد استوفينا نصوصهم في «لسان الحجة»^(٢)

[هذا الاقتران إما أن يُقال إنه جازم، أو غير جازم]

إذا هُلِمَ هذا وتحققَ به المتحققُ أيقنَ أنَّ القرنَ بين الكلمتين المشرفتين
متأكدٌ ومتحتم، واقتضاء الحق سبحانه من المؤمن المكلف اقتضاء جازماً

لأنه لا جواز أن يُقال إنَّ هذا المطلب الشريف، إما أن يُقال اقتضى من
الحلق اقتضاء غير جازم، بأن جَوُزَ تركُ العمل، وهذا حدُّ البدب، والمدبوث
والعصبة ولرغبة والمستحب والتطوع والسنة أسماء مترادفة عند الجمهور من

(١) يعني به صديق حسن خان البخاري القُرُونِي (ت ١٣٠٧هـ). الناشر

(٢) واسمه كاملاً «لسان الحجة البرهانية في الذب عن شاعر الطريقة الكنانة»، طبع طبعاً
حبرية في فاس، تم في بيروت سنة ١٣٢١ هجرية، ويقع في حوالي ٣٠٠ صفحة

أهل الأصول كما في «جمع الجوامع»، قال «حلقاً لبعض أصحابنا» هل لأرهري في «الشعر النافع» في شرحه «وهو القاضي حسين» وتلميذه البعوي، والحوارزمي تلميذ البعوي، فإنهم يسووا فقالوا: السنة ما واطت عليها ﷺ، والمستحى ما فعله مرة أو مرتين، والتطوع ما لم يرد فيه بخصوصه بقول، بل يعمه الإنسان ابتداءً باختياره كالوفاة المطلقة، وهذا مذهب الفقهاء أيضاً، فبههم فزقوا بين هذه الأسامي»

فعلى هذا الاقتراح يقتضي من الخلق اقتضاء غير جازم، فهذا يقتضي أن هذا لقول بين «محمد رسول الله» و«لا إله إلا الله» سنة ومندوب وتطوع ومستحى عند الأصوبين

أو يقال اقتضى الحطاط الإلهي تركه جازماً بأن لم يجوز فعله، وهذا حد التحريم، لكن لا ينطبق على هذا، وإذا كان تكرار الطق بـ «محمد رسول الله» مع الكلمة المشرفة حراماً مع أنه ~~يقتضي~~ الدليل الحقيقى إلى الله تعالى، وبولاه لما عرفت رت من مرئوب، ولا إله من مألوه، ولا خالق من مخلوق، ولا عرفت أصول التوحيد ولا الأصول التي / ٣ / عليها صلاح العالم، ولا المروع التي يبتعد بها، ولقي الخلق في وخشة الجهالة هائمين، فما بقيت قرنة يقرب بها إلى الله تعالى، لأن تكرار ذكره إذا كان حراماً فلا جائز أن يكون ما انتشر عن جلالته من الأحكام كله مبعّد عن الله تعالى، وليس يقرب، مع أنه ما عرفت المسائل لمبعّد من الله تعالى والمسائل المقربة منه إلا منه صلوات الله وسلامه عليه

وإذا أن يقال إنه اقتضاء غير جازم سهي مخصوص بشيء، وهذا حد المكروه، وهو أيضاً لا ينطبق على هذه المسألة الشريفة، لأن التسنن يستسبحانه وتعالى في دوام قرآن دعوته بتعويته حبيبته وكمالاته سبحانه بإفاضته تعالى عليه يقتضي أنه لا يمكن للخلق ولا يجوز لهم فعل غيره، وعبره هو عدم الاقتراح أولاً أو عدم العلم به ثانياً، حتى يطرأ أن هذا الاقتراح من الحل في التوحيد

فلم ينق إلا التأكد والتحنن وعدم المعلة عن ذكر سيك ﷺ وعلى آله حيثما ذكر
ربك جل سلطانه

[الأحاديث الخاصة على ذكر رسول الله ﷺ]

والصلاة عليه في كل مجلس]

ثم إن صريح الأحاديث المدرة بأنه ما جلس قوم مجلساً فلم يذكروا الله تعالى، ولم يصلوا على حبيب الله تعالى عليه وسلم وعلى آله إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة^(١)، يقضي أنه مهما دكرت الهيلة في مجلس إلا وتذكر «محمد رسول الله»، وهو شرط مؤكد لا يقال إنه عين الكمال فقط بل هو شرط

وقد حرج الأحاديث المؤكدة لهذا الإمام أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم وصححه عن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه رَفَعَهُ: «ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة»^(٢)، وقد حرج هذه الأحاديث الحُثُني عبد العظيم المنذري في «الترغيب والترهيب» ولم يتيسر الآن جلُّ ما فيه جميعه، فنُزَّجَ

وهذا هو دليلُ الإمام السَّاحلي^(٣) في قوله

(١) أخرجه أحمد (٤٤٦: ٢، ٤٨١، ٤٥٣، ٤٨٤، ٤٩٥)، والترمذي (٣٣٨٠)

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٤٦٣ ٢)، والترمذي (٣٣٨٠)، وابن حبان (٥٩١)، والحاكم (٤٩٢ ١)

(٣) الإمام أبو العرف بالله أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري المالقي السَّاحلي (ت ٧٣٥هـ)، طلب العلم وسلكه، وكان مقبلاً على نفسه، مستوحاً ضروب الخير وأنواع القُرب، وخطب الناس بمالقة وخرناطة، همي بعد السَّجين وصبر، وله كتاب «الحجة في رسوم المعجزة» وشعر كثير ترجمته في «الدرر الكامنة» (٣: ٣٢٢)، و«سبل الانهاج» ص ٢٣٤-٢٣٥، و«الإحاطة» لابن الخطيب، وغيرها الناشر

وَصِلَ بَيْنَ ذِكْرِ الْمُصْطَفَى وَالْهَمِ وَيَتَاكَ أُنْ تَسَى سَتَتْ فِي الدُّفْرِ
فَمَا فَازَ مَنْ قَدْ فَارَقَ الْبَدْرَ لَمَحَةً وَهَلْ فَرَ إِلَّا مَنْ تَمَسَّكَ بِالسُّدْرِ
تَعَلَّقَ بِأَذْيَالِ الذَّيْنِ تَفَرُّغُوا لَحْدَمَةِ هَذَا الْمُصْطَفَى كَأَبِي بَكْرٍ
فَمَا فَارَقَ الصَّدِيقُ ذِكْرَ مُحَمَّدٍ وَإِنْ كَانَ فِي الْأَمْرَادِ كَانُوكُمْ ابْدُرِي
وَمَا سَالَ تَصَدِيقًا بِعِيرٍ حَيٍّ فَذَغَ قَوْلَ بَذْعِي تَدُنُّنَ سَابِرِي

فجعل عدم إيمان قول «محمد رسول الله» مع الهبلية من قول أهل البدع
والمبتدئين بالأورار، وقد سلمه جمع، ومهم المحقق^(١) في شرح «نعرشده»
مقتصرًا عليه، إلا أنه جعله عين الكمال، والحديث المذكور حيث تُؤخذ عليا
بخصوصه اقتضى أن تركه مضمية، فهو شرط في كل مجلس وأما حيثما دُكر
سُبْحَانَهُ فهو الاستدلالات العوالي التي قدمناها أول تحرير المسألة، فأول
المسألة كان استدلالاً عالياً على العموم، وآخرها صار استدلالاً نارلاً على
الخصوص.

[التشديد هلئ من خالف هذا الأمر]

وكما وصف المحالفة الساحلي بالابتداع، وصفه الإمام السوسني أو حرر
«شرح الصغرى»^(٢) بأنه «صال وقائل كلمة قريبة من الكفر أو هي لكفر بعينه،
ووصفه بأنه «قال كلمة لا عُقْبَى لَهَا إِلَّا دَارُ الْبَوَارِ، وَأَنَّهُ آيٌ / ٥ / إِلَى انْحِلَالِ
رِنَقَةِ الْبُيْنِ مِنْ عُقْبِهِ، لِأَنَّهُ يَنْدَرُجُ مِنْ هَذَا إِلَى الْقَوْلِ بِاسْتِمَاءِ الْعَقْلِ وَارْتِدَادِهِ عَنْ
إِرْشَادَاتِ صَاحِبِ فَنَكِ الرِّسَالَةِ، وَمِنْ هَا هُنَا الْمَعْتَزِلَةُ حَيْثُ حَكَمُوا الْعَقْلُ

(١) انظر «لدر الثمين والمورد المعين» في شرح المرشد المعين» في فقه مالك، للإمام محمد بن
أبي عبد الله محمد بن أحمد ميارة المالبي، رحمه الله تعالى، ص ٥٤

(٢) انظر «شرح أم البراهين» للإمام الشريف أبي عبد الله محمد بن يوسف السوسني رحمه الله
تعالى، ص ٩٠

واستمعوا عن إرشاد الشارع، وصلّ العلامه وتهاوتوا على الجحيم حيث حكموا
آراءهم أيضاً ولم يلتفتوا لما بيّنه الشرع الكريم

[حال أغلب من خالف في هذه المسألة]

وقد جرئت كل من يُحاك هذه المسألة أنه ليس للسنة وقع عظيم في نفسه،
أعني ليس له كبير بحث في علم طرق السنة أولاً، وتنشع عقدها في العمل بها
ثانياً، والتعشّر على ما فاته من العلم بها ثالثاً، والعمل بها رابعاً، وحمل الناس
على علمها والعمل بها خامساً، وفل من تجده يُحاكك في هذا الباب إلا وهو
هكذا، ولا تجد شخصاً يُحاكك في هذا إلا وتجد أعماله غير مُعْتَد بها لأن ليس
له سرّيات محمدية في جواهر أحواله حتى تصلح لأن تُدرج مذبذجة القول،
وتجد العُسر محيطاً به دائماً لعدم تعلّقه بمولانا رسول الله ﷺ وعلى آله لتعلق
الحاص

إذاً التعلق الحاص به ﷺ وعلى آله يتشع ما لا تنتجه كثرة الأعمال الصالحة
مع عدم الانتماء لمركز دائرة الأنوار الانتماء الحاص، إذ ليس في الوجود من له
الحل والربط والنقص والإبرام إلا مولانا رسول الله ﷺ^(١)

[التمثلك برسول الله ﷺ موصل إلى كل خير]

وسدنة عتباته مطوروون بظر الإجلال والإكبار من السماء والأرض،
مرموقون من وراء الحجاب بالألطف، مُكْتَفَوْنَ بالعايات والرعایات، لأن
لملوك - ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الباقية ٢٧] - إذا أقبلوا على فرد
جعلوا له علامة يُعْرَف بها رضى الملك عنه

(١) أي بأسر الله تعالى، لأنه قاسمُ الله يعطي، كما في البحاري، وهذا الباب أعمله أعب
من يقوم بالدعوة إلى الله تعالى هذا الزمان، وعليهم أن يتبها له

ومولانا جلّ أمره جعل الانتماء للجلالة المحمدية والاستقلال بظنّه
الوريف موجباً للألطاف والعنايات والرعايات، فضلاً عن الاستعراق والاستهلاك
وانتهك في الدات المحمدية، فإنه عنوان الوصول، وعلامة انظّم بالمأمور،
وإعلان بالأمان العام من التليس والاستيلاءات الطبيعية والإلقاءات الرجيمية
والاستحواذات الظلمانية، ﴿وَمَا حَسَكَا اللَّهُ يَعْذِبُهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ (الأنعام: ٣٣)

ولا شك أنه كلما قويت الرابطة بين المحبّ والمحجوب إلّا وتصل أشتات
وارتباطات وعلاقة بينهما توجب كلية الاشتراك إما في الدات، أو في الصفات،
أو في فعل من الأفعال، أو في حال من الأحوال، أو في رتبة مصاعداً

ومن هاهنا صحت الاجتماعات اليتّطية بالدات المحمدية لمن شاء الله
مسحاه لهد العظم الأخص، والقبض الأقدس، والله واسع / ٦ / عليم

ومن هاهنا بُدّت الناس قديماً وحديثاً لزيارة الأولياء أحياء وميتين، لأنّ الإنسان
ضعيف رقيق عن الولوح بكوّات الملكوت والعمور على مسيح العظمة ما لم يجذب
بروحانية معاطيسية وقوة قدسية في مظهر من المظاهر، ولذلك أمر سبحانه عباده
بقوله ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَيَّ﴾ (البقرة: ١٥)، وأمر بالكون مع الصديقين، والسلام

[ذكرُ أسماء رسول الله ﷺ موجبٌ لانطفاء غضبِ الله تعالى]

وكثيراً ما أشعرُ بانطفاء شيء من العصب الإلهي في العالم إذ جرى ذكرُ
اسم موافقٍ لأسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم أو لقبٍ موافقٍ لألقابه صلى الله
تعالى عليه، لأن الأشياء كلّها تهانته صلى الله تعالى عليه وآله، حتى المعاني
والحصرات الكبرى، وإذا ثبت في الحديث «ما في السماء ملكٌ إلّا وهو يُوقرُ
عمره ولا في الأرض شيطانٌ إلّا وهو يُقرئ من عمره»^(١)

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣٤٩، ٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما

فكيف بمشرف الجميع، حامل اللواء للوجود كله، وزعيم الحلائق أجمعين في الشأ الأولى الروحية، والشأ الثانية هذه، والشأ الأخيرة، هذا في مطلق الأسماء ولصغات المشاكلة لأسمائه، فكيف بأسمائه المحمدية، أو صفته المحمدية الساذجة، أو بعونه الأحمدية الصرفة، فكيف بالإيمان على ذكرها، ولتحدث بها، فهو العرش الرحماني الذي تجلّى الله تعالى عليه بمقتضى وضع الرحمانية بوسميته، ومن ذلك وسع صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله لعالم كله، وسعه رحمة وأرسل رحمة للعالمين، وهو أرجى ما يرجو لحلائق، لا حرما الله الرحمن سبحانه من الانعماس بتيارها، والسبح أو لإعراف في بحر رخاها، نحن ووالدينا وإخواننا، وأبائنا وزوجاتنا وأحبابنا، وكل تعذفات وسلطانتنا، آمين، آمين، آمين

[مسألة الأخلاق المذكورة في آية: ﴿وَسَارِعُوا﴾]

وأما مسألة الأخلاق المذكورة في آية ﴿وَسَارِعُوا﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وهل القول بوجوبها متجه أم لا؟ فينبغي أن يقال

أولاً إن الدين من حيث هو لا يتظم إلا مالاتحاد الديني وهجران الآراء، وإنعاء مقتضى الوهم، وتحكيم الشرع في كل موارد الإنس ومصادره ومسئله ومكرهه، وحتى خواطره وإراداته وهواجه، ثم ترجع ويقول

إن هذه الأخلاق الدينية إنما أمر بها الشرع الكريم لتتحد الكلمة لإسلامية الإبراهيمية المحمدية، ويصير الدين كله، ويحصل الائتلاف الديني، ومعلوم

(١) وهذه الأخلاق هي المذكورة هناك بقوله سبحانه ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْحَسْبُ لِلَّهِ وَالسَّابِقُونَ فِي النَّبَأِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَسَابِقِينَ﴾ [الزُّمَر: ٤١] فَمَلُوا أَعْيُنَهُمْ فَذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُجِزُوا عَنْ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَسْأَلُونَ ﴿أَوَلَيْكَ جَزَاءُكُمْ تَغْفِرُ لِمَنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَيَجْزِي مَنْ تَشَاءُ مِنَ الْأَنْهَارِ حَبِيرٌ﴾ [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَمَنْ يَسْعَىٰ رِجَالًا أَوْ سِوَاهُمَا يُبْتَغَىٰ إِلَيْكُمْ فَيَكُونُوا مِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ تُؤْتُونَ] [آل عمران: ١٧٣-١٧٤]

أن القيام بالمشروع والتعاون القُصدي الذي عليه انتظام الركن الأعظم من الدين والإتيان بما أمر به الشرع وحده؛ لا يمكن إلا بالالتفاف بهذه الأخلاق، والعمل عليها، ولو عمداً على هذه الشريطة وبهما سرّ الأمر بها ما احتجنا لحاكم ولا إلى قضاة، إنما نعمل على مقتضى السياسة الشرعية الأصلية / ٧ / المنصوصة في محكم الكتاب المنزل، وهي كافية في الجمعية الدينية وتوثيق الحقوق والإتيان بها كافة

ويكن أنمي ذلك أولاً بإلقاء الوقوف عند مقتضى التأديب القرآني ولرسالي، وتوسع أساس في اتاويلات، وقدموا بعض آرائهم على ملاحظ القرآن الكريم، واحتجوا للاحتجاج عليه ليرؤجوا ما احتجوا، فتوسعوا على ذلك، فكان عليهم ورر هذا التسن ووزر من عمل به إلى يوم القيامة^(١)

[الإتيان بالمشروع والتقرب به إليه تعالى واجب]

والإتيان بالمشروع والتقرب به إلى الإله جل أمره واجب، إذ هو الدين كله، وهل الدين إلا الامتثال والاجتهاد^{١٩} والإتيان بذلك لا بد له من التعداد وتدوين والتأصيل والاعتقاد، وهذه لا تمكن إلا بصيرورة الأخلاق المحمدية منة للإنسان بتصرف بها أتى حل وظن

فصدر تعلم الأخلاق والعمل عليها بل الإدمان عليها حتى ترسخ وتثبت وتندفع بها النفس الشرودة ويتطعم بها الطمع وتستحيل شكاسته إلى تهذيب وانقياد واستسلام لما جاء به الشرع: واجباً شرعياً وعقلياً وطبيعياً

(١) أخرج الترمذي (٢٦٧٥) وقال: حسن صحيح، عن جرير بن عبد الله البجلي مرفوعاً. فمن من سنة خير فاتبع عليها فله أجره، ومثل أجور من اتبعه، غير منقوص من أجورهم شيئاً، ومن من سنة شر، فاتبع عليها كان عليه وزره، ومثل أوزار من اتبعه، غير منقوص من أوزارهم شيئاً

أما الشرع فقد قررناه من حيث إن ما لا يُؤصل للواجب إلا به فهو واجب، هذا لمن يُعاني التقرب إلى الله تعالى كما كان عليه السلف الصالح. وأما اليوم ولرحل إذا صلى الصلوات الخمس بدون مواقيتها، وربما لم يحتجب عليه بموطن وهو في الصلاة، فكما كان خارج الصلاة يتقلب في لكون وأرمائه ويتمشع في عالم الأكدار وأنحائه، كذلك يطرأ حالة المباحة في الصلاة، وربما تكثر عيبه الإلقاءات الشيطانية كما أخبر المعصوم «إدا أدن المؤذن أدبر الشيطان وله ضراط، حتى إذا توف بالصلاة أقبل، فلا يزل يحضر باب أحدكم ويقول له اذكر كذا، اذكر كذا حتى لا يدري كم صلى» (١) الحديث أو كما قال

سجده في الصلاة أكثر مما كان في المداخلات الجسدية، ومع ذلك يطرأ أنه لم يثبت لدنق تعالى عليه حق، ونجده يشكك في الولاية ما معناه، وهو من رائدة على ما قلناه فيضل في بحار الأهواء، ونسئ في أمواج المذلات، ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ مِيتَهُمْ سَبِيحًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال ٢٣]، ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [البقرة ١٠٠]، ﴿إِنَّهُمْ بَأْسُ الْيُسُفَىٰ وَأَمَّا أَنْ نَفْخَ قُلُوبَهُمْ بِرِيحٍ مَحْضَةٍ فَيَقُولُوا مَا رَأَوْا إِلَّا غَاشٍ﴾ [الحديد ١٦] قال سيدنا أس بعد ما أسلمنا ستة عشر عاماً وظهر فينا شيء من المرح حوص بهذا لحطاب

وهذا وهم بين ظهرائي شمس النبوة وقمر / ٨ / الرسالة صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ورضي عنهم وهنا وأصحابنا بهم، آمين

فكيف يا وقد بعدنا عن زمن النبوة والقرب منها مكانة؟ عمومت يا حلیم، لعمرك يا عموز يا عظیم، يرجى لكل عظیم

(١) أخرجه مسلم (٢٨٩) وأحمد (٢١٣ ٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

[الدليل العقلي على وجوب اكتساب الأخلاق]

وأما العقل - أي من الدلالة الدالة على اكتساب الأخلاق ووجوب ذلك عقلاً - أن العقل يقتضي بطريق الاستمداد من الشرع أن معاملة الناس معاملة واحدة بطرير واحد ليس كما يقتضيه الهوى والعقل، فلا بد من اشتات لمعاملات حسب المصائب والمنازل والمكانات، وهذا يقتضي صحة روحانية ومذكبة مُقتضى من أنفاس لشرع تدل الإنسان على مهايج السعادات وموارد، والطرق التي تُسلك معها، والطرق التي تداس وتهجر، ولا يتفق من الشرع في هذا لدل إلا قوله «إن هذا الدين دين استحلصت لنفسي، ولن يُصلحه إلا السجاء وحسن الخلق، فزيتوه بهما»^(١)، وقوله جل شأنه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٢) أخر. [٨٣]، وقوله جل سلطانه ﴿وَقُلْ لِيَعَادِيَ يَقُولُوا أَلَيْسَ مِنْ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَرِجُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسِي عَدُوًّا مُبِينًا﴾^(٣) [الإسراء: ٥٣].

ومعداة الشيطان واحدة بالإجماع، ومناقشة النفس كذلك، كما في «لأحياء»^(٤) في آخر الشفر الأخير بعد كتاب المراقبة أو فيه، وليس هو عدي هنا حتى أراجع، و«الفشيرية» مخلوقة بهذا

وهي أول الطبقات: «فلان كان يحصل أهل عصره على التوبة على الأنفاس، فأخرجوه من البلدة»^(٥)، وهذا مسوط غاية السط في كتاب «لأحياء» في كتاب انبوة فيراجع، وأما اليوسي فلم أجد فيه الموضع الآن مع لبحث الطويل وشعل البال

(١) قال الحافظ المراقبي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٣: ١٩): «رواه الدارقطني في كتاب «الاستجداء»، والخراطي في «مكارم الأخلاق»، من حديث أبي سعيد الخدري، بإسناد فيه لين»

(٢) انظر «العبقات الكبرى» ص ١٣، للإمام الشيخ عبد الوهاب الشمراني رضي الله عنه، والمقصود به فلان، الإمام سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه

[دليلُ الطبع على وجوب اكتساب الآداب]

وأما الطبع فإذا كان تحت وارع العمل، والعقل تحت وارع الشرع، حُكِمَ
الطبعُ على الإنسان، من حيث إنه مدّثس الطبع، لا يقومُ بأموره بنفسه، بل لا بد
له من خلائف يعينونه في مصالحه الدنيوية الضرورية ومعاملتهم له

أما بعد علمهم هذا البات فتكون من هذا القليل حرصاً على الألفة
الدينية وتوضلاً لانهاد الكلمة الإسلامية، وإن كانت بدون علم كنت بالمعطرة،
والمعطرة من حسر الملكات أيضاً، وذلك وسيلة للألفة، والطبع يقضي أن من
نسب في قضاء أوطارك الضرورية أنك تحبه لإبقائه على حفظ حياتك في العلم
الشهادي

[خاتمة في سبب الاختلاف فيما ذُكر من المسائل]

وهذه أدلة ضرورية يُنتفع بها في الباب، ومُخْرَاجُ طريق السلف وعدم / ٩ /
مطالعة كتبهم، وعدمُ الاعتداد بما كانوا يعتدّون به هو الذي ألجأ للاحتجاج على
مثل هذه المسألة، وإلا فالسلف لم يكن معروفاً عندهم غيرُ هذا، إلى أن
توسّيت تلك الطريقة وهُجِرَتْ، وحدثت أحداثٌ وطرأت تغيراتٌ ما مثّل الطريق
ووعر المسلك، وهُجِرَتْ كتبُ الفوم، وصار يُلقَرُّ أربابها بأنهم صوفية،
ولمُعَمِّرِي لا يقلُّ الله سبحانه عملاً ليس مؤسساً على نظام التصوف الحقيقي
المؤسس على نظر الشرع، الذي محموله: علمٌ واسعٌ بالكتاب والسنة، وعمَلٌ
على وفق الانساع العلمي، وإحلاصٌ حقيقي ومشاهدةٌ حقيقية، وعادةٌ لله
سبحانه كأنك تراه، الذي هو شطرٌ من أقطار الدين، والله محيي ديه ومجددُ
شرعه

وأظن أن هذه البهيمية التي بقيت في الإسلام مفرقةً في لأرض، ومنها
المعرتُ والسلطة العثمانية، لا يسولي مسئولٍ أجنبيٍّ يمحوها؛ لأنَّ هي بقيةٌ

الإسلام اليوم، ولأن مُجِيتَ لِبَلَرَمَسْ تحلَّت الحفظ الإلهي في قوله ﴿إِنَّا نَحْنُ
 رَكْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَمُنْقِطُونَ﴾ [الحجر: ٩]، أي ببقاء البقايا الدينية في الأرض من
 أهل الإسلام، وعدم استئصالهم بالمعدو، وإلا لَرِمَ انقلاطُ العلم جهلاً ومن
 أصدق من الله حكماً لقوم يوقنون. والسلام^(١)



(١) قد دعت دولة الخلافة العثمانية ومضى على ذلك ثلاثة أرباع القرن، وتحوّلت أحوالُ
 الأمة المحمدية، لكن لا تزال طوائفُ ثابتين على الحق لا يضرهم من حذتهم حتى يأتي
 أمرُ الله، كنزهم الله، والله يتولى المؤمنين، الناشر.

النفائس الكتانية

٧

الإجازة الطرقية
وشروط وأركان الطريق

تأليف

الإمام أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني

المستشهد بفاس سنة ١٣٢٧ هجرية

رضي الله عنه

[illegible]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

«رَأْسُ الْعَقْلِ مُحَافَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» «مِلَاكُ الدُّبُرِ الْوَزْعُ»

من محمد بن الشيخ عبد الكبير الأحمدي الكتاني إلى أحياء في الله تعالى،
ومحب من أجله، الساعي في تركية نفسه بالكون مع الصديقين أهل الله، الذين
من النحى إليهم ومُنْعَ بالكون معهم فُتِحَتْ لَهُ جميعُ أنواعِ الرَّحْمَاتِ، وَرُفِّتْ لَهُ
عرائسُ المعارفِ الامتثالية، وَأَذْرَكَ فِي الرِّمْسِ البَيرِ ما لَمْ يَشُمُّ لَهُ رَائِحَةُ مَنْ
تَقَاعَصَ عَنِ الْكُونِ معهم ولو بَلَغَ فِي التَّشْمِيرِ، وَلِيَ اللَّهُ تَعَالَى: سَيِّدِي الْعَرَبِي ابْنِ
مُحَمَّدِ الدُّكَّالِيِّ الْحَمَزَاوِيِّ^(١)

سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ

أما بعد: فقد أَذْنَاكَ فِي طَرِيقَتِنَا هَذِهِ الْأَحْمَدِيَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الصَّدِيقِيَّةِ الْكُتَانِيَّةِ،
الْمُضْمَوِيْنَ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهَا أَنَّهُ لَا يَمُوتُ إِلَّا عَلَى أَكْمَلِ الْحَالَاتِ، وَبَادَتْ فِي
تَذْكِيرِهَا لِلغَيْرِ مَعَ شُرُوطِهَا

[شُرُوطُ الطَّرِيقَةِ الْكُتَانِيَّةِ]

لِإِذَا أَنَّ لَهَا شُرُوطاً عَامَةً، وَشُرُوطاً خَاصَّةً

(١) الْعَرَبِي بْنُ مُحَمَّدِ الدُّكَّالِيِّ الْحَمَزَاوِيِّ، لَمْ أَقْبَلْ لَهُ عَلَى تَرْجُمَةٍ

[الشروط العامة]

أما شروطها العامة فالطهارة، واستقبال القلة، وعدم الكلام، والجُئي على الركبتين، وخصوصاً عند السلام، والأنموذجية، والقاسم^(١)

من مولانا رسول الله ﷺ يحضر بيعة ذلك عندما في الورد مرتين^(٢)، مرة عند السلام، ومرة عند «الأنموذجية»، و«القاسم» آخرًا، كما هو مشهود لأهل اصناف وأهل الحد من أصحابنا، وهي من أعظم مفاخر هذه الطائفة الكثرانية.

ومن شروطه العامة نفي الحواطر الظلمانية التي تمنع وصول العدد لذكره، ومن لم يجد الماء يتمم عند الشروع في الورد، وعند السلام، وعند «الأنموذجية»، يتمم ثلاث مرات في المواطن المذكورة إجلالاً لذكر الله سبحانه، وإكراماً لرسوله الأعظم، أضعف الطهارة الترايبية

واعلم أخي أيضاً أن طريقتنا هذه لها أركان ومباني

(١) المقصود بالسلام قوله في الورد: «السلام عليك يا عين العيون، السلام عليك يا روح الأرواح، السلام عليك بلسان ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ بِيَاقُوتُكَ إِلَهًا يَبْأُتُوكَ اللَّهُ﴾ (الفتح ١٠)»، أما الصلاة الأنموذجية، والقاسم، فهما صلاتان على النبي ﷺ، للمؤلف رضي الله عنه، أما الصلاة الأنموذجية فقد شرحها المؤلف رضي الله عنه شروحاً كثيرة، أعظمها: «خبيثة الكون»، وشرحها غيره من أئمة أتباعه، ومبانيها.

«اللهم صل على سيدنا ومولانا أحمد، الذي جعلت اسمه متحفاً باسمك ونعتك، وصورة هيكله الجسماني على صورة أنموذج حقيقة «خلق الله سيدنا آدم على صورته»، ومجرباً مُنصَّرَ موضوع مادة محبولة من آية «أنا الله»، بل حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله معه، وآله وصحبه وسلّم»

أما القاسم فتلقا منها في تعليقاتنا على الرسالة إلى أهل صلا

(٢) انظر كلام المصنف في «سنة المحنة»، على حديث «أنا جليس من ذكرني»، وغير ذلك من مصنفاته رضي الله عنه، خصوصاً «خبيثة الكون»

[أركان الطريقة الكتانية]^(١)

أما أركانها فهي أربعة:

[التوبة]

الركن الأول التوبة من جميع ما جَنَتْ يده من حين التكليف إلى وقتك الذي أنت فيه والتوبة تجب ما قبلها، وهي الدم والإقلاع، وفي الحديث الكريم: «ما أصر من استغفر ولو عاد / ١ / في اليوم سبعين مرة»^(٢)

وقد كان سيد أهل الأرض يُذَمِّنُ الاستغفارَ دائماً، ولا يظنُّ ظاناً أنه صلى الله عليه يستغفر من مقامٍ حلَّ فيه من مرسل، ولا ملكٌ مُقَرَّب، من بدايته صلى الله تعالى عليه وسلم لم تشارك شيئاً من نهايات غيره، فبَطَرُ من أي شيء كان يستغفر! مع مراعاة الإجلال والإعظام والإكبار لقدره صلى الله تعالى عليه، وأحياناً الأرواح المطهرة والقوى الخوارقية في معنى ذلك

ولا يقفُ الإنسانُ مع ما يقوله في ذلك من لم يُررق تعظيمه صلى الله عليه، فإن طريقتنا مبنية على الاستغراق فيه صلى الله عليه وسلم، كما يأتي في هذه الإجازة^(٣)

(١) للمؤلف رضي الله عنه رسالة خاصة في هذه الأركان وشرحها، مرجع الله أن تتوفر على خدمتها ومشترها قريباً

(٢) ورواه الترمذي (٣٥٥٤)، وأبو داود (١٥١٤) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال الترمذي: «حديث غريب إنما نعرفه من حديث أبي نُصيرة، وليس إسناده بالقوي»

(٣) لاستغراق فيه صلى الله عليه وآله وسلم، من أعظم خصائص الطريقتين الكتانية والشاذلية، امتازتا بها عن غيرهما، ولذلك كَثُرَ فيهما الحفاظ والمحدثون والأثرير كما لا يحصى

[تصحيح مقام التقوى]

الركن الثاني: تصحيح مقام التقوى، وهي امتثال الأوامر واجتناب النواهي ظهراً وباطناً، وهي مراتب، أدناها اتقاء الشرك، وأوسطها: حفظ الجوارح مدهراً وباطناً، وأعلىها اتقاء حطو غير الحق سبحانه على القلب، وهي الحصيفة التي لا يؤتاها كل أحد، وهؤلاء قال قائلهم

ولو خَطَرَتْ لِي فِي سِوَاكَ إِرَادَةٌ عَلَى حَاطِرِي - سَهَوًا - قَصِيتُ بِرِدَّتِي^(١)

ومن أدمر قَرْعَ اللَّابِ عَلَى يَدِ الْكَابِرِ، أهل الكلمة المسموعة، والشريعة التي لَا تُرَدُّ فِي حَضْرَةِ اللَّهِ، يَوْشَكَ أَنْ يُمْتَحَ لَهُ

[التماسُ المعاذِرِ لِسائرِ الناسِ]

الركن الثالث: التماسُ المعاذِرِ لسائر عبادِ الله على اختلاف مراتبهم، واتساع مجال أرائهم، وتباين مذاهم^(٢)

(١) من تائية «ظم السلوك» لسلطان الماشقي الإمام أبي حمزة عمر بن العارص رضي الله عنه

لطيفة: مما كان يقوله والد المصنف رضي الله عنهما، الإمام جيل السنة والدين أبو المكارم عبد الكبير بن محمد الكتاني الحسني كما في «المظاهر السامية في السيرة والطريقة» لل حافظ السيد عبد الحمي بن عبد الكبير الكتاني «إذا كان ابن العارص سلطان المشايخ، فإن ابني سيدي محمد سلطان المشوقين». وفي هذه اللفظة من العمق عند أولي البصائر ما لا يحصى

(٢) ما وصلنا إلى ما وصف إليه في هذا الزمان من التشتت والتشردم، واتسع الهوى، وعنه الكفر والضلال على بلاتنا وقورنا إلا بسبب سوء الفطن، وعدم التماس المعاذِرِ لسائر الملحق، من فقهاء ومتكلمين وسالكين وغير ذلك، وكذلك من فتحنا هذا الباب دون تكليس حتى يصل إلى حد العقدة في ديننا، ونصديق كل محرف ودخيل، وما كان سبب =

فمن لم يسلم عليك - مثلاً - أو سلّمت عليه فلم يردّ تعتدُر أنت عه بأنه لم يسمعك، أو كان مشغول البال، وقس واستمع على هذا يدوام استحصار أن الحق تعالى هو الأحذ بالنواصي ولا فاعل سواه، ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِأُصْبُعِهَا إِنْ دُرِيَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود ٥٦]

فتأمل فإنه إذا كان الحق في نفسه على الصراط المستقيم، وهو مع ذلك آخذ بالنواصي، فما ثم بهذا الاعتبار إلا الصراط المستقيم ولا تزد على الإنكار على المنحرف بلسان الشرع، ومن كان هكذا انكر وهو أب شفيق رحيم

[نظرة التعظيم في سائر الموجودات]

الركن الرابع: نظرة التعظيم في سائر الموجودات، فإن أرباب البصائر يشهدون أن لكل شَمَّةً وَجْهَةً ونشبة خاصة من الحق، تستحق تلك السمة أن تُعظَّم من أجلها وتُفَهَّم سرُّ قوله تعالى ﴿لَقَدْ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البور ٢٥]، وهو بساط طويل الذيل، وقد أومأت إلى المفصود

[مباني الطريقة الكتانية]

وأما مبانيها: فأعظمها، بل كلها: الاستهلاك في محبته ﷺ، واستغرق القلب في مودته، ودوام تشخيص صورته الشريفة نُصّت العين، ودوام مشاهدته وبك هي ذلك مشاهد

= الأمة رضي الله عنهم هكنا، وإنما يجب أن يكون المرء مثل المبرء، ولا يعمم هذا إلا بالاستعانة بشيخ التربية المتوفرة به شروط المشيخة، والتي حصص لها المؤلف رضي الله عنه رسالة خاصة أشرنا إليها قريباً

[مشاهد الطريقة في حقه ﷺ]

[(١) مشاهدته برزخاً بين المخلوقات وبين ربها]

المشهد الأول أن تشاهد ﷺ برزخاً بين المخلوقات وبين ربها، وخاصية البرزخ أنه لا يزل شيء إلا عليه، ولا يصعد شيء إلا إليه، فمعامدة الخلق كلها معه ﷺ في الحقيقة^(١)

وبيان ذلك أن الحق سبحانه لما كان في عزة القدم، وجلال الربوبية، وكبرياء الديمومية، وكان الخلق في بقيس ذلك كله، كانت المناسبة بعيدة جداً، فكان مقتضى هذا أن لا يظهر معه - سبحانه - شيء من المخلوقات لئلا

ييس عظيم فضله، وجليل امتنانه أن أبرز / ٢ / من نفسه برزخاً جامعاً، وأفاض عليه جميع كمالاته، وحلّاه بأسمائه وصفاته، فكان حائراً عظيماً بين المخلوقات وبين صدقات العبرة الإلهية، وأوجال الجلال الصغانية

فبعد ذلك صدحت الموجودات للوجود، وهو من معاني الولاء لم تخرج الدنيا من القدم^(٢)، والولا الواسطة للذهب الموسوط^(٣)

(١) فصل المصنف في هذه الأمور في كتابه العظيم «غنية الكون»، وفي غيره، ولهذه المسألة أدلة كثيرة، بعضها في رسالته في «افتراق ذكر رسول الله ﷺ بذكر الله تعالى»، ومنها: «إنا لله معطي وأنا قاسم»

(٢) من إردة الإمام البوصيري رضي الله عنه:

وكيف تذكر في الدنيا حقيقة من لولاء لم تخرج الدنيا من القدم وانتد عليه بعض الناس هذا البيت، وانتصر له آخرون، ولوالد المصنف رضي الله عنهما، الإمام عبد الكبير الكتاني مصنف «مخبر عظيم في هذا المعنى» يقع فيه مجلد مطوط، ملك فيه طريقة المحدثين والمتكلمين والصوفية

(٣) قطعه من صلاة شيخ الطريقة ومعدن الحمية تاج الدوائر الصوفية الإمام الشريف عبدالسلام ابن مشيش العلمي الإدريسي الحسي، رضي الله عنه، شيخ الإمام العارف أبي الحسن علي الشاذلي الإدريسي الحسي المصري، رضي الله عنه

ثم لم يقتصر في التسويه به ﷺ على هذا القدر، بل ريدَ أنْ يُجْعَلَ مُنْجِباً في كل درةٍ من دراتِ الموجودات، «إني لأرى في كل صورة»^(١)، «أنا مِن الله، والمؤمنون مِنِّي»^(٢)

[نتائج هذا المشهد]

وهذا المشهد يعطي نتائجَ منها

— وجوبُ محبته ﷺ عَقْلاً، فأحرىُ شرعاً وطبعاً، ومنها

— تعظيمُ الوجودِ كُلِّه لأجله، ومحبَةُ الكونِ كُلِّه، ومنها

— لاستعراقِ فيه ﷺ، ودوامِ الإقبالِ عليه بالقلب، ودوامِ مدِّ أَكْثَرِ لعاقبة

له، إذ لا تُفِيضُ سِوَاهُ، ودوامِ اللَّهَجِ بِذِكْرِ مُعْجَزَاتِهِ، ومناقبه ومفاحره، وما امتدَّ به عن كُثْرَةِ الخلق، وكثرة الصلاة عليه، وخصوصاً بهذه الصلاة الأئِمُّودِجِيَّة التي هي — في جانبِ الشَّاءِ عليه صلَّى اللهُ عليه — في مقابلةِ الاسمِ الأعظمِ المكمونِ في جانبِ الشَّاءِ على جلالَةِ الربوبية

ولو أنَّ العوالمَ كُلَّها لها أَلْسُنٌ، وتلك الألسُنُ تصلِّي عليه بغيرها، ووحيدٌ يصنِّي بها لعاقبتهم، وهي من موجباتِ رضوانِ الله الأكبر الذي هو أعظمُ من كل شيء^(٣).

(١) لم أجده

(٢) رواه الذهلي بلا إسناد بلفظ «أنا من الله هر وحل والمؤمنون مِنِّي»، كذا ذكره المحلوي في «كشف الغطاء» (١٨٥. ١)

(٣) قدرُ الكلامِ على قدرِ معناه، فراجع شروح «الأئِمُّودِجِيَّة» تر المعجانات، وقد هنَّ المصنَّفُ رضيَ اللهُ عنه في «غنية الكونية» وغيرها أن أفضلَ صلاةٍ حلِّي الإِطلاقِ هي الصلاة الإبراهيمية، والصلواتُ الأخرى التي خرجت من بين شفتي رسولِ الله ﷺ وعنِ أَلِه — الكربينين، حالِ حياته النبوية، وانتد على الصوفاة عدم كتابتهم في مصنف ومكروناها، وقد وضعها في ورده بعد كل صلاة من ثلاث إلى خمس مرات (أي الإبراهيمية)

وكذا «القاسم»، فإن من قرأه خرج منه نورٌ لا يقفُ شيءٌ من الكون إلا وصيه، وكل من وصله ذلك النورُ ازدادَ به قُرْباً من الحق تعالى. فَالْحُكْمُ بِهِ لَهُ هَيْمَةٌ عَلَى مَرَاتِبِ الْمَوْجُودَاتِ، لِأَنَّهُ يُرَبِّهَا، وَيُرْقِيهَا دَائِماً

[(٢) مشاهدة أن له ﷻ على كل ذرة من ذرات الموجودات

نعمة الاستمداد من الحق]

المشهد الثاني: أن تشهد أن له صلى الله عليه على كل ذرة من ذرات الموجودات نعمة الاستمداد من الحق، فإن له مع كل شئ وجهاً يُنْذِرُ بها، وبها قامت، ولولا ذلك ما ثبت شيءٌ من الكون، ولا ضُمَّحَتِ الموجودات

كما أن له وجهة عظيمة مع الحق دائمة المعكوب بمحراب الضم، لا تشعُّها هذه الوجهاً الخَلْقِيَّة

وإن شئت إيصاح ذلك، فاعلم، أن له أربعين وجهةً من وجْهَاتِ إِمْدَادِ يَقْبَلُ بِهَا الرَّأْسُ، فِيهَا قَوَامٌ: السَّمْعُ، وَالْبَصَرُ، وَالشَّمُّ، وَلِدَوَقُ، وَالطِّقُ، وَالْحَوَاطِظُ، وَالْمُنْذِرَاتُ، وَسَائِرُ الْقُوَى الَّتِي تَكُونُ فِي الرَّأْسِ

وبه ﷻ وجهاً ثمانٍ يقابلُ بها اليدين، فيها تقدر على حمل الأشياء والأحد والمطاء، وبها قوامٌ قوة اللمس، وقوة المفاصل، واستقامة حركتها وغير ذلك

وبه وجهاً أربعون تقابلُ القلبَ الذي به يكون الإنسان إنساناً، وبها قوامُ العقل وقوة التدبير، ومعالجة أمر الصنائع، وبها قوامُ أمر الأحشاء ومجاري الطعام، وبها صَلُحَتْ لكونها مُجَرِّئٌ عَلَى الدَّوامِ / ٣ / مع ضعفها

وله وجْهَاتُ أَرْبَعٌ تَقَابِلُ الرِّجْلَيْنِ وَمَا وَالْأَهْمَاءُ، فِيهَا يَقْدِرُ الْإِنْسَانُ عَلَى الْحَرْيِ، يَمْشِي هَوْنًا إِنْ شَاءَ، وَيَعْدُو إِنْ شَاءَ، وَبِهَا قُوَّةُ الْإِمْسَاكِ وَالِدْفْعِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَخْرَجَيْنِ، وَبِهَا تَمَاسَكَتُ قُوَّةُ الْجَمَاعِ وَغَيْرِهِ

فهذه الـ ٢٨ وتسعون وجهة، تقابل كل إنسان، وهي عددُ نقطِ حروفِ اسمه العظيم «محمد».

هذا بالنسبة لعامة الخلق، [إلههم مسمعين^(١) تقابل رؤوسهم وهي عددُ نقطِ ميم.. هكذا

[(٣) أن تشهد عند السلام في الورد]

المشهد الثالث: أن تشهد عند السلام^(٢) في الورد الكريم، فسبم عليه باعتبار ذاته الشريفة مجردة في الخارج

وتسلم عليه أيضاً في مظهره التي هي العيون، وهو معنى: «السلام عليك يا عين العيون» فيرد عليك صلى الله عليه باعتبار ذاته المجردة في الخارج، وباعتبار مظهره، لقوله في الحديث الشريف «من سلم عليّ ردّ الله عليّ رuchi حتى أردّ عليه»^(٣)

ثم تسلم على روحه العظيمة أيضاً، باعتبار التجرد، وباعتبار مظهرها التي هي عوالم اللطافة، من أملاك، وأرواح مهينة، وغيرها. وهو معنى: «السلام عليك يا روح الأرواح».

(١) كذا في الأصل ويظهر أن في الأصل سقطاً كما أشرنا بالمفهومين، فليُقدّر

(٢) أي قوله في الورد الشريف «السلام عليك يا عين العيون، السلام عليك يا روح الأرواح، السلام عليك بلسان ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا إِلَهُ الْعَالَمِينَ﴾ [المع ١١]، وهي تقرأ في الورد الشريف عشر مرات

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٣٠٩٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠: ٢٥٢): «وجه حديثه بن يزيد الإسكندري ولم أعرفه، ومهدي بن جعفر ثقة، وجه خلاف، وبقي رجاله ثقات»

ثم تسلمُ عليه بلسان المعذَّلين المقدميين المرضيين الصحابة الكرام رضوانُ الله تعالى عليهم، تأويلاً كونَ الحق أنزلَه مزلته واستحلَّه في المُلْك الأعظم، لا في الأرض فقط كسيدنا آدم وسيدنا داود، وهو معنى «السلامُ عليك بلسان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾».

وحاصلُ هذا المشهد أن تشهدَ ﷺ حينَ الأشياء وروح الكائنات

[(٤) أن تشاهده نوراً حِرَفاً]

المشهد الرابع أن تشهدَ نوراً حِرَفاً حَقَّاقاً لاهوتياً اسبغَ باسم اشربة، وتشمَّ برفاع العبدية

[نتائج هذا المشهد]

وهذا المشهد يعطي نتائج منها

— سجود القلب له صلى الله عليه كما سجدت الملائكة لآدم بالوجه والجسم، ومنها

— النجاة إليه في الشدائد، واستماعه في جميع المطالب والمرعب، وعدم قطع لطرعه في مشهد من المشاهد وفي طليقة من الطلقات والمراعب، فهو صورة احضرة لعبية تشكّل فيما ترى، فارجع البصر نحو حفاقة الكريمة^(١)

فهذه أحي مشاهد أربع اقتصرنا عليها تبصرة للطالب، من أدمها انتقل منها إلى أرقن منها، إلى أن يشاهده ﷺ بعين رايه متى شاء، والله ذو المصلح العظيم

(١) أي: باتباعه، والاحتذاء به صلى الله عليه وسلم وعلى آله، والتوسل به إلى الله تعالى، والفرج إلى حديثه وهديه في رزقك الكُرب والصبر على البلاء، حتى تتشخصه في حياتك وكل أمورك ﷺ وعلى آله

[الدعوة إلى البحث عن الشبهات التي بين الحلال والحرام]

ثم أذلك - أخي - على أمر إذا عملت به كنت سبباً لآلِ زمانك، وكنت من الدين إذا رؤوا ذكرك الله، وهو: البحث عن الشبهات التي بين الحلال والحرام، التي لا يعلمها كثير من الناس، بل لا يُلْقُونَ لها بالاً حتى يعموها أو لا يعموها، فاعمل على مقام الورع تكن أعبد الناس

وليس الشأن في توفي الحرام، ولا فعل الواجب، وإنما الشأن عند أهل الطريق في البحث عن الشبهات، وعدم الإمراط في تعاطي المباحات

ونذكر ما في الحديث الشريف: أنه ﷺ وجد تمرّة فقال / ٣ / «يولا أخي أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها»^(١)، مع أن العقر ربما يكون إن كانت قريبة تُقَرَّبَ كَوْنُهَا مِنَ الصَّدَقَةِ فهذا مقام الورع، وإلا فكدا، ومع ذلك انتقاها أورع الخلق وأتقاهم لله سبحانه، فاقضِ أخي أثرَ نَيْبِكَ الْعَظِيمِ

وذم على إخراج وردنا الشريف في وقته، وهو في الصباح من لعمري الروال، وفي العشي من المغرب إلى الثلث الأول، واستعظم شأنه، من قارنه المداومة عليه لا يموت إلا على أكمل الحالات، ويحصُرُهُ المصطفى ﷺ عند موته فيسقيه كأساً من كلوس التفرير الحاصر، فيلقى الله وقد حصل على المنصود الأهم

[الشروط الخاصة]

وراع أيضاً شروط الطريق الخاصة، ريادة على العمومية، وقد أحررت إلى هذا وهي مراتب، أدناها حفظ الحوارح، وأوسطها دوام السير القسبي، ومعنى ذلك أن يكون القلب دائماً العُكُوف برصيد المُسَاجَاة، مستمبهاً روحاً

(١) أخرجه البحاري (٢٤٣١)، ومسلم (١٠٧١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه

شبيحه، وبه، مترقاً ما يردُّ عليه من الأمداد القُلمِيَّة، مستعداً للعطايا الوُهيَّة، محتسباً ما يكدرُ صموءه من المناهي والعفلات، لا يردُّه رادُّ عن تلك المورد، ولا يصدّه صادُّ عن تلك المعاهد

إذ لم يحترق مما قلنا فقد انقطع سيره القلبي، حتى إن فرص أنه كان محتفظاً بالأعمال الظاهرة وقلبه غير مستشرف لتلك الموارد؛ فقد انقطع سيره القلبي وبقي سائراً بجسمه، وسيرُ الجسم بعيدُ المدى، بل ربما لا يجدي، بحلاف السير القلبي، درةً من أعمال القلوب خيرٌ من أمثال الجبال من أعمال الجوارح

وأعلاها معاملة الحق سبحانه في المظاهر، وهي هي ومعنى ذلك بديعاً أن يُشاهد أنوار الربوبية في كل شيء، فيعامله على حسب ذلك، وغير حفي ما يجب لمقام الموجودات كلها عند هذه المشاهدة، وهي كلها من شجرة ماركة يكاد ريتها يضيء ولو لم تلمسه نار

ولا نعدرك أنحي في القيام في الأسفار، وإظهار شعائر الدين، وإعلاء كلمة الله، ونشر أعلام الطريق، والدلالة على الله سبحانه بالقول والفعل والهيئة والعدل، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا وَمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ [صلى ١٣]

وأكثر من دعوة العلماء وخمالة الكتاب العزيز للطريقة، وتكن جواً مناً في تلك النواحي، ﴿سَتَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [النصر ٢٥]، ﴿أَخْلَقْنِي فِي قُوًى وَأَمْلَحْ﴾ [الأعراف: ١١٢]، ﴿قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ تَمَالَوْا إِلَى حِكْمَتِ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً يَكُونُ دُؤُوبُهُمْ﴾ [ال عمران ٦٤]

وسأل الله الكريم أن يُخَيِّرَ بك القلوب الميَّنة المُطلعة، ويُعاملنا وإياكم بحُجَلٍ لُطْفِهِ، وأستودعكم الله الذي لا تحيب ودائمه، والسلام.

انتهت الرسالة العجيبة، ذات الأسرار المُعَاَصِرَةِ على مُشَبَّهاتها من حصرة اسرة عبيد السلام

النفائس الكتانية

٨

الوصايا الكتانية

تأليف

الإمام أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني

المستشهد بفاس سنة ١٣٢٧ هجرية

رضي الله عنه

[illegible]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا ومولانا أحمد، وآله وصحبه

وصايا شيخنا المفرد العلم، والبحر الزاخر العظمم مولانا أبي الفيض
الإمام محمد بن الشيخ عبد الكبير الأحمدى الكتاني
رضي الله عنه

أما بعد

واعلموا إخواني أن عمر الإنسان جوهرة نفيسة لا يسعي له ضياعها في غير
عائل، من السلف الصالح - رضي الله عنهم - كانوا أحرص على أوقاتهم من
حرصنا على دراهمتنا ودنانيرنا، لما كانوا يعلمونه من أن الإنسان حُمِّلَ أمانة
عُرِضَتْ على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها،
وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً، ظلوماً حيث وُصِفَ في غير محلها،
جهولاً: حيث ادعى حمل ما لا يطيق حمله

وفي ضمن الآية أنها عُرِضَتْ أيضاً على الإنسان فادعى القدرة على حملها،
بشاهد ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾، وذلك نتيجة المحاورات معه، ثم كرّ عليه الحق
بالإبطال، حيث لم تنصل كما تنصلت السماوات والأرض والجبال، ووصفه
بأنه ظلومٌ جهولٌ

واعلموا، إخواني أن الآداب المُكَلَّفَ بها الإنسان كثيرة جداً، سيما من نه
نفسُ حُرٍّ، فهت أنه تقرَّبَ بما تقرَّبَ، وجاهد وكذَّ وارناصاً، ورنكت مش
المشاق، فلا يرى نفسه إلا مقصراً، لأن الجناب العظيم

وقد عُيِّرَ لمولانا رسول الله ﷺ ما تقدَّم من ذنبه وما نأحر^(١)، ومع ذلك
قام بصلي حتى تورَّمت قدماه، فقيل: أتعملُ هذا وقد عُفِرَ لك ما تقدَّم من ذنبك
وما نأحر؟ فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»^(٢)

فجئوا إخواني في السير، وجاهدوا في الله حقَّ جهاده، هو اجتنابكم وما
جعلَ عليكم في الدين من حرج، وافتموا أثرَ جدِّكم ﷺ كي يكثرَ تدفُّقُ
الإمداداتِ المحمديةِ عليكم من حضراته، فعلى قدرِ الاتِّباعِ يكثرُ المَدَدُ^(٣)

واعلموا إخواني أنه لما شطَّت بنا الديار، وعاقنا وهاقتكم هن الوُصْبَةِ
الأقْدَر، وصِرْنَا وصرثم في بلادٍ شاسعة، ومعاوَر ومهايمَ قاطعة، وكنا نترقب
أفدائكم الشريفةَ لأوطاننا لِمَا وعدتُمونا به من صلةِ الرحم، ونكر لنا لم
تصلوا، ولم ترسلوا أجوبةَ رسائلنا، مع أن جوابَ الكتابِ وجبَ كَرَّةَ
السلام^(٤) لم يكن بدُّ من مراسلتكم ثانياً، لتتوبَ رفوفُ الأشكالِ هنا في
رؤيتكم، ونقتلَ الأيديَ لأنها تشبه سوادَ العين.

(١) قال تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ سَاءَ الَّذِي يُبْعَثُونَ﴾ (الفتح: ٢٤)

(٢) رواه البخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٢٨١٩) من حديث عائشة رضي الله عنها

(٣) قس هنا بحال أغلب السالكين هذا الزمان، الذين هجروا الاتِّباع، وانبعوا الدنيا، ثم
يسعون وتدعى فيهم المقاماتُ العليا، والأحوالُ العظيمة، ولا أثرَ لسنة الشريفة لا في
حياتهم، ولا في أخلاقهم، ولا في عاداتهم، ولا في عيبتهم على المسلمين وبعضهم
لأعداء الدين، ولا في أذكارهم - إن ذكروا - ولا في دراستهم لسنة المصطفى ﷺ وعلى
أه وسيرته، والعفة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

(٤) في هذا المحل إشارة لطيفة إلى وجوب الإجابة عن الرسائل ومواصلة الأحباب، لا كما
اعتاده كثير من الإخوان هذا الزمان من الاحتلار بكثرة الأشغال، تفرحاً لعدم الإجابة عن
أسئلة طلبة العلم وغيرهم

فهو سوادٌ في بياضٍ يذكرُ وصايا مفعلة، تَقْلَعُ عن القلب الحُجُبَ المانعَةَ به من التطلع على هاتيك الحصرات، وعن القالب التكاثر والتراحم والتشيط عما دله السادات. فنقول

وصية

[في حفظ الجوارح]

احفظوا إخواني جوارحكم، فإن من أطلق جوارحه فيما يحب دمت حمراته ﴿يَوْمَ لَا يَفْعُ مَالٌ وَلَا مَوْلَا ۖ﴾ [لَا مَنْ لَقِيَ اللَّهَ يَخْلِبُ سَلِيمٌ ۝] ﴿[النمره ٨٨-٨٩]

ولعقل إن ادعى محبة نفسه فلا ينسب لها فيما يُحعلها عدأ بين يدي ملك الملوك، ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَمَّتْ طَغِيَّتُهُ فِي مَوْتِهِ وَنُجِرَ لَوْ يَوْمَ الْيَمِّنَةِ حَكَّتْهَا يَلْقَاهُ مَشُورًا ۖ﴾ [أَفْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَبِيبًا ۝] ﴿[الاسراء ١٣-١٤]

وصية

[في الصمت وترك فضول الكلام]

ولم كان المؤمن بأصمريه قلبه ولسانه، كما في الحديث^(١)، لم يكن يذ من تربيتهما عما يتسبب لهما في غضب الجبار

ولا يعماكم إخواني، أن اللسان ما من موجود ولا معدوم، حائقي أو مخلوق، متخيّل أو معدوم، مظنون أو موهوم، إلا واللسان يتناولهُ، ويتعرض له بإثبات أو نفي، فإن كل ما يتاوله العلم يُعبرث به [اللسان] إم محق أو باطل

(١) لم أجده

ولا شك أيضاً إلا والعلم متاويل له، وهذه حصبة لا توجد في سائر الأعضاء، فإن العين لا تصل إلا لأحد عشر إدراكاً: النور، والظلمة، والنون وجسم، وسطحه، وشكله، ووضعه، وأبعاده، وحركاته، وسكاته، وأعداده

والأذن لا تصل إلى غير إدراكين: الصوت الحفيف، والصوت الثقيل

واليد لا تصل إلا إلى عشرة إدراكات: الحرارة، والبرودة، والنعومة، واليبوسة، واللين، والحسنة، والصلابة، والرخاوة، والثقيل، والخفة

وكذا سائر الأعضاء، فلكل إدراكات مخصوصة، هذا اللسان، فهو رخت المبدان لا يركه رائد، ولا يصله صائد، ولا لمجاله منتهى

فمن أطلق غلبة اللسان وأهمله، فرحن الجناس سلك به الشيطان في كل مبدان، وساقه إلى شعا جوف هار، إلى أن يضطره إلى النوار، فوهل بكث الناس في لار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم كما في حديث سيدنا معاذ رضي الله عنه^(١)

ولا ينجو من شر اللسان إلا من ألجمه بلجام الشريعة السمحة، فلا يظلمه إلا حيث ينعمه في الدنيا وفي الآخرة، وعلم ما يُحمّد في إطلاق اللسان أو يُدلم خامض عزيز، والعمل بمقتضاه على من عرفه عسير.

وأعصى الأعضاء على الإنسان اللسان، فإنه لا تعب في إطلاقه، ولا مؤنة في تحريكه، وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن عوائله ودواهبه، وتعرّج طرق الاحتراز عنها، ولأجل هذا وردت الأحاديث والآثار بالصمت

وفي الحديث: «مَنْ صَمَتَ نَجَا»^(٢)، رواه الطبراني، وقال سهل بن سعد بن مالك بن خالد الخزاعي الساعدي قال - مولانا - رسول الله ﷺ «مَنْ يَتَكَلَّمْ

(١) رواه البخاري (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣) وغيرهما

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٠١)، والعلزمي (٢٠٩٢)، والإمام أحمد (٢: ١٧٧)، وغيرهم من حديث ابن عمر رضي الله عنه، قال الحافظ في «فتح الباري» (٣٠٩: ١١): «رواه ثقات»

لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَرَحْلَيْهِ أَتَكْفُلُ لَهُ بِالْحِجَةِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ^(١)

وَسُئِلَ مَوْلَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ الْحِجَةَ، فَقَالَ: «تَقْرَأُ اللَّهَ وَحَسَنُ الْخَلْقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ النَّارَ فَقَالَ: «الْأَجُودُونَ» أَعْمُ وَلَمْ يَرْجُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ، وَابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ^(٢)

وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنْ أَكْثَرَ حَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ» رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ أَبِي لَدِينٍ فِي «الصِّمْتِ»

وَرُوِيَ أَنَّ سَيِّدَنَا مَعَاذَ بْنِ جَبَلٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي، قَالَ: «اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، وَخُذْ بِنَفْسِكَ الْمَوْتِ» ٢/١، وَبِشَنْتِ أَسَائِكَ بِمَا هُوَ أَمْلَكُ لَكَ مِنْ هَذَا كَلِمَةٍ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ الشَّرِيعَةَ إِلَى لِسَانِهِ الْكَرِيمِ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الصِّمْتِ» وَالتَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ»^(٣)

وَفِي الْحَدِيثِ: «أَحْرُسُ لِسَانِكَ إِلَّا مِنْ حَيْرٍ» ذَلِكَ مَذْكُورٌ فِي «الشُّبُهَاتِ»، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الصَّغِيرِ»^(٤)

وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمُؤْمِنَ صَمُوتًا فَاقْرَبُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ يُلْقِي الْحِكْمَةَ»، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ خَلَّادٍ^(٥)

(١) الْبُخَارِيُّ (٦٤٧٤) يَلْعَظُ «مِنْ بَعْضِهِ»... وَأَمَّا رَوَاةُ «مَنْ يَتَكَلَّمُ»... فَقَدْ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٤٠٨)

(٢) التِّرْمِذِيُّ (٢٠٠٤)، وَابْنُ مَاجَةَ (٤٢٤٦)

(٣) ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الصِّمْتِ» (٢٢) بِإِخْتِلَافٍ يَسِيرٍ، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٢٠ ٣٧٤)، وَقَالَ الْمُتَلَدِيُّ فِي «التَّرْغِيبِ» (٤١٣-٤) «رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ، إِلَّا أَنَّ بِهِ انْطِقَافًا يَبِينُ لِي سِلْمَةً وَمَعَادَةً»، وَهُوَ يَلْعَظُ: «وَأَعْلَزُ نَفْسِكَ فِي الْمَوْتِ»

(٤) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الصَّغِيرِ» (٩٤٦) وَأَحْمَدُ (٣ ٨٢)، وَأَبُو يَمْلُوحٍ (١٠٠٠) فِي «مُسْتَدْرَكَيْهِمَا»، وَقَالَ بَهْزَمِي فِي «الْمَجْمَعِ» «وَقَدْ لَيْتَ بِنَ أَبِي سُلَيْمٍ وَهُوَ مَدْلَسٌ، وَقَدْ وَثَّقَ هُوَ وَبَقِيَهُ رَجَالُهُ»

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ فِي «السَّيِّئِ» يَلْعَظُ «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ أُعْطِيَ رَهْدًا فِي الدُّنْيَا، وَقَدْ مَنَعَهُ، فَاقْرَبُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ يُلْقِي الْحِكْمَةَ» (٤١٠١)

وقال سيدنا هبلى عليه - وعلى نبينا وسائر الأنبياء - أركن التحيات والتسليمات «العادة عشرة أجزاء، تسعة منها هي الصمت، وجزء في القرار من الناس». رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت»، من طريق وهيب بن الورد^(١)

وفي الحديث «عليكم بحسن الخلق، وطول الصمت، فالذي يسي بيده ما تجمل الحلائق بمثلهما»، رواه أبو يعلى من حديث سيدنا أنس^(٢)

ومن حديثه أيضاً: «الصمت سيد الأخلاق، ومن مزح استُحِفَّ به». روه الديلمي في «مسند الفردوس»^(٣)

ومن حديث سيدنا أبي هريرة: «الصمت أرفع العبادة»^(٤)

وكان سيدنا أبو بكر الصديق يضع خصاة في فيه يمنع بها عنه من الكلام

وقال ابن طاووس: لاني سَمِعُ، إن أطلقته أكلني»^(٥).

وقال وهب بن مُبَيَّه «في حكمة آل داود حنٌّ على العاقل أن يكون عارفاً برمائه، وحافظاً للسان، مقللاً على شأنه». أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت»^(٦).

(١) ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٦٣)، والذي في المطبوعة بلفظ: «والماثرة هوله الناس»، ورواه أيضاً أبو نعيم في «الحلية» (١٤٢.٨)

(٢) رواه أبو يعلى (٣٢٩٨)، والطبراني في «الأوسط» (٧٢٤٥)، والبرار (٣٥٧٣). وقال الهيثمي في «المجمع» (٢٢ ٨): «رجال أبي يعلى ثقات»

(٣) رواه الديلمي في «الفردوس» (٣٦٦٦) عن أنس رضي الله عنه

(٤) رواه الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في «طبقات الأصفيين» (٢: ٣٤)

(٥) انظر كتاب «الصمت» لابن أبي الدنيا (٦٣)، و«الإحياء» (١١.٣)

(٦) لم أجده في «الصمت»، وقد رواه الحافظ الأزدي في كتابه «الجامع» (١١ ٢٢) الملحق بالمصنف لابن أبي شيبة.

وقال أبو عمرو الأوزاعي الفقيه رحمه الله «كُتِبَ إليا عمرُ بن عبد العزير
أما بعدُ، فإن من أكثرَ ذكرَ الموتِ رضيَ من الدنيا باليسير، ومن عدَّ كلامه من
عمه قلَّ كلامه إلا فيما يعنيه» أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت»^(١)
وقد اجتمع أربعة ملوك، رموا رميةً واحدةً بكلمةٍ واحدةٍ ملكٌ لهند،
وملكٌ للصين، وكسرى، وقبصر

فقال أحدهم: إنما أندمُ على ما قلتُ، ولم أندم على ما لم أقل
وقال آخر إذا تكلمتُ بكلمةٍ ملكني ولم أملكها، وإذا سم أنكلم بها
ملكتهُ ولم تملكني
وقال الثالث عجزتُ للمتكلم إن رجعتُ عليه الكلمةُ ضرته، وإن سم ترجع
لم تنفعه

وقال الرابع أنا على ردِّ ما لم أقل، أقدرُ مني على ردِّ ما قلتُ أخرجه
ابن أبي الدنيا في «الصمت»^(٢)

«ارموا إخواني الصمتَ كي تسلموا من آفات اللسان، وتعلموا من حيث
جمعُ الهمم من التشتيت والتفكر، والقراعُ للذكر، والسلامةُ من تبعات القول في
لديب، ومن حسابه في الآخرة، ودوامُ الوقار والهيبة بين الناس، وأيضاً هو سننُ
لجاهل ووقارٌ للعالم

• تحصيل:

ولسحتم هذه الوصية بتحصيل

فلتعلموا إخواني، أن الكلامَ أقسامٌ أربعة

(١) ذكره الحافظ ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٦١)، وعبد الله بن أحمد في «روايد الزهد» (٢٩٦)

(٢) ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٧١)

- (١) ضررٌ محض، فلا بد من السكوتِ منه، كالبقية، والنميمة، وشهادة الرور، والكلام الفُحش، والمِلْطَة، والعظاظة، والكلام المَوْحش، والكذب، والبهتان، والتكلم بما لا يعني
- (٢) وقسمٌ هو نفعٌ محضٌ
- (٣) وقسمٌ فيه ضررٌ ومنفعة
- (٤) وقسمٌ ليس ضرراً ولا منفعة

فأما الذي فيه ضررٌ ومنعٌ فلا بد من السكوتِ عنه، لأن منفعته لا تعي بالضرر
وأما ما لا منفعة فيه ولا ضررٌ فهو فصولٌ، والاشتغال به تصييعٌ للوقت في غير طائل، وهو عينُ الخسران

فما بقي إلا القسم الرابع، وهو الذي فيه منعٌ محضٌ، فقد سقطت ثلاثة أرباع الكلام، وبقي ربعٌ، وهذا الربعُ فيه خطرٌ، إذ يمتزجُ به ما هو ثم من دقائق الرباء، والتصنع، والبغية، وتركيبُ العسر، وفصولُ الكلام امتزاجاً بطبعاً يحسُّ ذرُّه، يكون الإنسان محاطراً

ومن علم دقائق آفات اللسان وغوائله ودواهيهِ شَمَّ بعضُ راحةٍ قويه بإزالة
كم صدر به من صمت مجاهد^(١)، والله المستعان

هو طُوبَى إخواني على أوردكم - معاشرَ الطائفة الكنانية - بالشرائط التي شرطها عليكم عند التلقي، ودونكم والمواظبة على «الصلاة الأسودحية» سائر بهاركم بحسب المستطاع، وليلكم بحسب المستطاع، فإن العفيرة ابنُ وفته

وقد كان جدُّكم سيدٌ عليٌّ يقول لمولاتنا فاطمة: «إن صمت طعماً فاحمله مانماً كي لا أحتاج إلى المصغ فتفوتني سبعون تسيحة»، فتأشرو به رصي لله عنه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (ماطر ٢٨)

(١) مر محريجه

فما مضى من همركم لا يوصن لكم منه، وما بقي وبما لا تدركونه، فما بيدكم إلا الوقت الذي أنتم فيه، فاملؤوا رحانه بالذكر حتى تتجوهر داتكم، وتصير كثافتكم لطافت، وعلوئكم معارف، وهواجسكم عوارف، وتصيرو مع الله ظاهراً وباطناً والناس يظنون أنكم معهم «اعبد الله كأنك تراه»^(١)، ومحال أن تراه وتشهد معه سواء

وعملوا على صقل مرآة قلوبكم، حتى تترهوا عن المعاملة والأوهام والأعيان، وهذا تمدكم الملائكة الحفظة بما معها من آدابها مع ربها، فتصيروا من الحفط بالمكانة الزلقي والمحل الأرفع.

وصية

[في صلة الرّحم]

وعليكم إخواني بصلة الرحم، فإنها تزيد في العمر، ويُسقط بها الرزق وكان ﷺ يقول «مكتوب في التوراة من أحب أن يُؤاد له في عمره ورزقه فيحصل رحمه»^(٢)، وفي الحديث «إن الله ليحمر بالقوم الديار، ويشمر لهم لأشجار والأموال، وما نظر إليهم منذ خلقهم إلا بالرحمة»، قبل وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «بصلتهم أرحمتهم، وإحسانهم إلى جيرانهم»^(٣) وفي الحديث «ليس الواصل بالمكافئ»، ولكن الواصل إذا قطعته رحمه وصلها»^(٤)

(١) سبق تحريجه

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٤ ١٦) وصححه

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٥٥٦)، والحاكم في «المستدرک» (٤ ١٦١)، بلط

قريب، قال الهيثمي في «المجمع» (٨ ٢٧٨) «إسناده حسن»

(٤) أخرجه البحاري (٥٩٩١)، وأبو داود (١٦٩٧) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

«مَثَلُوا إِخْوَانِي أَمَرَ بِيَكُم، فَصَلُّوا رَجِمَكُم، وَإِنْ قَطَعَكُم وَأَدْرَ عَكُم، فَصَلُّوا مِنْ قَطَعَكُم، وَاعْمُوا عَمَّنْ ظَلَعَكُم، وَأَعْطُوا مِنْ حَرَمَكُم»

وصية

[في ستر عورات المسلمين]

وعليكم إخواني ستر عورات المسلمين الحشية والمعوية، كي يعامنكم مولانا بذلك أيضاً، وفي الحديث «مَنْ بَغَسَ عَنْ مُسْلِمٍ كَرْبَةً مِنْ كُرْبِ دُنْيَا نَفْسِ اللَّهِ عَنْهُ كَرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سِتْرَهُ اللَّهُ فِي دُنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَدَا مَا دَامَ الْعَدُوُّ فِي عَوْنِ أَحِبِّهِ»^(١)، وفي الحديث «مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّمَا اسْتَحْيَا مُؤْذُوذَةً فِي قَبْرِهَا»^(٢)

وسبب هذا: أن رجلاً جاء إلى عُقَّةَ بْنِ هَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ جِيرَانُ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ، وَأَنَا دَاعِ الشُّرْطَ، - أَيِ أَصْحَابِ الْمَحْرَمِ - لِيَأْخُذُوهُمْ فَقَالَ / ٤ / عَقِبْهُ لَا تَعْمَلْ، وَعِطْهُمْ وَهَذَا نَعْمَ قَالَ إِنِّي يَهَيْئُهُمْ فَلَمْ يَتَّهَمُوا، وَإِنِّي دَاعِ الشُّرْطَ لِيَأْخُذُوهُمْ. فَقَالَ عَقِبْهُ وَيَحْكُ لَا تَعْمَلْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ - مَوْلَانَا - رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ فَكَأَنَّمَا اسْتَحْيَا مُؤْذُوذَةً فِي قَبْرِهَا»

وفي الحديث: «الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ، فَلَوْ أَنَّ رَجُلًا خَيْرَ رَجُلٍ بَرَضَعَ كَلْبِيَةً لَرَضَعَهَا»^(٣)

(١) أخرجه أحمد (٢٥٢ ٢)، ومسلم (٧١٠٨)، والترمذي (١٤٢٥)، وأبو داود (١٤٥٥)، وابن ماجه (٢٢٥) وغيرهم، وأورده المصنف - رضي الله عنه - بشيء من الاختصار

(٢) ورد بالعائذ عنه، رواه الإمام أحمد (١٥٣ ٤)، والبيهقي (٢٣١ ٨)، وابن حبان (١٤٩٣)، وأورده المنذري في «الترغيب» (٢٣٨.٣)

(٣) أورده ابن الحوري في «الموضوعات» (٨٣ ٣)، وابن عراق في «نزهة الشريعة» (٢٩٦ ٢)، والعيني في «تذكرة الموضوعات» (١٧٠)، والحافظ السيوطي في «النور المنتشرة في الأحاديث المشتهرة» (٥٨)، وغيرهم، وله شواهد غير أنها ضعيفة. وانتصر للمعنى الحافظ ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه «تحفة المودود» في أحكام المولود، ونقل لمعناه أدلة كثيرة، فراجع

فاقتدوا إخواني بأخلاق جدكم ﷺ، واكنموا عيوب الناس، وعامسوهم بما تحبون أن يعاملوكم به، «وليحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(١)، ولا بد

ومن رأيتهم ينشرون مساوية المسلمين فاستكتموه برفق، ثم بعنف، ثم قوموا من المجلس أو اقطعوا المجلس بالذكر، مما اجتمع قوم في مجلس له يذكروا الله فيه إلا تفرقوا عن أئمة من جيفة حمار^(٢)

وصية

[في حفظ حقوق الجيران]

عليكم إخواني بحفظ حقوق الجيران وإن كانوا مسيئين، وإلا فتمسككم تعهم بالطبع إن كانوا ذوي أخلاق حسنة، وكان ﷺ يقول كثيراً «والله لا يؤمن بالله من لم يأمن جاره بوائقه»، قالوا: يا رسول الله وما بوائقه؟ قال «شره»^(٣)

وجاء رجل إلى مولانا رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله، متى أكون محسناً، ومتى أكون مسيئاً؟ فقال ﷺ «إذا قال جيرانك إنك محسن فأنت محسن، وإذا قال جيرانك إنك مسيء فأنت مسيء»^(٤)

(١) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم في كتاب الإيمان (٤٥)، من حديث أنس رضي الله عنه
(٢) كما ورد ذلك في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد (٩٠٥٢)، وأبو داود (٤٨٥٥)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤٠٨)، وابن حبان (٥٩٠)، والحاكم (١: ٤٩١-٤٩٢)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٣) أخرجه البخاري (٦٠١٦)، ومسلم في كتاب الإيمان (٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٤) روى ابن ماجه (٤٢٢٢) بلفظ «أحسن، وأساءت»، بدل «محسن، ومسيء»، والبيهقي في السنن الكبير (١٢٥/١٠)، من حديث كلثوم الخزاعي وهو مرسل، لأن كلثوما لا تصح له صحبة

وحاء رجلٌ آخر إلى مولانا رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله، إني برئت
محنة بني فلان، وإن أشدَّهم لي أذى أقربهم إليَّ جواراً. فَبَتَّ رسول الله أبا
بكر وعمرَ وعلياً بأثون المسجد فيقومون على بابهِ فيصيحون: «ألا إن أربعم
داراً جار، ولا يدخل الجنة من خاف جارَه بوائقه»^(١)

وحفظوا إخواني وصية جدكم الكريم صلى الله عليه وأحسنوا إلى جيرانكم
ما لم يكونوا شرفاء من آل بيت النبوة، وإلا تأكدت ميراثهم ومودَّتهم، وما لم
يكونوا متقين عاملين بعلمهم، أصحاب خشية، وشجاء، ووقار، وصبر، وعلم
وتوكل، ورعد، ويقين، ومحبة، ورضى، وخوف، ورجاء، وغير هذا من
مقامات الكمال، فتأكد محبتهم بحسب كل صفة من هذه الصفات.

لأن الدواب ما أُجِثَّت من حيث هي، فإنها ترابٌ وماءٌ وهواء، وبما أُجِثَّت
بالسبة لما جمعت من الكمالات والمضائل والأحلاق، بدليل أن الدابَّ تنقل
وتصيرُ تراباً ولا تراب محبةٌ صاحبها في القلب مغروسة في صلب المزداد ولا
تنزل. والله المعين.

وصية

[في زيارة الإخوان والأحباء]

عليكم إخواني بزيارة الإخوان والأحباء، فإنها يردُّ صاحبها عبداً وأدباً
ووقراً وعقلاً من المرور، لأن الناس متفاوتون في العسل والذكاء والبهمة
والأخلاق والشيء

وفي الحديث: «من عاد مريضاً أو زار أخاً له في قرية ناداه مناد أن طيب
وطيب مشاك، وطابت لك الجنة، وإلا قال الله في ملكوت عرشه. عبيدي رر»

(١) رواه الطبراني في المعجم (٧٣: ١٩)، وقال الهيثمي في «المجمع»: «وهو يوسف بن
السمر، وهو مشرك»

في، وعليّ قراءة، فلم يَرَضَ له بثوابِ دون الجنة^(١)

وفي الحديث الشريف «من رازَ أحياءَ المسلمِ شيعة سيعود ألفَ منكٍ يصلُّون عليه / ٥/ يقولون اللهم كما وَصَلَهُ بِكَ فَصَلِّه»^(٢)

ولا شك - إخواني - أن دعاءَ الملائكة مستجاب، فاعتموا هذه الفرصة، وصلوا إخوانكم، وتفقدوا من عاب عن جمعكم السعيد الشريف في وقت تلاوة لورد الشريف الذي قاربه المداوم عليه لا يموت إلا على أكمل الحالات

ومن وجدتموه مهموماً بغمِّ الرزق فغَطِّمُوا بِقَبْته في مولا، والحقُّ لم يكنْما بِصلاةٍ غِد، فلا تكلِّفه بِرِزْقٍ غِد، على أنه تعالى تكفل به قبلَ حنِّ الحلق ﴿وَمَا يَدَّبَّرُوا الْأُمُورَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ يَدْفَعُهَا﴾ [هود ٦]، ﴿وَلِيَّ السَّعَادَةِ زَكْرُ﴾ [الداريات ٢٢]،

أو متشاجراً مع فقيرٍ فالصلِّحْ حير، والشجاءُ ليست من وصفِ المسلمين، واصحوه برقي وحياتٍ وعطف، لما في الحديث «من أمرَ بمعروفٍ فليأمرْ بمعروف»^(٣)، ﴿وَلَوْ كُنْتَ - يَا مُحَمَّد - فَظًّا غَيِظَ الْقَلْبَ لَا تَفْضُرَ مِنْ حَرِّكَ قَاصِفٌ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران ١٥٩]

وكن مولانا رسولاً لك كثيراً ما يروى رجلاً مكعوف البصر بالمدينة ويجلس عليه^(٤).

(١) أخرجه الإمام أحمد (١١٢ ٢)، والبرار (٢٠٠٤)، وأبو يعلَى (٤١٢٦)، وانظر المنذري في «الترغيب» (٣٦٤:٣)، وقال: «رواه البرار وأبو يعلَى بإسناد جيد»، وكان المصنف جمع هنا بين حديثين

(٢) روى نحوه الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٩٥:٢) عن علي عليه السلام

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٦٠٣)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٦٢٤٢)، وهو ضعيف.

(٤) روى البرار (١٩٢٠)، والطبراني في «الكبير» (١٥٣٣) عن جُبَيْرِ بْنِ مُطَيْمٍ رضي الله عنه، وقال الهيثمي في «المجموع» (٣١٩ ٨) «ورجال البرار رجال الصحيح غير إبراهيم بن المنذر التروقي، وهو ثقة».

ولا مدّ - إخواني - فإنّ من لا أخ له كاليد الجذماء، وكالطير المفصوص
 الجناح، وربّ أخ لم قلده لك أمك، والله المستعان
 وكان مولانا رسول الله يتفقّد أصحابه، ويقول «لعلكم إخواني وجدتم مني
 أو من أصحابي شيئاً»، والله المعين

وصية

[في إفشاء السلام]

وعليكم - إخواني - بإفشاء السلام على من عرفتم وعلى من لم تعرفوا،
 وردّ الجواب، وخلقة الوجه، وطيب الكلام، والمصافحة

وفي الحديث الشريف: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمّوا، ولا تؤمّوا حتى
 تحاسوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»^(١)

وفي الحديث: «حرّم المسلم على المسلم ستاً» قيل: وما هنّ يا رسول
 الله؟ قال: «إذا لقيتَه سلّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحتك فانصَح
 له، وإذا عطسَ فحمّد الله فمُتّه، وإذا مرضَ فعُدّه، وإذا مات فأنّبه»^(٢)

وكانت الصحابة - رضي الله عنهم - إذا طلع الرجلُ عليهم من بعيد،
 يبادرونه بالسلام قبل أن يسلمَ عليهم، يتفنون بذلك الفضل

فتأثّروا - إخواني - بجذكم عليه السلام وخُلاقه، تحوروا الشرف الديوي
 والأحروي، فإنّا طلبنا المرءَ في غير طاعة الله فلم نجدّه، وطلبنا الدلّ في غير

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٣٩٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وهو النهي
 في «المجموع» (٦٤.٨): «وفي عطاء بن مسلم، وهو ثقة، وفيه ضعف، وفيه رجاله ثقات»

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٨٨٤٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٢٥)، ومسلم (٢١٦٢)،
 وأبو يعلى (٦٥٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

معصية الله فلم نجده، وليس لأحد عزٌ إلا من اقتضى الأثار المحمدية، والسبب السببة، من التواضع والانحطاط، وعللة العصر التراخي على العصر الهوائي أو الساري

ولأشياء كامة في أصدادها، من تواضع رغبة الله، ومن تكبر وصحة، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُبَدِّلُوا دِينَهُمْ وَلَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [النقص ٨٣]

وكان ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْغِي الْمُعْبِينَ فِي وَجْهِهِ إِحْوَانَهُ»^(١)
 فنشرحوا صدرًا مع إخوانكم، ولا تلقوهم إلا بشاشة، ولا تقولوا إلا حقًا، فكان جدكم يبايט أصحابه ولا يقول إلا حقًا

وصية [في المصافحة]

وفي الحديث: «إِذَا تَقَرَّبَ الْمُسْلِمَانِ وَتَصَافَحَا، وَحَمِدَا اللَّهَ، وَاسْتَعْمَرَا، وَصَحَّحَا كُلَّ وَاحِدٍ مَهُمَا فِي وَجْهِ صَاحِبِهِ، لَا يَفْعَلَانِ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ لَمْ يَفْتَرَا حَتَّى يُعْتَمَرَ لِهَٰمَا»^(٢)

وقال سيدنا أبو هريرة: لقي - مولانا - رسول الله ﷺ حديثه من اليمان فأرد أن يصافحه، فنحن / ٦ / حديثه، فقال: «إِنِّي جُئْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا صَافَحَ أَحَدًا تَعَانَثَ حَطَايَاهُ كَمَا يَتَعَانَثُ وَرَقُّ الشَّجَرَةِ»^(٣)، فإذا نساء لا

(١) رواه الديلمي في «المعجم» (٥٥٨) عن علي بن عبد السلام

(٢) رواه أبو داود (٥١٦٩)، والبيهقي في «الكبرى» (٧ ٩٩) بطون زيادة الضحك

(٣) رواه البراء (٢٠٠٥)، وقال الذهبي في «مجمع الزوائد» (٧٦: ٨): «وفيه مصحح بن ثابت، وثقة ابن حبان وضعفه الجمهور»

أَنزَلَ اللهُ بِهِمَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ لِأَشْرِهِمَا وَأُطْفِقَهُمَا وَأُبْرَهَمَا وَأَحْسِبُهُمَا
مَسْأَلَةً بَاقِيَةً^(١)

وفي الحديث «نصافحوا يذهب اليل، وتهادؤا تعابوا وتذهب الشحناء»^(٢)
فَعَوَّ - إخواني - هذه الحصيفة العظمى، التي ذكرها مولانا رسول الله
لنصافحة، وهي أنها تُدِيبُ اليل من القلب، فأعظم بها من مربية ومفيدة
وهذا تروايق جزباء لذهاب اليل والشحناء فيمن كانت بينهما مشاحنة
ومشاحرة، فوجدناه نافعاً، جرى الله عما سيدنا محمداً ﷺ وعلى آله ما هو
أهلُّه

وقد دار اشارة مع كل أحد بحسب ما تعطيه قابليته، فقال «تيسم أحدكم
في وجه أخيه صدقة»^(٣)، وكثيراً ما كان يقول «انقوا النار ولو بشق تمره»، فمن
لم يجد، فبكلمة طيبة»^(٤)

وصية

[في ترك الجلوس في الطرقات]

يَا كُفْرًا إخواني وكثرة الجلوس في الطرقات، إلا لضرورات شرعية، وفي
أثناء تلك الضرورة أعطوا الطريق حقها

-
- (١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٧١٧٢)، قال الهيثمي في «المجمع» (٧٦ ٨) «وفيه الحسن
ابن كثير بن هدي، ولم أعرفه، وبقي رجاله رجال الصحيح»
(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١٧٥٠)
(٣) يُلَظُّ «تيسمك في وجه أخيك صدقة»، رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٨٩١)، والترمذي
(١٩٥٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال «هذا حديث حسن غريب»
(٤) أخرجه البخاري (٦٥٦٣) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه

وفي الحديث «إياكم والجلوس في الطرقات» فقالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بُدٌّ، نتحدث فيها فقال: «إن أيتم إلا الجلوس فأعطوا الطريق حقه»، قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال

- غصن البصر،

- وكف الأذى،

- ورد السلام،

- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

- وإرشاد الضالة عن الطريق،

- وإزالة الملهوف،

- وحسن الكلام^(١).

هذه شروط ثمانية لمن أراد الجلوس في الطريق.

فحافظوا - إخواني - عليها كما أمركم بكم، ﴿وَمَا أَلَنَّا لَكُمُ الرَّسُولَ فَحُذُّوهٗ وَمَا مَنَعُكُمْ عَنْ تِلْكَ أَعْيُنُكُمْ وَأَلْفُوا لَهُٗ﴾ (الحشر ٧)

وفي الحديث: «مثلُ المؤمن في تواضعه وتواضعهم وتعاظمهم، مثلُ الجسد، إن اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحمى»^(٢).

وفي الحديث: «رأسُ العقل بعدُ الإيمان بالله - التوحد إلى الناس، واصطاع الخير إلى كل برٍّ وفاجر»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٩) باختلاف يسير ليس فيه ... والنهي عن المنكر، ومسلم (٢١٢١).

(٢) رواه البخاري (١١٠٨)، ومسلم (٢٠: ٨) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط» (٦٠٧٠)، والبرق (١٩٤٥) عن حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فيعامل العاقل عَيْدَ الله بما يحبُّ أن يعاملوه به، لا غير، ولذلك كان من شعب الإيمان «أن تحبَّ لأخيك ما تحبُّ لنفسك»^(١)، وفي ضمنه أن من شعب الكفر أن تحبَّ لأخيك ما لا تحبُّ لنفسك.

* لطيفة :

وأما لو أحببت لنفسك ما لا تحبُّ لأخيك من حيث تحبُّ الأذى عنه، عندما منك أنه لا يقدر على تحمُّل ذلك، فهو من الأخلاق الشريفة التي لا يقدر عليها إلا أرباب الصفا

كأن علمت زوجة سبَّه الأخلاق شريفة، وعلمت أن أخاً يحبُّها، فحطبتا أنت على حطته تحقناً منك بنفسك أنك تقدر على تحمُّل أذاها، وكفَّ أذكعها، ولاخ لا يقدر على حمل أذاها، ولا يكفُّ عنها أذاها، فيمكننا في وادي لشاجر، فأحبَّ لنفسه ما لا يُحبُّ لغيره

وكذلك لو علم دابة صمبة، أو رقاً لا يأتي بخير، فاشتراه لترتاض به نفسه من حيث دُلها ودوقانها الكباب والفبائع، ترتاض للحلم، والصمغ، وكظم انقبض، وعدم مقابلة السيئة بالسيئة، ولكن بالعفو، وبالحصيلة التي هي أحسن

ولكل مقام رجال، فإياك والاعتراض / / على من سمعته يقول وأحبُّ لنفسي ما لا أحبه لغيري، فربما يكون قصده ما طرقت سمعك، ويفوتك هذا العلم لو أنكرت عليه بمجرد سماعك منه، بخلاف ما لو استعسرت قصده، فاعلم هذا

(١) رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٧١) يلفظ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»، من حديث أنس رضي الله عنه.

ويُتصور هذا الخلق أيضاً فيمن علم من نفسه النصيحة، ونُصِغَ الرحمة بمسلمين، وحلوص السياسة لهم فيما يقطع سبيلهم عن الله، ولا يكتفم عنهم شيئاً من أمور تسليكمهم، ومع هذا رأى من لم يظهر بهذه الرتبة يدعو الناس لنفسه ويدعي المشيخة وليس من أهلها فيبحث على الأول أن يرجزه عن حيلته والذهاب إليه، بل ربما لم تكن في الذهاب إليه أخلاق سيئة، وتثور عليه وتسري إليه من محالطته ومشاهدته سيرته في المأكل والمشرب، والملبس والحركات والسكنات، وكيفية الكلام، وكيفية المشي، وما يرجع لأمر برياسة، والسحوة الضرورية، ورائحة الدعوى، وتنقبض العبر، وعدم نُصُوح النصيحة بأن لا يدلهم على رأس المهالك فيقطعوا شجرتها، وبانقطاعها تنقطع عصوتها من الصعائر والخطرات والأعمال المشوبة بما يحطها عن درجة الاعتبار.

فهذا ذأبُ الناصحين - رضي الله عنهم - العارفين بغوائل الطريق ومعدورها، ومهالكها ودسائسها القاطمة لأصحابها عن نيل العرات الشية

والغيرُ الناصح يَمِصُّون الناس، فيدلوهم على قلع كل عُصي على حِدَّتِهِ، فتطول عليهم المسافات، وربما لا يفي عمرهم بقطع أعصاب، فكيف بشجرة من جثتها؟ فكيف بشجرات؟!

والعارفون الوَرثةُ يدلُّون أصحابهم على أصل القواطع الذي بانقطعه تنقطع شُعَبُ الشجرة من أصلها، ثم شجرة أخرى، وهلمَّ جراً إلى أن تنقطع الأمهات، فتسهل عليهم الطريق.

وهذا العالِبُ لا يلقى ولا يقدر عليه إلا أهلُ الاحتباء، وأما أربابُ الإبانة فلا يقدرُون على شيء من هذا، ولا يدلُّون عليه لأنهم إنما يدلُّون الناس على ما دُلُّوا عليه، ويترحمُ الله العارفَ حيثُ قال «من دُلَّك على العمل فقد أُنْعِمْتَ»، والسلام.

وصية

[في ترك الجدال]

ويياكم - إخواني - والجدال والمحاصمة في الحق، فأحرى في الباطل، لما يؤدي لتشتت في الجَمْع وذهاب ريجه، ويؤدي لامتلاء القلب بالعين والحمد والحمد، والتقاطع والتدابير، وكل هذه من أعظم القواطع عن الله، فما أدى إلى المحذور محذور، فأحرى إلى محذورات

وعن محمد بن كعب بن سليم بن أسد القُرظي قال قال - مولانا - رسول الله ﷺ «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ هَذَا الْبَابِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فدحل هبُّ الله بن سلام، فقام إليه ماسٌّ من أصحاب رسول الله فأخبروه بذلك وقالوا أخبرنا عن أوثق عمل في نفسك ترجوه، فقال «إني ضعيف، وإن أوثق ما أرجو به سلامة الصدر، وترك ما لا يعني» رواه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلًا^(١)

فافهموا - إخواني - أن ليس المراد / ٨ / كثرة العبادة والمجاهدة مع حُبِّ لعوية والسريرة، لا، لا، فلا يُعتد بعمل شائنة كثرة الدنائس وخاطئته، وقيلُ العمل مع طهارة القلب وصفاء السرائر يُجدي ما لا يجديه كثرة العمل وتدبُّس الباطن، كما في هذا الحديث، فعبه بشارتان عظيمتان:

الأولى ما أومأنا إليه، و[هو] أنَّ قليلَ العمل يكفي مع صفاء القلب والعقل والنفس والروح والمجاهدة والمراغبة، وكم من صحابي كان كثيرَ المجاهدة وربما في تلك اللحظة لم يثر على هذه الرتبة، ففانهم سيدنا هبُّ الله بن سلام بهذين التعتين الحفيين، الثقيلين عند الله، وهما ترك ما لا يعني، وهذا يرجع للسان، وسلامة الصدر، وهذا يرجع للقلب وهو معنى ما قدمناه «المؤمن بأصفره: قلبه ولسانه»^(٢)

(١) ابن أبي الدنيا في «المصنف» (١١١).

(٢) لم أجده فيما مضى

الثانية: زيادة شفقتة ﷺ إلى أن تلطفَ حتى أحبرَ بهذا المعنى في صورة تهيج قلوبهم لانتهاز هذه الفرصة، وهو أبلغُ في الحصصِ علىَ لفعل كما لا يحصى علىَ الماهرين في علم السياسة

وفي الحديث: «من ترك الجِراءَ - أي الجدالَ - وهو مُجْحَقٌ بُني له بيتٌ في أعلى الجنة، ومن ترك الجِراءَ وهو مِبْطِلٌ بُني له بيتٌ في رتبِ الجنة» أخرجه ابنُ أبي الدنيا عن هارون بن معروف^(١)

وفي الحديث: «ما ضلُّ قومٌ بعدَ هدىٍ إلا أوتوا الجدالَ»، روه الترمذي من حديث أبي أمامة^(٢)

عليه إخباران

الأول: من رأبنا كثيرَ الجدالِ، ولا يثبتُ علىَ نحوٍ واحدٍ، بل علىَ أوجهٍ، ويكثرُ من ملاحاة الناس، فعلمُ أن الإمداداتِ الإلهيةَ كانت متدفقةً عليه، ثم لما لم يَقمُ بواجباتِ حقوقها ضَلَّتْ عنه، وأثرُ السُّلبِ من حاله النوراني هو ندي طهرٌ في حواشيه حتى أظهرَ ما أبا بأن باطنه حراثٌ من المعرفة الإلهية، والآن لا قَلٌّ من الجدالِ بسبب كثرة وجوه علمه التي تكسوها المساوي فتصير محاسن.

ولما لم يظهر هذا الرُّسُخ^(٣) إلا لمن علمنا أنه رُدُّ أسفلَ سافلين، فلم يَبْقَ في أحسن تقويم، ويا ما أعرفه ﷺ بطرق الرقائق والحقائق والمراكر والمعارف

(١) أخرجه بالفاظ متعددة الطيالسي (٢٢٩٢)، والحميدي (٥٨١)، والإمام أحمد (٢ ١٦٢)، (٢٠٣)، والبلخي (٢٤٥)، والبخاري (٣٦: ١) و(١٢٣: ٩)، ومسلم (٦٠٠٨)، والترمذي (٢٦٥٢)، وابن حبان (٤٥٧١)

(٢) الترمذي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (٤٨)، وأحمد (٥ ٢٥٢، ٢٥٦)، وقال الحاكم (٢ ٤٤٧) «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي. قلت: ولعله: «بعد هدى كانوا عليه»

(٣) لديها تصحفت عن: التوسف

صلى الله عليه ولا تكون ما غيبة، لأنه أخير بها من لا ينطق عن الهوى، وأنها فيه، فوَصَفَتْ بها تصديقاً لمن أخير بها

الثاني: أنَّها المصطفى صلى الله عليه على قلوبٍ كبيرٍ يُحتاج إليه كثيراً، ولا يُعَدَّر على الإباحة به خوفاً من العيبة والكذب، ولما أخبر به ﷺ صرَّ يستدلُّ بالقرائن على أحوال الإنسان، كمن رأياه يذكرُ الله حتى كأنه مجنون، وأنكرَ مكرَّ عليه، فنقول لذلك المنكر إنه صادق، بشهادة الصادق المصدوق بقوله «ادكروا الله حتى يقول الماعفون إنكم مجابرون»^(١)، فأحرز عن لمكر عليهم أنه صادق، فكفانا مؤنته، فلا يهمنا قوله

وكما أخير عن يشهد المساجد / ٩ / بأنه مؤمنٌ بقوله «إذا رأيتم الرجل يعتاد لمساجد فشهدوا له بالإيمان»^(٢)، فربما يكون إخبارنا عن شيء محمود أو مذموم غيبة أو كذباً، فبئها الطبیب الأكبر على الاستدلال بقرائن الأحوال على ما أكره في صدور الرجال، ولأجل هذا وردَّ الانتفاء من دراسة المؤمن، «فإنه ينظر بنور الله»^(٣)، فيه حظ لمن يفعل العمليات الحسية والمعنوية أن يتقن اطلاع المؤمن على قلبه لئلا يُفْتَضَحَ بينهم

فما أعرفه صلى الله عليه بالله! حيث مهد الطريقين لكل من المطمع والمطعم عليه، فاعلمتم هذا فإنه دقيق

(١) رواه الإمام أحمد (٦٩، ٧١)، وأبو يعلى (١٣٧٦)، وابن حبان (٨١٧)، والطبراني في الكبير (١٣٧٨٦)، قال الهيثمي في «المجمع» (١٦٧٦١)، فرعه دراج، وقد ضمنه جماعة، ووثقه خير واحد، ومثله رجال أحد إسنادي أحمد ثقات

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٦٨: ٣، ٧٦)، وعبد بن حميد (٩٢٣)، والدارمي (١٢٢٦)، والترمذي (٢٦١٧) و(٣٠٩٣)، وابن حبان (٨٠٢)

(٣) «نقرا دراسة المؤمن بأنه ينظر بنور الله»، رواه الطبراني في الكبير (٧١٩٧)، وأورده «قطامي في معتمد الشهادة» (٦١٣)، وقال المحافظ الهيثمي في «مجمع الروائد» (٤٧٣: ١٠): «وإسناده حسن»

وفي الحديث «سِتُّ مَنْ كُنَّ فِيهِ بَلَغَ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ الصَّبْرُ فِي لَصِيفٍ، وَصِرْتُ أَعْدَاءَ اللَّهِ بِالسِّيفِ، وَالتَّعَجُّيلُ فِي الصَّلَاةِ يَوْمَ الدُّجَنِ - أَيِ الْعَيْمِ وَالْمَطَرِ الْكَثِيرِ - وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَعْصِيَاتِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَتَرْكُ الْمَرْءِ وَهُوَ صَادِقٌ». رواه الديلمي^(١)

وفي هذا الحديث أنَّ من ترك الجدال وهو فيه صادق مُجْتَنِّ عِيْرٍ مَصْرِ فَقَدْ أَقَامَ رُكْناً مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، فَإِنَّهُ ~~يَجْعَلُهَا~~ جَعَلَهَا هَا هُنَا مَسْبَةً عَلَى سِتِّ حَصَلٍ، لَمَنْ اسْتَكْمَلَ هَذِهِ السِتَّ خَصَالٍ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ

ومفهومه أن من لم يترك الجدال وهو صادق فيه لو جادل، فقد حرم دعيمة من دعائم الإيمان، وأحرى لو لم يترك الجدال في الباطل

فأقيموا إخواني دعائم إيمانكم بترك الجدال وما معه، خصوصاً الصبر عند الصدمة الأولى، وإسباغ الوضوء وحسنة في أيام الشتاء، أو الوضوء بالماء البارد وعدم تسخينه، فهو من إقامة دعيمة أخرى

وقال بلال بن سعد بن نعيم الأشعري «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ لَحُوجاً مُعَارِباً مَعْجَباً بِرَأْيِهِ فَقَدْ تَمَّتْ خَسَارَتُهُ» أخرجه أبو نعيم في «الحلية»^(٢)

وقال سفيان الثوري: «لَوْ حَالَمْتُ أَحِي فِي رُمَانَةٍ فَقَالَ: هِيَ حُلُوءَةٌ، وَقُلْتُ حَامِصَةٌ، لَسَمِعْتُ يِي إِلَى السُّلْطَانِ»^(٣) اهـ وتنبأ لهذه الأخوة ومن يرمى بها، ونسبها بالأخوة كذب، بل تسميتها بالمُعَاشِرَة أيضاً كذلك

(١) أورده الديلمي في «فردوس الأخبار» (٢٣٠:٢) بلفظ «سِتُّ خَصَالٍ مِنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُؤْتِياً بِسَبْعِ الْوُضُوءِ، وَمُبَادَرَةِ الصَّلَاةِ فِي يَوْمِ دُجْنٍ، وَكَثْرَةِ الصَّوْمِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، وَقَتْلِ الْأَعْدَاءِ بِالسِّيفِ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، وَتَرْكُ الْمَرْءِ وَإِنْ كُنْتَ مُحَقَّاقاً»

(٢) «الحلية» لأبي نعيم الأصبهاني (٢٦٠:٥)

(٣) أخرجه أبو نعيم أيضاً في «الحلية» (٨:٧)، ولكن: «لَمَخِثْتُ أَنْ يَشِيطَ بَدَمِي»

* سانحة :

والأخ هو أنت إلا أنه غيرك بالشخص، وإذا كنتم بهذه المثابة فمن أين
يهرأ عليكم التعاقب والتشاجر والمشاحنة؟!، فيكون رأيك رأيته، ورأيه رأيك،
ومرادك مراده، ومراده مرادك، فلا تنازع أصلاً
ومن ادعى وصول هذه الرتبة فله علامات

أعظمها: أن أحياه مهماً احتاجه إلا ويحده ممثلاً بين يديه قل أن يدايه،
ومهما أراد أن يدايه بأمر إلا ويحد الآخر مُصغياً له يترقب ما يسمع منه كأنه
علمه لتوطئ قلوبهما، فكيف لو أمرته مراراً بشيء لحالفك مراراً بقدر ما احدث
عليه من المأمورات؟! فهذا تلاعب ليس عليه إثارة من آثار الأثرة في الله
التي كان عليها سادات الناس الصحابة الكرام، رضي الله عنهم وعما بهم
ومنها: اكتناء أحدهما بالأكل من الآخر

ومنها: أن لا يرى أحدهما جفاء / ١٠ / من الآخر، وإن كان ولا بد فيقبل
بالمعروف والصحيح

ومنها أن يقع الإيثار بينهما في المأكل والمشرب والملبس، والإعطاء والإعطاء،
والكلام والتعذر في المجالس الشبية، وسية المضائل منهما لأحدهما

ومنها أن يسي أحدهما بأحدهما غبطة الشدائد، وألم الوائب، وطعنه
الدهر، بحيث جميع الميحن يشاهدنها من اليئس، والأتراح يراها أفراحاً بسبب
قرب أحدهما من الآخر.

هذا إذا كان معديين، وأما إذا كانا معتمدين، أو كان أحدهما يسمى في صلاح
الآخر ومراده، والآخر منه منقبض الأعطاف، ضيق الأكاف، كأنه بين فكيف أسد
يُمنع، فالفرقة أولى من صحة دان ونا، ومقبل ومدبر، وواصل ومنعزل

ولو كان للإنسان سُكَّة من العقل لعلم أن الكريم ربما أعف وبين يديه
بر نعصا، ولعلم أن احتمال الكلف يُبيل الرُلف، ولعلم أن التعطية نطل

جاح الأصدقاء والأصفياء - ولو مع اليأس - أعلن من الحلويس على الأسرة لا معهم

وَلَقَلِمَ مَا قِيلَ لَأَنَّ يَطْرَحَكَ أَهْلُ الْحَيْرِ فِي الْمَاحِيرِ، حَيْرٌ مَنْ أَنْ يَصْذُرَكَ أَهْلُ الْمَوَاحِيرِ، جَمْعُ مَاخُورٍ: أَيُّ: أَهْلُ الرَّبِّيةِ

وَلَقَلِمَ أَنْ يَطْرَحَ عَلَى الْإِعْتَابِ، وَمَمَرُ الْعَمَالِ، هُوَ زُبْدَةُ الْفَهْمِ لِمَا فِيهِ مِنْ لِقَاءِ الْأَصْدِقَاءِ

وَأَيُّ، أَيُّ، آه - قَدْ ارْتَمَعَتِ الْأَمَانَةُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ، فَكَذَبْتُ أَنْ لَا تَجِدَ مَنْ لَا يَرَى جَفَوَتَكَ، وَلَا مِنْ يَسُدُّ خَلَّتَكَ، وَلَا مِنْ يُوَارِي عَوْرَتَكَ، وَلَا يُعْصِي عَنْ رَأْيِكَ، وَلَا مَنْ يَسْتَرْ مَا أَوْدَعْتَهُ، وَلَا مِنْ تَبِيعُهُ وَلَا يَبِيعُكَ، وَنَعَضِي عَنْهُ وَلَا يَعْصِي عَنْكَ، وَتَنَازَى مِنْهُ وَيَدْبُو مِنْكَ، اللَّهُمَّ أَجْزِئِي فِي مَعْصِيَتِي، وَاعْقُبْنِي حَيْرًا مِنْهَا

فَتَجِدُ الْيَوْمَ نَاقِلُ مَعَ الْخَلْقِ إِرْدِيَانِ مِنَ الطَّعَامِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَبِيعُكَ بِأَدْنَى ثَمَرٍ يَنْشِي وَيَرْهَدُ فِيكَ، وَلَيْسَ هَذَا بِغَرِيبٍ، وَلَكِنَّهُمْ فِي الْأَدَبِ عَرَبٌ، لَا يَدُوقُونَ لَهُ ذُرَاقًا، فَأَهْلُ الدِّعَاءِ هُمْ أَهْلُ الشَّعَاءِ.

وَلَا تَجِدُ إِلَّا مَنْ يَسْبُحُ لَكَ مِنْهُ أَمُورٌ لَمْ تَكُنْ تَتَوَقَّعُهَا، وَتَبْدِي لَكَ حَزَنُهُ نَاجِدُهَا، فَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى هَذَا الْوَقْتِ وَأَهْلُهُ

وَقَالَ سَفِيَانُ: «صَابَ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَحْضَسَهُ بِالْمِرَاءِ، فَلَيَزِيْمَتُكَ بِدَاهِيَةٍ تَمْسُكُ لَقَيْشَ». أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيقَةِ»، وَصَدَقَ وَاللهُ

* قَتِيبُهُ.

وَأَعْلَمَ - أَحْيَ - أَنْكَ رُبَّمَا تَتَحَدَّثُ بِمُكِّ - حَدُّ الْمِرَاءِ مَا هُوَ؟

مَقُولٌ كُلُّ اعْتِرَاضٍ فِي كَلَامِ الْحَمِيرِ يَظْهَرُ قَالٍ فِيهِ وَرَكَاكَةٌ وَنَقْصٌ، إِمَّا فِي اللَّفْظِ الْمَشُوقِ، وَإِمَّا فِي الْمَعْنَى الْمَفْهُومِ مِنْ ذَلِكَ اللَّفْظِ، وَإِمَّا فِي قَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ فَيَقُولُ اللَّفْظَ وَالْمَعْنَى صَحِيحَانِ، وَلَكِنْ قَصْدُكَ غَيْرُ صَحِيحٍ

وترك الجراء شرك الإنكار والاعتراض، فكل كلام سمعته فإن كان حقاً
فصدّق به، وإن كان باطلاً وكذباً ولم يكن متعلقاً بأمور الدين فامسك لسانك
عنه، ولا تحضّ فيه

واعلم في كلام العير قارة يكون في لفظه، بإظهار حَلَلٍ فيه، من جهة الحق
بأن يكون التركيب محالاً لأقوال المصحاء، أو من جهة اللغة بأن يكون / ١١ /
اللفظ المُسَوِّق غير مستعمل عند أهلها لا من جهة العربية، أو من جهة لفظ
والترتيب بسوء تقديم أو تأخير، وذلك قارة يكون من قصور المعرفة، ونارة
يكون بطعiban اللسان، ونارة بطعiban القلم، وكبما كان فلا وجه لإظهار حده

وأما في العمى: فإن يقول: ليس كما تقول، وقد أخطأت فيه من وجه
كذا وكذا

وإن في قصده، ممثلاً أن يقول هذا الكلام حق ولكن ليس في قصدك منه
الحق، إنما أنت فيه صاحب غرض، وما يجري مجراه مع المتناظرين وهذا
الجس إن جرى في مسألة علمية، ربما حُصِرَ باسم الجدل، وهو أيضاً مدموم،
بل الواجب السكوت، أو السؤال في معرض الاستفادة لا على صفة العناد
والكارة، أو التنطف في التعريض لا في معرض الطعن.

وأما المجادلة فعبارة عن قصد إفحام العير، وإسكاته، وتعميره، ونقيضه،
بقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه.

وأية ذلك أن يكون نبيه من جهة أخرى مكروهاً عند المجادل، بحيث
يكون هو المُتَظَهِّرُ له خطأه ليبين به فصل نفسه ونقص صاحبه، ولا حاجة من هذا
إلا بالسكوت عن كل ما لا ياتم به لو سكوت عنه

وأما الباعث على هذا فهو الترفع بإظهار العلم والفضل لنفسه، والتهجم
على العير بإظهار نقصه، وهما شهوتان باطتان للنفس قويتان لها

وصية

[في ترك الخصومة]

ومن هذا المعنى أيضاً الخصومة، وهي مدمومة، وهو لجأ في الكلام يستوجب به مال أو حق مقصود، وذلك يكون تارة ابتداءً، وتارة يكون اعتراضاً

والبراء لا يكون إلا باعتراف على كلام سبق، وقد قالت مولانا هاشمة رضي الله عنها قال - مولانا - رسول الله ﷺ «إن أعض الرجل إلى الله: الألف الحميم». رواه البخاري ومسلم^(١)

وقد سيدها أبو هريرة قال - مولانا - رسول الله ﷺ «من جادل في خصومة من غير علم لم يزل في سخط الله حتى يسرع» رواه الأصفهاني في «الترغيب والترهيب»^(٢)

وهي قوله: «من جادل في خصومة من غير علم» إشارة إلى من كان له حق على آخر ولا يذ له من الخصومة في طلبه منه أو في حفظه عنده مهما ظلمه ظالم، فكيف يكون حكمه فعلة ليس بحرام شرعاً

فالمظلوم الذي ينصر حخته بطريق الشرع من غير تزبد ولا إسراف وعُلُوّ وريادة لجأ على قدر الحاجة، ومن غير قصد عباد وبيد وبكاية لأبيه المسلم فعلة ليس بمحظور، ولكن الأولى والأليق تركه ما وجد إليه سبيلاً

فإن ضغط اللسان في الخصومة من غير تفريط ولا إفراط متعلد، والخصومة تُوعر الصدر، وتُهيج العصب، وإذا حاج العصب عطى على عقله،

(١) البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨)

(٢) وكذلك أخرجه أبو داود (٢٥٩٧)، والحاكم (٢٧ ٢)، والبيهقي في «السنن الكبير» (٦ ٨٢)

وُسي المتنازعُ فيه، ويقفُ المحقُّ بين المتخاصمين حتى يفرح كلُّ واحدٍ بمساءة صاحبه، ويحرِّقَ بمسرتِهِ، ويطلقَ اللسانَ في عرضه

فمن بدأ بالخصومة فقد تعرَّضَ لهذه المحدورات /١٢/، وأقلُّ ما فيه تشويشٌ خاطره، حتى إنه في صلاته يشتغلُ بِمُحاجةِ خصمه، فلا يبقى الأمرُ على حدِّ الواجب

والخصومةُ مبدأ كلِّ شرٍّ، وكذا المراء والجدال، فينبغي أن لا يُفتحَ بابُه إلا لدعية، وعندها ينبغي أن يحفظَ اللسانَ والقلبُ عن مدِّماتِ الخصومة، وذاتِ متعذُّرٍ جداً، فمن اقتصر على الواجب في خصومة، فسليم من الإثم ولا يدمرُ خصومته، إلا أنه لما كان مستعياً عنها صار تاركاً للأولى، ولا يكون آنماً لاقتصاره على الواجب

نعم أقلُّ ما يموتُه في الخصومة والمراء والجدال طيُّتُ الكلام وليُّه، وما وردَ فيه

وصية

[في ترك الغيبة]

واعلموا - إخواني - أن الإنسانَ مركَّبٌ من جوهرين لطيفٍ وكثيفٍ

أما اللطيفُ: فهو الجوهر الروحاني المتدفقُ من عالمِ الأمر.

وأما الكثيفُ فهو الجوهر الجسدي المشكَّو من العناصر الأربع: الماء والبار، والهواء، والتراب

ثم إن كلَّ عنصرٍ يميلُ لوطنه الأصلي

أما الروحُ فلا تميلُ إلا لمقتضياتِ عالمِها من التوراتيات، من الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقات، والذكر والتفكير، وتلاوة القرآن، والصلاة على النبي ﷺ

وأما الجسد فلا يميل إلا لمقتضيات عالجه من الطلعايات من لشط عن الله بالتكاسل عن أداء المأمورات من عدم الصلاة وعدم الصدقة، وعدم الأخلاق الحسنة، وعدم الوفاء بالعهد، وعدم الحياء، وعدم الشجاء، وغير هذا

فلما تستولي الروحانية على السجية لا يعمل الإنسان إلا مقتضى القُرْبَت التي تفرقه من مولاه، وإذا استولت السجية على الروحانية انحرف الإنسان في سبيلك الغير الهادين، فظهرت منه المحالعات.

واعلموا - إخواني - أن كل من له همّة عالية فلا يرضى بأن يكون من المُبْعِدِينَ، وإنما يرضى أن يكون من المقرّبين، وإن أردتم ذلك فاسمعوا ما يُلَىٰ عليكم

احفظوا - إخواني - جوارحكم من كث لساب عن البية ولسيمة وشهادة الرور، والبهتان والكذب وقول المعش، والبلطة والعطاة، و[احفظوا على] اضدادها من النفس عن مساوىء الناس، والإصلاح بينهم، وشهادة الحق، وعدم البهتان، والصدق، والأخلاق الحسنة من حيث عدم الانتصار للنفس، وعدم الذت عها، وكثرة الذكر وتلاوة القرآن، والثناء على الله، والصلاة على سبه ﷺ

وكث السمع عن سماع ما لا يجبل له، كسماع الممّيات، وسماع صوت / ١٣ / النساء غير المتجالات^(١)، وسماع الخوص في الباطل، وسماع شتم أهل الله، وإدائتهم، والإقرار على ذلك، مما هو أبلى لكل شر ديني وديوي، هي النفس والأهل والأموال، قال تعالى ﴿ وَقَدْ مَرَّ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ إِنَّكُمْ إِذَا يَنْشَأُ لَكُمْ السَّاءُ

[١٤٠]

(١) تجال: تعظم، «قاموس». فلعله من: «فلساء غير الكبيرات»، أي: الشابات

فانظروا - إخواني - كيف تشترك المستمعُ إن رضيَ بذلك مع القاتل لدلت
الكلام، وفي الحديث «المستمعُ أحدُ المعتائبين»، أي المستمع والمعتاب
شريكان في الإثم، رواه الطبراني من حديث سيدنا عبد الله بن سيدنا عمر^(١)

وقد رُوِيَ عن سيدنا أبي بكرٍ وسيدنا عمرَ رضيَ الله تعالى عنهما أن أحدهما
قد لصاحبه - إن غلاماً لزوم - أي كثيرُ اليوم - ثم طلبا آدمًا من مولانا رسول الله
ﷺ ليأكلاه مع الحبر، فقال ﷺ «قد اتدتما»، فقالا ما نعلمه! فقال «نبي
ما أكلتم من لحم صاحكما». رواه الحرائطي في «مساوىء الأخلاق»، وأبو
العباس الذُّعُولي في «الأدب» من رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى مرسلًا

فانظروا إخواني كيف جمعهما وكان القاتلُ أحدهما والآخرُ مستمعُ

وفي رواية: «أوليس قد ظللتم من اللحم شباعاً؟»، قالوا: من أين؟ فوالله
ما لنا باللحم عهدٌ مد أيام، فقال «من لحم صاحكم الذي ذكرتم»، قالوا يا
نبي الله إنا قلنا والله إنه لضعيفٌ ما يعيسا على شيء. قال «ذلك فلا
تقولوا»، فرجع إليهم الرجلُ فأخبرهم بالذي قال، قال: فجاء سيدنا أبو بكرٍ
فقال يا نبي الله طأ على صاحبي واستعمر لي، ففعل، وجاء سيدنا عمر فقال
يا نبي الله طأ على صاحبي واستعمر لي الله^(٢)

وهذا السياق دلٌّ على أنهما - رضيَ الله عنهما - كانا مستمعين، وأن
لمتكلّم بالكلام المذكور الذي أوجب هذا الرجوعَ عنهما، مدليل قولهما طأ
على صاحبي، فأشار به إلى أنه كان مستمعاً

(١) قال الخطيب المراقبي في «تحرير أخبار الأحياء» (١٤٣ ٢) «أخرجه الطبراني من حديث
ابن عمر - نهى رسول الله عن الاستماع إلى الميتة، وهو ضعيف»

(٢) رواه الإمام أبو بكر الحرائطي في «مساوىء الأخلاق» (٨٢) - وعراه المرقبي في «تحرير
الأحياء» (١٤٣ ٢) لأبي العباس الذُّعُولي في كتاب «الأدب»، وله شاهدٌ مرسلٌ من مراسيل
السعدي، أخرجه أبو الشيخ في «التبيين» (٢٤٨)

وأخرج عبد الرزاق في «المصنف»، والبخاري في «الأدب المفرد»، وأبو يعلى، وابن المنذر، والبيهقي في «الشعب» بسند صحيح، ولعلهم أن مدعياً لما رجمه [النبي ﷺ] عبد الرابعة مرّ به رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه فكان رجل منهم. إن هذا الحائن أتى النبي ﷺ مراراً كل ذلك يرده، ثم قُتل كما يقتل الكلب، فسكت عنهم النبي ﷺ حتى مرّ^(١) بجيفة حمار، فقال «أين فلان وفلان، فكلّا من جيفة هذا الحمار» فقالا «وهل يؤكل هذا»، قال «وأكلتما من أحيكما أنما أشدّ أكلًا منه»، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة يعمس فيهما^(٢).

فاطروا بخواني أيضاً كيف جمع مولانا رسول الله ﷺ بينهما، مع أن القائل واحدٌ

وروى ابن أبي الدنيا عن عمرو بن حنبل عن أبي سفيان أنه قال لمولى له: «نزة سمكك عن استماع الحناء كما نزه لسانك / ١٤ / عن القول به، من المستمع شريك القائل»^(٣)، فالمستمع لا يخرج من إثم العيبة إلا بأن يكرّ على المعتاب بلسانه إن قدر، أو بأن تتجلى عليه عصمت فهرأ عليه، كما هو عادة أهل الله

فإن حالف الضرر على نفسه فبقليه، وإن قدر على القيام من ذلك المجلس أو قطع الكلام بكلام آخر فلم يفعل له لزمه الإثم، وإن قال بلسانه اسكت، وهو مُستعِدٌّ لذلك بقلبه؛ فذلك نفاق لمخالفة قلبه لسانه، ولا يُخرج من الإثم ما لم يكرهه بقلبه مصمماً عليه.

(١) أخذت هذه الفقرة من «الأدب المفرد» ص ١٤٨، محل يتر في المخطوطة

(٢) رواه أبو خلوة (٤٤٢٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (ص ١٤٨)

(٣) رواه الإمام أحمد (٤٤٠ ٢)، والبراء (١٩٠٢)، وابن حبان (٥٧٦٤)، والحاكم (٤ ١٦٦)

[حقيقة الغيبة وتعريفها]

واعلموا - إخواني - أن النفس ربما تشاق لحقيقة العيبة ما هي؟ فنقول

هي ذكرُ الغيب بظهر الغيب، سواءً ذكرتَ مما يكرهه نقصاً في بده، كالغمش، والحقول، والفرع، والفَصْر، والطول، والسواد، والصعرة، وغيرها، أو تسب، أو في خُلُقِه: ككونه سيء الخُلُق، [كقوله:] بحيل، متكبر، مرء، شديد النصب، جبان، عاجز، ضعيف القلب، متهور

أو في فعله: من حيث المدمن كقولنا هو سارق أو كذاب، أو شارب حمر، أو حائل، أو ظالم، أو متهاون بالصلاة أو الركاة، أو لا يُحسُّ الركوع أو السجود، أو ليس باراً بوالديه، أو لا يضع الزكاة موضعها، أو لا يُحسُّ نسمتها، أو لا يحرس صوته عن الرُفث والعيبة والتعرض لأعراض الناس

أو قوله المتعلق بالدنيا، كقولنا: إنه قليل الأدب، متهاون بالناس، أو لا يرى لأحدٍ على نفسه حقاً، أو يرى لنفسه الحق على الناس، أو أنه كثير الكلام، كثير الأكل، يؤرم، ويتألم في غير وقته، ويجلس في غير موضعه

أو ثوبه: ككونه واسع الكم، طويل الذيل، وسخ الثياب.

وقال قوم: لا عيبة في الدين، ولو كان المعتات يكره ذلك، لأنه ذم ما دمه الله، مذكره بالمعاصي ودمه بما يجوز زجره له، بدليل ما روي أنه ذكر لمولانا رسول الله ﷺ امرأة وكثرة صومها وصلاتها، لكنها تؤدي جيرانها، فقال: «هي في النار»^(١). رواه ابن حبان والحاكم. وذكر له امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال «ما خيرها إداً»^(٢). رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق»^(٣).

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ٤٤٠)، والبرار (٢/ ١٩٠)، وابن حبان (٥٧٦٤)، والحاكم (٤/ ١٦٦)

(٢) رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» ص ٥٩

وما ذكروه فاسد؛ لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعريف الأحكام الشرعية بالسؤال والبحث، ولم يكن عرضهم التفتُّص ولا التخصُّص للجدل، بدليل أنه: لا يحتاج إليه في غير مجلس مولانا رسول الله ﷺ

قلت. ولعل ما ذكره هؤلاء القوم في المستمعي من غير تعيين، إنما هو سائل عن دينه ليعرف حكم الله في الوارث في نفسه، أو عَلِمَ من حليته أنه ذو شوكة لا يقدر على مكافحته بالعطاب، وأراد نصيحته فاستمعى بعض من مُكِّن في الأرض بأمر المكر، فيتذكر في حكم من قامت به تلك الأوصاف ليجتنبها المرتكك / ١٥ / لها، وهي سياسة عظيمة يرتكبها الصالحون فيؤهمون غيرهم أنهم لا يعرفون ذلك الحكم، ومرادهم تعريف غيرهم بذلك

وقد ارتاضت نفوسهم حتى صارت تأمر بالجهل، مع أن المجلس رتب بهم أن السائل قصده، بل يكرهه، لكنها ليست ببقية من حيث إنها دُم ما دمه الله

وأما في غير هذا فالإجماع من الأمة على أن من ذكر غيره من ورائه بما يكرهه فهو معتاب، لأنه داخل فيما حدَّه النبي ﷺ في العيبة من قوله «ذَكَرَكَ أَحَاكَ بَمَا يَكْرَهُ»^(١)، فكل ذلك - وإن كنت صادقاً فيه - فأنت به معتاب عاصي لأمر، أَكَلُ لِلْحَمِّ غَيْرُكَ

وأخرج ابن مردويه عن أم سلمة رضي الله عنها أنها سئلت عن العيبة، فأخبرت أنها أصبحت يوم الجمعة وهذا رسول الله إلى الصلاة، وأنتها جارتان لها من نساء، فاعتاتتا وصحكتا برجال ونساء، فلم ترحا على حديثهما من العيبة حتى أقبل النبي صلى الله عليه من الصلاة، فلما سمعنا صوته سكت، فلما قدم بباب البيت ألقى طرف رداءه على أنه ثم قال «أخرجنا فاستقبنا ثم تظهر بالنساء»^(٢)

(١) أخرجه الإمام مسلم (٢٥٨٩)، وأبو داود (٤٨٧٤)، و الترمذي (١٩٣٤)، والدارقطني (٢٩٩ ٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

فخرجت أم سلمة، فقالت^(١) لحماً كثيراً فواصل^(٢)، فلما رأت كثرة اللحم تذكرت أحدث لحم أكلته فوجدته في أولي جمعتين متنا، فسألتهما «ما قاءت؟»، فأحبرته، فقال «ذاك لحمه طلبت تأكله، فلا تمودي أنت ولا صاحبتك فيما تكلمتما فيه من العيبة»، وأحبرتها صاحبها أنها قاءت مثل الذي قاءت من اللحم

وأخرج ابن جرير من حديث سيدنا معاذ بن بلعظ: كنا مع - مولانا - رسول الله ﷺ فذكر القوم رجلاً فقالوا ما يأكل إلا ما يطعم، ولا يرحل إلا ما رُحِل، وما أصعبه فقال مولانا رسول الله ﷺ «اعتنم أحاكم»، قالوا يا رسول الله، وعيبة مما يحدث فيه؟ فقال «بحسبكم أن تحدثوا عن أحبكم بما فيه»^(٣)

وقال سيدنا التراء بن عارب رضي الله عنه: خطبنا - مولانا - رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتها، فقال «يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه، لا تعتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه تتبع عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته» رواه ابن أبي الدنيا^(٤)

وفي الحديث الأول مصيبتان عظيمتان.

الأولى العيبة، وقد سمعتم وعيدها، ويمكن الشراء عنها بالانكشاف عنها الثانية ما يشأ عن العيبة، وهو ما يتولد في القلب من أكل اللحم الحبيث المتش، وهذا كان يمكن التسلل منه في زمنه ﷺ، فلم يكن يبقى في نفوسهم حتى

(١) لعلها: فقالت، وبه يظن الممن النثر

(٢) فصل الشيء بقضله - قطعه، فواصل قطعاً. احمد من «القاموس»

(٣) أورده الطبراني في «الكبير» عن معاذ (٢٠ ٣٩)، ولكن بلعظ. إن قلتم ما ليس فيه مد يهتموه

(٤) أخرجه أبو يعلى (١٦٧٥)، والبيهقي (٢٥٦.٦)، وأبو نعيم (٣٥٦)، كلامنا في «دلائل البوة»، قال الهيثمي في «المجمع» (٥٣.٨)، «رجالاه ثقات»، والمنذري في «الترغيب» «إسناده حسن»

بتركهم على آخره، وأما نحن فيتزايد هذا على هذا، حتى تمتلئ حواشيها من حيث هي بالروائع المتننة، والملائكة لا تقدر على ضم الروائع الحسنة، فتتعدد، وإذا تعدت بقيت الأعادي، وهم الشياطين والأجبار - وهم الملائكة - لا شغل لهم إلا الدب عن شجرة الإيمان فيسقطوا عليها فيوصف الأمداد المحمدية إلى أن تسكن وتثبت، ولما يتقاعدون /١٦/ تبقى الشياطين - وأهم شيء هذهم الإيمان - فيصيروا يرحل حوبها من محلها

فاصملوا إخواني على صفيل مرآة قلوبكم حتى تعلموا الوقت ندي تهرب منكم الملائكة، فينظفوا إذ ذاك واعلموا أنكم أسارى في يد العدو

وبه جدار آخر، و[هو] أن المعاصي لها روائح كريهة متة يدركها المعروف بالله، غير أنها تفل وتنفو بحسب المرتك، فتدور مع الحرام ولكراهة ولاباحة، لأن المعارف أعماله كلها دائرة بين الواجب والمندوب لا غير

وهذا أحد بطيئ من الحديث، فاقروا^(١) أنفسكم منه بالشره عن المعاصي ولمحدثات حتى لا يقرب منكم

وأما باندن صلعه في الطاهر وموالبه في الباطن! هذا من أمرت النفاق، فكونوا من قوم يلعنون الشيطان ظاهراً وباطناً بمحاسنه، أو بعدم بعه ظاهراً، وبعه باصاً بمخالفة ما به أمر، وامتنال ما عنه نهى

وفي الحديث الثاني خطران عظيمان

الأول أنه ﷺ نفى عنهم دخول الإيمان لقلوبهم، ولو دخل الإيمان لاسطت مقتضياته من الأمان، فتتجس فيمن قام به إلى أن لا يصير يصدر منه شيء يذوي المسلمين، فيؤمنوه على أنفسهم وأموالهم.

(١) أي: كفروا كما في «القاموس»

ومن نفى عنه سيئنا ﷺ الإيمان أفلا نعيه عنه نحن أيضاً لقا براه يعتد
المسلمين ويتبع عورائهم ١٩

ولا يُروغف مني هذا، فمذهب السلف العلماء رضي الله عنهم أن أحاديث
الرجز والإقماع نفى على نكارتها من سورة التهديد، فلا تؤؤل، لتكون أدحل
في بساط الارحار والانكفاف، ويكون الانكفاف من الرتوع في بساط لمهي
أقرت للمحصل، بخلاف إذا أولت، فتتفي سورة التهديد الهائلة

ومع أحاديث ليس ما من لم يوقر كيرتنا. الخ^(١)، وحديث: «ليس
منا من لم يتعاطم بالعلم»، وغيرها، ومع المذهب، فهو أقرت للسياسات
الإبئية، ومن كانت له ممارسة بأحوال السلف أبقر هذا، وأهم يتحلون الشط
انقريئة من المشي على المهج الإلهي، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

الثاني: أن عاقبة أمر من يغتاث المسلمين أن يفصحته الله في جوف بيته
فاحفظوا - إخواني - ألسنتكم فيما لا يمي، حتى لا تتعرضوا لهذا لخطر
العظيم، اللهم احفظ، اللهم احفظ، اللهم احفظ

ومثله ﷺ كلها مقصودة، فقد رأينا من يتبع هورات الناس فصحة الله في
رحله، نسأل الله السلامة والعافية بيركته ﷺ.

وقال سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه كما في «مسند الإمام أحمد»: «خطبنا
رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه، فقال: «إِنَّ الدَّرْهَمَ بِصِيَةِ الرَّحْلِ مِنْ
الرِّبَا، أَكْظَمُ صَدَّ اللَّهِ فِي الْخَطِيئَةِ مِنْ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ رِبِيَّةً يَرِيهَا الرَّحْلُ، وَارِبَ لِرَبِّ
عَرَضُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ»^(٢) أي الاستطالة فيه بأن يتناول منه أكثر مما يستحقه

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٨١٢)

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المصنف» (١٢٤)، وابن عدي في «الكامل» (١٥٤٨)، وابن
الجوزي في «الموضوعات» (٢٤٥٠٢)

مصدرت العِسةَ أعظمَ وأظنَّ من ستِّ وثلاثين ربةً، التي هي أيضاً أعظم من درهم من الربا، والغيبةُ أعظمُ من الكل

وقال سيّدنا أنس / ١٧ / أمر - مولانا - رسول الله ﷺ الناس بصوم يوم، وقال «لا يفطرون أحدٌ حتى آذن له»، فصام الناسُ حتى إذا أمسوا جعلَ لرجلٍ يجيء ويقول يا رسول الله ظللتُ صائماً فأذن لي لأفطر، فيأذن له، وللرجل والرجل، حتى جاء رجلٌ فقال: يا رسول الله، فتأتان من أهيكَ ظلتنا صائميتين وإيهما يستخريان أن يأتيك فأذن لهما فلتعطرا، فأعرضَ عنه، وعادوه، فقال «إيهما لم يصوما، وكيف صام من ظلَّ هذا اليوم يأكلُ لحومَ الناس؟ ذهبَ درهمٌ إن كانتا صائميتين أن نستقيها». فرجع إليهما فأحبرهما فاستقاءتا، فقادت كل واحدةٍ معها غَلَقَةً من دم، فرجع إلى النبي ﷺ فأحبره، فقال «والذي نفسُ محمدٍ بيده لو بقينا في بطونهما لأكلتهما البار». أخرجه ابن أبي الدنيا عن عني بن الجعد^(١)

وأوحى الله إلى سيّدنا موسى عليه السلام «يا موسى، من مات قابلاً من العيبة فهو آخرٌ من يدخل الجنة، ومن مات مصرأً عليها فهو أولٌ من يدخل النار»

وقال سيّدنا أنس قال - مولانا - رسول الله ﷺ «مورت ليلة أُسري بي على قوم يحيمشون - أي يقطعون - وجوفهم بأظافرهم، فقلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يختابون الناس ويقعون في أهراضهم. أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت»، ورواه أبو داود صدأً أو مرسلًا، والمسند أصح^(٢)

(١) أخرجه الطيالسي (٢١٠٧)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٢١)، وقال ابن كثير في «تفسيره» (١٩٠: ٤): «إسناده ضعیف، وحسن غريب»، وساق له شواهد

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٤ ٣) وأبو داود (٤٨٧٨)، وكذا ابن أبي الدنيا في «الصمت» (١١٩)

وقال قتادة ذكر لنا أن عدات القبر ثلاثة أثلاث ثلث من العينة، وثلث من البول، وثلث من السمعة^(١).

وروى ابن أبي الدنيا عن عيسى بن عبد الله التميمي قال: يلعي عن عتاب ابن بشير، عن خُصاف وحصيف وعبد الكريم بن مالك، قالوا: أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة، في الصوم ولا في الصلاة، ولكن في الكف عن أعراض الناس^(٢).

وقال سيدنا ابن عباس: «إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فادكر عيوبك»^(٣).
وقال سيدنا أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: «يصر أحدكم القدي في عين أخيه ولا يصر الجذع في عينه»^(٤).

وكان الحسن البصري يقول: «ابن آدم، إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تصيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك، فإذا فعلت ذلك كان شغلُك في حاسة نفسك، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا»
رواه ابن أبي الدنيا عن نصر بن طرخان حدثنا عمران بن خالد الحراشي^(٥).

وقال سيدنا عمر رضي الله عنه: «عليكم بذكر الله، فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس، فإنه داء»^(٦).

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٢٩) بسند صحيح

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٢٩)

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (١٨٨) والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٢٨)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٣٠)

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (١٧٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٢) وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٣٠)، بلفظ: «وتسب الجذع في عينه»، وغيرهم بسند صحيح

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٣١)

(٦) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (١٢٢)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٢٣)

وعن مولانا هائشة وسيدنا ابن عباس رضي الله عنهما قالا: «الْحَدَّثَ حَدَّثَ مَنْ فِيكَ، وَحَدَّثَ مَنْ بَوْمَكَ، وَحَدَّثَ الْعَمَ أَشَدَّ الْكَدِّ وَالْعِيَّة»

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلين صلبا صلاة الظهر والعصر، وكانا صائمين، فلما قصى النبي ﷺ الصلاة قال «أعيدوا وضوءكما وصلاتكما، وامصيا في صومكما وافصيا يوماً آخر مكانه»، قالا لم يا رسول الله؟ قال قد اغتبتما فلاناً». أخرجه الخرائطي في «مساوىء الأخلاق»^(١)

ففي هذا الحديث الكريم أَنَّ الْغِيَّةَ تُبْطِلُ الرُّضُوءَ وَالصَّلَاةَ وَالصُّوْمَ، وَقَدْ أَمَرَهُمَا بِقَصَادِ ذَلِكَ الْيَوْمَ

وقال غيبة / ١٨ / السلماني «اتقوا المعطرين العيبة والحيممة والكذب»
رواه ابن أبي الدنيا^(٢)

وعن عكرمة رفعه أنه ﷺ لحق قوماً فقال لهم «تحللوا»، فقال القوم يا سيدي الله، والله ما طعمنا اليوم طعاماً، فقال «والله إني لأرى لحم فلان بين ثدياك»، وكانوا قد اغتابوه. رواه عبد بن حميد.

وعن سيدنا جابر قال كنا مع - مولانا - رسول الله ﷺ فارتفعت ث ریح متنة، فقال «أتندرون ما هذه الريح؟» هذه ریح الذين يعتابون الناس» أخرجه الإمام أحمد، وابن أبي الدنيا في «الصمت»^(٣).

(١) أخرجه الخرائطي في «مساوىء الأخلاق» (٩٠) بلفظ: «أعيدوا وضوءكما» أو قال صلاتكما

(٢) ابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٢٥) بلفظ: «اتقوا المعطرين العيبة والحيممة» كما في نسخة المطبوعة.

(٣) رواه الإمام أحمد (٣٥١: ٣) والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٣٢)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٣٨)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٩١: ٨): «رواه ثقات»

ففي هذا النص تصريح بأن المعاصي لها روائع مشنة، ولا يدركها إلا أهل الله رضي الله عنهم، أرباب البصائر المنورة، وأما أرباب الحُجُب الظلمانية فهم بمنزلة من هذا المنحى، والله المستعان.

والشيء بالشيء يُذكر، وكما يُطَيَّب بالمسك يُطَيَّب بالعبر: كذلك استعمال القربات من بواهل الحيرات، يَكْسِبُ صاحبه لواجب الميثاق الأدنى، فتظهر عبه وبشئها الكُفْل أيضاً، ويُرشَّحُ هذا قوله في الحديث «إد رار لرجلُ احاه في طرف القرية ناداه مَادُ من السماء أن طُتَّ وطاب ممشاك، وتوات من الجنة منزلاً»^(١)

فقد على قوله «وطاب ممشاك»، فإن المفتوح عليه يُدرك العرق بين طيب زيارة الإخوان، وطيب المعروضات، وطيب السنن، وطيب المدونات، ولطيب المستعمل، ويُدرك طيب زيارة الإخوان بأثر المسير، فيجد وطأة قدميه لها روائع سماوية يعلم أنها من ذلك العمل الحاصل، وإذا أدرك طيب هذا المستحب مثلاً فهو ذريعة لإدراك مراتب بقية الأحكام

وصاحبه هذا المقام يحبر بأن هذا الطريق مرٌّ عليها رائز الإخوان بما أدرك من أثر وطأته

وهذا يدركه أهل الكشف، فلا يُدافع بقول جدلي ليس معنى الحديث ذلك، لآما يقول له. من رام حصر معاني كلامه ﷺ فقد كُدَّ في غير طائل، ودونك ما أقمّت فيه، والسلام

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه مر على بعل ميث وهو في نمر من أصحابه، فقال «والله لأن يأكل أحدكم من هذا حتى يملأ بطنه حبراً له من

(١) رواه الترمذي (٢٠٠٨)، وابن ماجه (١٤٤٣)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بلعظ. من عاد . . .

أن يأكل لحم رجل مسلم». أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» وابن أبي شيبة^(١)

وعن سيدنا أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «الربا سبعون حوثاً، أسره كسكاح الرجل الله، وأرى الربا عرض الرجل المسلم». رواه ابن ماجه^(٢)

وعن وهب بن ميثم أن دا القرنين قال لبعض الأمم: «ما نال كلمتكم واحدة، وطريفتكم مستقيمة؟»، قالوا «إنا لا نتحادع ولا نعتاث بمص بعضاً». رواه ابن أبي الدنيا^(٣)

وعن شفي بن مانع الأصمعي أن النبي ﷺ قال «أربعة يؤدون أهل لدر - على ما بهم من الأدى - يستقون بين الحميم والجحيم، يدعون بالويل ولشور، يقون بعض أهل النار لبعض. ما بال هؤلاء قد أدونا على ما بنا من الأدى؟ قال «رجل معلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجر أمعاءه، ورجل يسيل فوه قبحاً ودماء، ورجل يأكل لحمه / ١٩ / ، يقال للذي يأكل لحمه: ما نال الأبعد قد أدانا على ما بنا من الأدى؟ فيقال إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس ببيعة، ويمشي بالنميمة». رواه ابن أبي الدنيا^(٤).

وقال بكر بن عبد الله المزني: «إذا رأيتم الرجل موكلاً بعيوب الناس، ناس لعيبه، فاعلموا أنه قد مكر به». رواه ابن أبي الدنيا^(٥)

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢١٦)، وابن أبي الدب في «الصمت» (١٧٧)، وأورد الخرائطي في «مساوى الأخلاق» (٨٣) مرفوعاً بمعناه.

(٢) رواه ابن ماجه (٢٢٧٤)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٢٣)

(٣) في كتاب «الصمت» (١٢٧)

(٤) رواه ابن الميارك في «الرهء - روائد نعيم» (٣٢٨)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (١٢٨)، والطبراني في «الكبير» (٧٢٢٦: ٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٦٧. ٥)، وغيرهم

(٥) في كتاب «الصمت» (١٣٢)

اللهم يا حيُّ يا قيومُ بِرحمتك استعيتُ، أصلح لي شأني كله، ولا تَكُنْ لي
 إلى نفسي طَرَفَةً عيبٍ يا أرحمَ الراحمين، يا أرحمَ الراحمين، يا أرحمَ
 الراحمين

[الآخذ على يد المختاب]

فتزهدوا إخواني عن هذه الرقيلة، وأبغضوا كلَّ من هذا وصفه، فإن من
 شُغِبَ الإيمان الحبُّ في الله والبغضُ في الله من الإيمان، وكلُّ من رأيناه
 مُؤَكَّلًا بعبود الناس، فاعلموا أنه محفوفٌ مبعَّدٌ عن حصرة الله وحصرة رسوله،
 ودرجوه على كلِّ ذلك باللسان، واعصبوا له، لا لخطِّ نفس، ولا تكلمي الإشارةُ
 باليد، أي اسكت، أو يشير بحاجيته أو جبينه، أو طرفِ عينه، فإن ذلك
 استحقاقٌ للمذكور بالعيبه، بل ينبغي أن يعظَّمه فيذبَّ عنه صريحاً

قال مولانا رسول الله ﷺ «من أدلَّ عنده مؤمنٌ وهو يقدر على أن ينصره فلم
 ينصره أدله الله يومَ القيامة على رؤوس الخلائق». رواه الإمام أحمد والطبراني^(١)

وروى ابن أبي الدنيا عن أبي خيثمة. حدثنا جرير: عن ليث عن شهر بن
 حوشب عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ «من ردَّ عن مرضي
 أحبه بالعيب كان حقاً على الله عز وجل أن يؤذَّ عن مرضيه يومَ القيامة»^(٢)، وفي
 لفظٍ لترمذي والطبراني «كان له حجاباً من النار»^(٣)، وفي لفظٍ لعبد بن حميد
 وابن رَجَوَيْهِ والرُّؤْيَانِي وابن السَّكْنِي في «[عمل] اليوم والليلة» أيضاً

(١) رواه الإمام أحمد (٤٨٧ ٣)، والطبراني في «الكبير» (٥٥٥٤)، قال الهيثمي في «المجمع»
 (٥٢٦ ٧) «وفيه ابن لهيعة وهو حسن الحديث، وفيه طحطا، وفيه رجاله ثقات»

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤٤٩ ٦)، والترمذي (١٩٣١) وحسنه، وابن أبي الدنيا في «العتق»
 (١٤٧) بلفظ: «كان حقاً على الله أن يمتقه من النار»

(٣) رواه الهيثمي في «السَّنَنِ الكبير» (١٦٤٤٦)

وروى الطبراني والحرائطي «كان حقاً على الله أن يرده عه نار جهنم يوم القيامة»^(١)

وفي حديث سيدنا أنس: «من حمى عرض أخيه في الدنيا بعث الله إليه ملكاً يوم القيامة يحميه من النار»^(٢)

وفي حديث سيدنا جابر، وأبي طلحة: «ما من امرئ يحدل امرأة مسلماً في موطن تُنتهك فيه حرمة ويُتقص في من عرسه إلا حذله الله في موطن تحت فيه نصرته، وما من امرئ ينصر امرأة مسلماً في موطن يُتقص في من عرسه وتنتهك فيه حرمة إلا نصره الله في موطن تجب فيه نصرته»^(٣)

وفي حديث سيدنا أنس «إذا وقع في رجل وأنت في ملا فكر للرحل ناصراً، وللقوم راجراً، أو قم صهم، ثم تلا هذه الآية ﴿أَيُّيُّبُ أَكْذُكُزْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]».

وفي حديث سيدنا أنس أيضاً: «من اختبى هذه أحوه المسلم فلم ينصره وهو يستطيع نصره أدركه الله في الدنيا والآخرة»^(٤)

وقال سيدنا عمر رضي الله عنه «ما يمنعكم إذا رأيتم السعية يحرق أهراً من الناس لا تُعبروا عليه»^(٥)، قالوا: نخاف لسانه، قال: «ذلك أدنى أن لا تكونوا شهداء»^(٥)، أي على ما قال من السوء

(١) روى الإمام أحمد (١١٣١١)، والطبراني في «الكبير» (٤٤٣: ٢٤)، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٧٩: ٨) عن إسناده الإمام أحمد: «حسن»

(٢) روى أبو داود (٤٨٨٣)، والإمام أحمد (٤٤١: ٣)، وغيرهما

(٣) روى الإمام أحمد (٣٠: ٤)، وأبو داود (٤٨٨٤)، والبيهقي (١٦٧: ٨)، قال الهيثمي في «المجمع»: «وإسناده حسن»

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٧٨: ١١)، وذكره المنذري في «الرمية» (٣٠٣: ٣)

(٥) روى ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٣٠: ٥)

وإذا كان هذا في انتهاك حرمة المسلمين، فكيف بانتهاك حرمة الله وشعبه، والتحلّي بأخلاق الجاهلية والموام بانهادكم الرُمة، وجلبتكم فيها بحلية أهل الجهل الذين لم يرافقوا الله ولا يحافوه، حتى / ٢٠ / أوقعتم السن في المحظورات من تطرق ألسنتهم فيكم، وفي الحقيقة أوقعتموهم فيها

فما هذا الهديان، وما هذا الاتباع للهوى، وما هذا الانهكاك في شهوات النفس، وتتنع حظوظها، وما هذا النقص الذي وقع منكم لهذا حتى علمتم هذا الأمر البشيع، ولم ينهكم المقدمون؟

وفي القرآن في ذكر أوصاف عذاب بها بنو إسرائيل ﴿كَانُوا لَا يَتْلَوْنَ﴾ عَمَّ كُفِّرُوا قُلُوبُهُمْ ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩] ﴿لَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨] إلخ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْفَيْنَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ إِذْ تُفْتَخِمُ يَدُهَا وَيَفْرِضُ عَصَا رَبِّهَا عَلَى آلِهَا فَاصْغَدُوا﴾ [الحج: ١٦-١٧]

ومثل هذه الأمور ما ثم من يستحي منها أو يعاف عقباها أو يرجره راجزاً عنها، هذا السبب الظاهرة وما فيها من السن المحمدية والآثار النبوية، فهي محل الإنكار، ومن أنكر عليه يصفى ويتأخر عن محبة

وكان مقتضى القاعدة العكس، إذا أنكر عليه أحد في طريقته يقول هذا اختياراً اختيرني رضي لأنني ادعيت محبة هل أثبت أم لا.

وأما في السنة المحمدية: فإذا لم ينكر عليك مكر في فعل البذع، وأنكر عليك في فعل السن المحمدية فاتركه واعلم أنه صاحب رُغونات نفسية، وشهوات طبيعية، وإذا كان مراده الله فهلا أنكر عليك في فعل ما لا يسمي وأعانك في فعل السن المحمدية التي فعلها من هو غير من كل أحد ﷺ وعلى آله تصديقاً لقول رب الأرباب ﴿وَتَقَاوُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَلَا تَمُوتُوا عَلَى الْإِيمَةِ وَالْمَدُونِ﴾ [المائدة: ٢] ١٩

ولكن أوحى الله إلى سيدنا داود عليه السلام «يا داود، اتحد لعنك إخواناً، وكل أح لا يوافقك على طاعتي فتركه، فهو لك عدو، وكل من يمنعك من فعل السنن ويُفرك على الكبائر فاعلم أنه ليس بناصح»، وإذا لم يَسْعَ في صلاح نفسه بأن يحشَى بها على السهج القويم؛ فعبره أولى وأولى وأولى، لأن لإسان لا أعز عليه من نفسه، ومع ذلك يتركها توصله لساحل التهلكة، أفلا يُوصِلُ عبره لتلك الرتبة التي هو فيها من السوء؟! بلى، وإن الله على سوء الأدب، المؤدي إلى موارد العطب

وفي الحديث الشريف: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله فيكتب الله سخطه عليه بها إلى يوم القيامة». رواه ابن ماجه والترمذي^(١)

وفي الحديث الشريف «أكثر الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم حرصاً في اساطيل». رواه ابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلاً^(٢) وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿وَسَكَنَّا حَرُورًا مَعَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: ٤٥).

وقال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى: «كان رجل من الأنصار يمر بمجلسي لهم فيقول: توضعوا فإن بعض ما تقولون شر من الحديث»، أخرجه ابن أبي الدنيا عن الحسن بن الصباح^(٣). سيما إن كان ذلك محض الكذب، وهو من قباح الذنوب، وفواحش العيوب.

(١) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (٥/٢٨٥/٢) وأحمد في «المسند» (٣/١٦٩)، وفي «الرمدة» (١٥)، والترمذي (٢٣١٩)، وابن ماجه (٣٩٦٩) والحميدي (٩١١) والبيهقي في «التاريخ الصغير» (٩٤.١) وغيرهم

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «الرمدة» (١٦٠)، والطبراني في «الكبير» (٩/٨٥٤٧)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٨٠)، وقال الحافظ العراقي في «تحرريج الأحياء» (١١٢.٣) - مسنده صحيح

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٩١)

وفي الحديث: «إن الكذب بابٌ من أبواب النفاق»، رواه ابن عدي في «الكامل»^(١)

وقال الحسن الصري رحمه الله: «كان يقال إن من النفاق اختلاف السر والعلانية، واختلاف القول والعمل، واختلاف المدخل والمخرج، وإن الأصل الذي بُني عليه النفاق: الكذب»^(٢)

وروى أبو الشيخ في «طبقات الأصهبانيين» من حديث سيده أبي هريرة رضي الله عنه: «الكذب ينقص الرزق»^(٣)

فانظروا عظم هذه المصيبة كيف تتسبب لنا في نقص رزقنا إما حساً أو ممساً، حساً بأن لا يأتي، فيتعب عليه صاحبه ولا يصله، وممساً بأن تُدفع البركة منه فيذهب كأنه لم يكن وإن كثُر

وفي الحديث: «ثلاثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم استأنا بغيبة، والمستنق سلعة بالخيل العاجز، والمُسبِل إزاره»^(٤)، رواه أحمد وأبو داود

وفي الحديث: «ما خَلَفَ حَالَتٌ بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة»، رواه الترمذي والحاكم من حديث سيده عبد الله بن أنيس^(٥).

(١) رواه الخرائطي في «مسوئ» الأخلاق (٥٨، ٥٦) من أبي أمامة مرفوعاً، وعراه العراقي في «تحرير أخبار الأحياء» (١٣٠: ٣) لابن عدي في «الكامل»

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «الصمت» (٢٤٠)

(٣) عراه العراقي في «تحرير أخبار الأحياء» (١٣١: ٣) لأبي الشيخ في «طبقات الأصهبانيين»، وقال: إسناده ضعيف. قلت: ورواه الخرائطي في «مسوئ» الأخلاق (٥٨)

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٤٨: ٥)، والفلومي (٢٦٠: ٨)، ومسلم (١٠٦)، والترمذي (١٢١١)، وأبو داود (٤٠٨٧)، والنسائي (٨١: ٥) وابن ماجه (٢٢٠: ٨)

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٤٩٥: ٣)، والترمذي (٢٦٠: ٩)، والحاكم (٢٩٦: ٤)، وابن حبان (٥٥٣٧)، والخرائطي في «مسوئ» الأعمال ص ٦٠.

وقال سيدنا أبو ذر رضي الله عنه «ثلاثة يحبهم الله» رجل كان في فئة مصاب محره - أي رقبته - للعدو حتى يقتل أو يفتح الله عليه أو على صاحبه، ورجل كان له جار سوء يؤديه فصب على أذاه حتى يفرق بينهما موت لأحدهما أو طعن - أي رحلة -، ورجل كان معه قوم في سفر أو سريّة فاطالوا الشرى حتى أعجبهم أن يمشوا الأرض - أي من عليه اليوم - فزولوا فتحنى بصلي حتى يوقط أصحابه لرحيل، وثلاثة من الناس يشؤهم الله - أي يحضهم - التاجر - أو البائع - الحلاف، وافتقر المحتال - أي المتكبر - والبخيل العاثر، رواه أحمد وأحمد وأحمد له^(١)

وروى البخاري من حديث سُمرة بن جندب في حديث طويل عن المصطفى صلى الله عليه أنه قال «رأيت كأن رجلاً جامعي فقال لي قم، فقمّت معه وإذا أنا برجلين أحدهما قائم، والآخر جالس، بيد القائم كلوت من حديد يُنقعه في شذقي الجالس فيجذبه حتى يبلع كاهله رأس الكتف، ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده، وإذا مده رجع الآخر كما كان، فقلت للذي أقامني، ما هذا؟ قال هذا رجل كذابٌ يعذب في قبره إلى يوم القيامة»^(٢)

وفي الحديث عن ابن عمر «إن العبد ليكذب الكدنة فيتاعد الملكُ عنه مسيرة ميل من تشي ما جاء به»، رواه الترمذي^(٣).

وفيه تصريح أيضاً بأن للمعاصي روائع، ولما أحير به المترجم عن الله فلا يسما إلا الإيمان، سيما من راد الإيقان على الإيمان بأن شمه وأدركه، فلا تبقى عنده مريّة في ذلك

(١) رواه الإمام أحمد (١٥١٠٥)

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٩٠٨: ٥)، والبخاري (١٣٨٦)

(٣) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٠٧٦)، والترمذي (١٩٧٢)، والطبراني في «معجم» (٣٠: ٢). قال الترمذي: «حديث حسن جيد غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، تفرد به عبد الرحيم بن هارون»

ويا عجبا للإنسان لا يدرك المراتب السَّيِّئَة، ولا يسلّم لأهلها، فيجمع على نفسه يقصتين

وإنما لم يدركها كل أحدٍ لاعتيادهم ذلك حتى دُبع أديمتهم بها، فلم ينبق أنفسهم تشمئز منها، كالجمل؛ فإنه يحس براحة روث الدواب، وفي تلك الحياة الموت لو درى

وكما أحبر المبيّن عن الله أن الموت يأتي في صورة كيشٍ أقرن فيديح إلح^(١)، مع أن الموت ممى من المعاني، وربما تكون المعاني تتجسّد كما ظهر أعلم في صورة النسي، والإيمان في صورة قميص^(٢)، وغير هذا كما في الأحاديث، ومعلوم في القرآن الفرق بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فاعلمهم / ٢٢ /

فتزهدوا إخواني عن مثل هذه الأمور، وتنفقوها في أنفسكم وأهليكم وأقاربكم، ومن تلوّمكم بمقتهم، وكل من لا يوافقك على هد فاتركه فهو لك عدوّ



(١) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه
(٢) فصل المزل - رضي الله عنه - في هذا البحث، وهو أن المعاني تتجسّد في كتابه العظيم «ختم البخاري»، الذي قسمه بضعاً وعشرين علماً مستقلة من اسم رسول الله ﷺ (محمد)، باعتبار رُباعيته، وقد طبع بالحبر في قلنس عام ١٣٢١.

[المخاتمة، في أمور جامعة]

وكذا تحفظوا من يديكم ورجليكم، أما يديكم. فلمس ما لا يحل لكم من النساء الأجنبية أو الأحداث، وأما رجلكم، فبالسعي إلى ما لا يحل، كمحمل لا يُذكر فيه الله، وتذكر فيه عورات المسلمين أو حديث الدنيا أو مجلس الضحك

وقد قال المُصَنِّب رحمه الله مصروفة عن ثلاث مجالس مجلس ذكر الدنيا، ومجلس الضحك، ومجلس العيبة

فانظروا - إخواني - لأنفسكم إذا ذهبت الرحمة ما يَبْقَى إلا العذاب، وبحس صبر لا يقدر على شيء من ذلك، وأيضاً هذا إذا كان واحد من هذه الأمور، فإذا اجتمعت فلا حول ولا قوة إلا بالله، وإنا لله وإنا إليه راجعون

وكذا صوبوا قلوبكم من العِلْ والحق والحسد والبغضاء والشحناء، فإن لقلب إذا صَلَحَ صَلَحَ الجسد كله، وإذا فَسَدَ فَسَدَ الجسد كله

وكذا صوبوا مرجلكم عن الرين، فإنها من الطامات، وبطنكم من أكل الحرام وعلموا - إخواني - أن ما في الدنيا شيء يسبى عن حضرة القدس، كأنه من كان، لأن المددوات الدنيوية سعة المأكولات، والمشروبات، والمكوحات، والملبوسات، والمشمومات، والمسموحات، والمصبرات

فأما المأكولات: فأفضلها العسل، وهو ضمة ذباب
وأما المشروبات: فأفضلها الماء، وهو ساح، أهون موجود، وأعز مفقود
وأما المكوحات: فمَبَالٌ في مَبَال، وحسبك أن المرأة تربي أحسن شيء فيها ويُرَاد أقبح شيء فيها

وأما الملبوسات: فأفضلها الديباج، وهو نسج دودة، ويؤول لتلاشي
وأما المشمومات: فأفضلها المسك، وهو دم فأرة.

وأما المسموعات: فريح هابئة في الهواء.

وأما المبصرات: فخيالات سائرة إلى الفناء.

والعاقل لا يترك ما يقى، ويتشبث بما هو أوهن من بيت العنكبوت، وحلاله حساب، وحرامه عقاب، وقد تنعب وتجمع المال ولست بأكبه، ويأكبه غير من جمعه.

فيقدر حزنكم - إخواني - على ما غانكم من التقرب إلى الله بأنواع الطاعات: على قدر زهدكم فيما أبعدكم عن ذلك المشتهى، وعلى قدر توكلكم في حطّم الدنيا وجمعها والكذب عليها، مع أن الحق تكفل بها: على قدر تراخيكم عن الآخرة، لأن الدنيا والآخرة ضربتان كما قال سيدنا علي - بقدر ما ترضى إحداهما تسقط الأخرى.

وقد قال الفضيل: لو أنّ الدنيا حُرقت على حلالاً لا أحاسب بها في الآخرة لكنت أنتقدرها كما يتقدّر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه^(١).

وإن كان - إخواني - ولا بُدّ فخلوا من الدنيا لأبدانكم لتقوى بذلك على طاعة الله، سيما إن أكلتم بهذه النية، فيكون الأكل واجباً في حقكم.

فاجتهدوا في أن تكونَ عاداتكم عباداتٍ ولا بدّ، فمهما أردتم فعلَ عادةٍ من العادات فجدّدوا لها البَءَ / ٢٣ / نصيرُ عَذْكم عبادةً وعِدْ غيركم عادةً، ولا تكونَ هي المفصدة الأسنى عندكم فتضيع أعماركم.

وليأكم ومفارقة زواويكم، فدونيكم وعمارتها في الأوقات التي تعامدنا عليها، وإن لم تنفضوا ما أمركم به مولانا محمد ﷺ فلا يقعْ لكم ضيّم ولا حَرَج، وكل من نعدى عليكم يُخَذَّل ويُمَكَّر به، وتكونُ عاقبةُ أمره خُسرأ

انتهى

(١) «حلية الأولياء» (٨: ٨٩)

* فائدة (١):

ينبغي للإنسان عند امتثاله الأوامر واجتنابه النواهي أن يتوَّي أنه يمثلُ أمرَ الله وأمرَ رسوله ﷺ، وكذلك جميع الصحابة وجميع العلماء الذين قالوا بذلك الحكم. وكذلك تصديقُ روحانية الإمام الذي قلده، وله في ذلك أجورٌ كثيرة لا يُحاط بها، وأسرارٌ تعود عليه، وإمداداتٌ ربانية تسوقه إلى حضرة الله تعالى، فيستمد من جميع ذلك.

وكذلك يوي بذلك تصديقُ سيديا جبريل وسيدنا إسماعيل وسيدنا ميكائيل [١]، واللوح والقلم الأهلين، والكرسي والعرش، لأن الحكم ينزل من الحضرة الإلهية إلى العرش بلا تفصيل، ثم من العرش إلى الكرسي وفيه يظهر تفصيله من أي حكم من الأحكام الخمسة.

وكذلك إذا سمعَ أمراً إلهياً يوي أنه يسمعه من سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، بحيث يكون في مشاهدة له دائماً.

ولا ينبغي أن يُحملَ على هذا قولُ أبي المباس المرمي وشيخه الشاذلي: «لو احتجب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عَدَدْنَا أَنْفُسَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ»، لأن المشاهدة الحقيقية لا تُطابق على الإطلاق دائماً، والعارفون رضي الله عنهم في طاعة دائماً حتى في الأنفاس، والحضرات، فيستحضرون أن ذلك كله طاعة، وأنه مأمورٌ به من قِبَلِ الشارع، وأنه صلى الله عليه وسلم يأمرُ بذلك الفعل أمرٌ إيجابٍ أو نَدْب، فيفعله، أو ينهى عنه نهْيَ تحريمٍ أو كراهة، فيتركه، فيكون في طاعة دائماً مع المشاهدة.

ولا ينبغي أن يُحملَ على هذا قوله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»، فإذا دخل الإنسان للصلاة فكلُّ فعلٍ منها أو ذكرٍ يقصد به امتثال أمر الله وأمر رسوله صلى

(١) هذه الفائدة ريادة من أمالي المؤلف رضي الله عنه في دروسه كما وجدته بخط العمري عنه

صلّى الله تعالى عليه وسلم، فيكون مقتدياً به في الصلاة كلّها، فيحصل له من الخشوع والمضور فيها ما لا يكتفى، ويترقى بذلك مراتب عليّة، ومقامات مصطفوية، ويحصل له انجذاب باطني للمحضرة النبوية.

وإد. تأمل واستحضر ما يهديه الله تعالى له ويمنحه إياه عند تكبيرة الإحرام وقراءة الفاتحة والسورة، أو العاتحة فقط، من الأنوار والفتوحات والفيضات والأسرار، واستحضر عظمة الله، وعبوديته له، وأن جميع الأفعال كلّها بيده، وأنه العامل على حقيقة، وأنه إنما هو آلة تتحرك بتحريك الله إياه، رفع يده عند إرادة الركوع إشارة إلى انسلخه عن جميع ذلك، وأنه ركن لله صغر الكفين خائضاً متذبذباً خاضعاً. فإذا ركن وحصل له من التجليات والأسرار والأنوار في ذلك الركوع ورفع منه: رفع يديه أيضاً إشارة إلى وقوفه منسليحاً عن جميع الأعمال / ٢ / التي تقدمت قبل الصلاة، وعن تلك الترقيات والأحوال التي حصلت له في ذلك الركوع.

فإد. سجد لله تعالى سجدة عبداً حقيقياً لا شائبة حرية فيه، فكان سجوده في ظاهره كسجوده في باطنه، فيحصل على مقام المناجاة.

فقد بان لك سرُّ رفع اليدين في الركوع والرفع منه، وهو من الأمور المفصّورات في الخيام، وسرُّ الرفع عند تكبير الإحرام اسلاحاً من جميع لأعمال التي تقدمت قبل الصلاة.

ولما نظر الإمام الأعظم أبو حنيفة - رضي الله عنه - إلى هذا السر العجيب، وامتنع العريب، وأنه أمرٌ خاصٌّ بالعارفين رضي الله تعالى عنهم، وأما من فعل ذلك كان متشبهاً بالمرائي: أنكر الرفع من حيث هو إلا لمن قام به سيئه أو تحقيقه من نفسه، فإنه منسوخ عنه ممن لا اصطلاحاً وإن كان ثابتاً عند البحاري ويسوغ لمن لم يدرك ذلك المقام أن يفعله متشبهاً بالسادة الكرام



النفائس الكثرانية

٩

سُفُنُ النجاة وكهوف العباد

تأليف

الإمام أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكثاني

المستشهد بفاس سنة ١٣٢٧ هجرية

رضي الله عنه

اللع طلع وصالح وبارك على النساء في جامعة الزيتونة تحت محمد حسين بن ابي الوفاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[illegible]

[illegible]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صل وسلم وبارك على المادة الأصلية التي تفرّعت عنها سائر المواد، وعلى آله وصحبه .

من محمد بن الشيخ عبد الكبير الكتاني إلى كافة إخواننا في الله تعالى، وأحبائنا من أجله، وأودائنا في سبيل مرضاته، [من هم] الأخير الأبرار، وأبادلون نفوسهم في ذات الله، والمعرضون عن الخلق في حب ما دافوه من حلاوة الإقبال على الله، الصادقون الأسعياء، الأشيخاء بمحبتهم أن لا يبدلوها إلا لمن يستحقها.

ساداتنا أهل مراكش كل واحد باسمه، واسم عشائره، سلام الله تعالى البر الرحيم على أخوتكم ورحمة الله وبركاته ما ثبت سائر لقرع الباب يؤشك أن يفتح له، وما غاب مقبل على الله تعالى عن حظوظه ورياسته وأعيان نفيه وشهواتها الحسنة التي لا طائل تحتها إلا مخور اسم صاحبها من ديوان أهل الصدق مع الله تعالى وأهله

أما بعد: فإننا نعهد لكم عهداً من حافظ عليها فله ما لنا وعليه ما علينا

العهد الأول

حفظ الرابطة الإخاتية والمودة الإيمانية مع بعضكم بعضاً، بحيث تجعلون جميعكم نفساً واحدة قائمة بذات واحدة. وليتظر كل واحد منكم هذا النظر ربما

تحصل منه نتائج؛ الإخلال بها هو الذي أوصل العالم الإسلامي لهذا الحد في جميع معمر الأرض.

فكيف وتجد الجمع مجتمعا وهو يصدق عليه قول العالم. ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [العشر: ١٤].

وما شرع - جل ثناؤه - الجساعة والجمعة والأعياد وصلاة انكسوف والاستسقاء، والموسم الأكبر بعرفة إلا للألفة والاتلاف وحسن الناحي، ولطيف تحكيم الروابط الدينية، حتى تألف القلوب على محبة الدين وخدمته، والشريف بالتلبس بشعائره والقيام بوظائفه، وقد يسري الأمان ما لبعضنا بعضا، فلا يشتم البعض منا البعض، ولا يتم عليه ولا يحسه، ونخلص الجفون من مساويء بعضنا بعضا، فلا نطمح إلا لمحاسن بعضنا بعضا، وذكرها ونشيرها

وبذلك ينظم شمل الأخوة الإسلامية، ويدوم التعااضد والترقي في المعارج التي تفتح رضوان الله الأكبر، وتفتح رضى المخلقي أيضا

فإنما شرع سبحانه الشرائع ليستر قبايحنا ومساوئنا لو علمنا سر مشروعيتهما، لأننا إذا امتثلناها قامت بنا المحامد واجتنبنا المذام، وبذلك يحصل قصد الشارع.

على نعيم قلبيك من ضاع غنره وليس له فيها نصيب ولا سهم^(١)

العهد الثاني

عدم إيقاع الصلاة إلا بزاويتكم، فإن أغلب الأئمة لا يحسنون قراءة فاتحة، ويجعلونها ثلاث آيات مع أنها سبعة، ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّاكَ سُبْحَانَ الْمَنَانِ﴾ [الحجر ٨٧]

(١) من شعر سلیمان الماشقي الإمام عمر بن القاروق رضى الله عنه

وقبيل من يَشُدُّ الباء من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة ٥]، وقليل من يُصْهِرُ
السين والثاء من ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة ٦]، وهل بلاحي مطلقاً أو في العانحة
بغير مميّز بين ضاد وظاء. خلاف

وأصل الشاعبة صلاة من يحفف الباء في «التحيات لله» في التشهد، / ١ /
والحال أنها ليست بقرآن

ومحارج الحروف قلت مراعاتها، لعدم إتقان علم القراءات والأداء.

وأيضاً فوادح الشهادة والإمامة كثرت في الناس، ولتراجم الفوادح في
«المختصر» وشروح «التحفة» و«التبصرة» لابن فرحون^(١)، ولتنظروا الخطأ^(٢)
عند قوله. «أو فاسقاً بجارحة» عطفاً على المبطلات تعلموا وجوب التحري في
الإمامة وجوب التوقي حين يُصلّى خلفه.

وبه يعلم ما ذكره الأجاهرة^(٣) في الاستفسار الذي ذكروه، وأن هذا تُع في
ابن بريرة^(٤)، وهو غير مشهور ولا بدأحصروا الخطأ واسردوه في هذا الموضوع

(١) «المختصر» هو مختصر سيدي خليل، و«التحفة» هي «تحفة الأحكام في نكت العمود
والأحكام أرجوة في القضاء لأبي بكر ابن عاصم المالكي، و«التبصرة» هي «تبصرة
الحكام في أصول الأنصية ومناهج الأحكام» للبرهان بن فرحون، وكلها مطبوعة الناصر
(٢) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد الخطّاب المالكي (٩٠٢-٩٥٤هـ)، والمقصود
شرحه على «مش خليل» المسمى «مواهب الجليل»، ونظر كلاته في حول هذه المسألة
(٢: ٤١٢، ٤٢٢)

(٣) لأجاهرة هم تلامذة الإمام علي بن عبد الرحمن الأجهوري (١٠٦٦هـ) من فقهاء المالكية
في مصر ومنهم: القرشي والزرقاتي، وانفرادهم بالقول غير معتد في المذهب، كما
حرره العلامة أحمد بن عبد العزيز الهلالي في شرحه لمقدمة «مختصر» خليل، وهو مطبوع

(٤) وهو الإمام العلامة أبو محمد عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد القرشي الثوسي المعروف
بأبي بريرة (ت ٦٧٣هـ)، ترجمته في «ميل الابتهاج» للنيكتي ص ١٧٨، و«معجم المؤلفين»
لكمالة (٢: ١٥٥)، ص

وأيضاً كثير من الناس يستعمل العبارة المسماة بـ التَّنْمِيحَة^(١)، وهي مبطلَةٌ للوصوء، وللصلاة والصيام، وكل عمل ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ^(٢)، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار^(٣)، والموائد وأهلها في النار.

المهد الثالث

الصلاة تكون سُنَّةً كما رأيتونا نصلي في الزاوية الكبرى^(٤) وهذاكم، فلا بد من عشر تسيحات في الركوع والسجود، فإنه أعلى ما يكفي، وفي الحديث فيمن قال ثلاث تسيحات: «فقد تم ركوعه»^(٥)، وذلك أدباء، أي أدب الواجب، لأن نقص على ثلاث تسيحات فلا صلاة، والمعدوم شرعاً كالمعدوم حقاً، والهدي النبوي فيه عشر تسيحات في الركوع والسجود كما في سنن أبي داود^(٦).

(١) التَّنْمِيحَة: هي خبيرة مثل الضحاط أو قريب منه تكبت داخل الأنف، وقد تحتوي على التبخ وغيره.

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) بلفظ: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد» من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها

(٣) رواه النسائي (١٨٨ ٣) برقم (١٥٧٦) من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٤) الراوية الكبرى هي الراوية الكتانية الأم في فلس، أم الروايا، التي بناها وأسسها جد المؤلف رضي الله عنه، الإمام أبو المظاهر محمد بن عبد الواحد المدعو بالكبير، الكتاني الإدريسي المتوفي عام (١٢٨٩هـ)، وهي الواقعة بحي «النطاني»، من حُدُود القرويين قرب جامع القرويين الأعظم وقد أرخ لها شقيق المؤلف، الإمام الحافظ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني في كتابه: «المظاهر السامية في النسخ والطريقة الكتانية»، في مجلدين حققهما مولانا الوالد العلامة الدكتور علي بن المستصر الكتاني، لم يطبع بعد، وقد نخرج منها أمانة ودعاة وقادة جهاد لا يحصون كثرة

(٥) رواه الترمذي (٢٦١)، وابن ماجه (٨٩٠)، وأبو داود (٨٨٦)، من حديث سيدنا عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه.

(٦) برقم (٨٨٨) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه، ولمنزه: «ما حبلت وروء أحد بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا المتن - يعني عمر بن عبد العزيز - قال: في ركوعه عشر تسيحات وفي سجوده عشر تسيحات»

وَعَسَ لِي بِأَسْمٍ مِنْ أَحَثِ وَدَعِ كُلُّ مَنْ فِي الْوُجُودِ يَرْمِي بِسَهْمِهِ
 لَا أَبَالِي وَإِنْ أَصَابَ فُؤَادِي إِنَّهُ لَا يَصُرُّ شَيْءٌ مَعَ أَسْمَةٍ
 وَفِي الْقُرْآنِ فِي جَنْبِ نَبِيِّ اللَّهِ [يُونُسَ] عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿مَوْلَا أَلَمْ كَانَ يَنْ
 السَّجِينَ﴾ لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ، إِنْ يَوْمَ يُعْتَذَرُونَ ﴿١٤٣﴾ [العنكبوت: ١٤٤-١٤٥].

ومن تكن همة تسموا به الهمم
 وبظير في سوى معنك حق له
 يعتصر من جفينة وفؤادهم
 والسمع إن جال فيه من يُحدثه
 سوى حديثك أسمى وفؤاد الصمم

العهد الرابع

أن لا يقوموا سرعين إذا فرغوا من الصلاة، فإنه أجمع أهل الطاهر والباطل
 على أن من علامة عدم قبول صلاة المصلي قيامه سريعاً إذا فرغ من الصلاة، مع
 تفويته نفسه صلاة الملائكة - عليهم السلام - عليه كما في الحديث: «إن
 الملائكة لتصلي على أحدكم ما دام في مُصَلَّاه، تقول: اللهم اغفر له، اللهم
 ارحمه، ما لم يُخْدِث»^(١) ولو بالكلام في الدنيا، ودعاء الملائكة مستجاب

كما قيل في قوله سبحانه: ﴿لَا تَقْرَءُوا الْقُرْآنَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [النساء: ٤٣]،
 حتى بمحبة الدنيا، وحب المحمدة والجاه والرياسة وكل ما يُجِلُّ بكمال
 الحضور مع الله تعالى فهو سُكْرٌ يمنع دخول حضرة الله تعالى الخاصة.

العهد الخامس

عدم إهمال أوراد الصلاة كلها كل وقت وقت، فإنها أوراد بويّة فيها فصل
 عظيم، لا تُترك.

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد من «صحيحه» (٢٧٣)، والسنن (٢/ ٥٥)، والإمام
 أحمد في «الزهدي» (٢١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه

ولا يَحْتَمُ أدويةُ الأمراض التي في الدات إلا من خَلَقَ فيها الأمراض،
والذي أنزل الداء هو الذي أنزل الدواءَ سبحانه، فإذا أهمل تَرَكُّبُ من توتبات
الشرايع تكافضت الأمراض، وعجز الدواء.

سبما إن طلبنا الأدوية من يطار، أو / ٢ / صَيَّرَني، أو حداد، أو حائك،
والحال أنها أنزلها الوحي ﴿ فَتَحْذَرُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ
مَقَاتِلٌ أَلِيمَةٌ ﴾ [النور: ٦٣].

العهد السادس

عدم ترك المذاكرة صباحاً بعد قراءة حزين من القرآن الشريف، تقع
المذاكرة في «المهود»^(١)، أو في كتبنا، ولو ثلث ساعة، وكلنا قُبيلَ الغروب،
لأن محلاً يحضره الروح الأعظم جدير أن يُعَمَّرَ دائماً ويُستَعَبَدَ في أرجائه

ومن لي بأن تعرض... إلح

وأما بين العشائين فلا يُترك التدريسُ لرسالة ابن أبي زيد^(٢)، فإنها تُورثُ
الفناء و

يا ضبيحة الأعمار تمشي سَبَهْلًا

العهد السابع

اتركوا الأوهام وسوء الظنون بالله تعالى ورسوله الكريم وأوليائه، فإن كان
الإنسان يعتقد أنه على الحق، فليترك البحرَ وهو^(٣)، ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْفَقْرَ فَقَدْ هُدِيَ

(١) أي: «المهود المحمدية» للإمام الشمرتي رضي الله عنه

(٢) هي رسالة ابن أبي زيد القيرواني - رحمه الله تعالى - في الفقه المالكي

(٣) أي: ساكتاً، والمعنى: وليترك الشأن على أصله دون تكثير.

إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ [آل عمران: ١٠١]، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِآلِ اللَّهِ هُوَ مَوْلَانَا فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ
الْحَكِيمُ﴾ [الحج: ٧٨]، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿أَن لَّيْسَ مِنَ الَّذِينَ وَلَا تَفَرَّقُوا فِرًا﴾ [الشورى: ١٣].

والدنيا بقوادها، وعَمَّالها، وقصاتها، وأمانها، فعليكم بالله وحده، ﴿عَلَىٰ
اللَّهِ تَعَوَّذْهُمْ لِيُخْرِجَهُم مِّنَ الْيَمِينِ﴾ [الأنعام: ٩١].

وكذا يوم الجمعة، فعهذه الله بيتا لا تتركوا المذاكرة، وقد قال الصحابي
دواؤه لو أوصلونا إلى بحر لعلمنا أننا على الحق وهم على الباطل.

تَبَايَهَ قَوْمِي إِذْ رَأَوْنِي مُتَبَعًا وقالوا: يَتَنُ هَذَا الْفَتَى مَتْنُ الْخَلِّ
ومادا عسى عني يُقَالُ سَوَىٰ خُذَا يُنْعَمُ لَهُ شُغْلٌ، نَعَمَ لِي بِهَا شُغْلُ
إِذَا أُنْعِمْتُ نَعَمٌ عَلَيَّ بِظُفْرَةٍ فَلَا أَسْعَدْتُ سَعْدِي وَلَا أَجَمَعْتُ جُمْلُ^(١)

العهد الثامن

لا تعملوا من أوراد الليل والنهار، فإن فيها السعادة الدنيئة والديونية،
وهي «عمل من طِبِّ لَمَنِ حَبٌّ»، «ما دنيا اغدمني من خدمني وأتعبني من
خدمك»

ويا ليت الإنسان إذا أقبلَ على الشوق للدنيا هذه المدة ولم تحصل منها
عطية أن يتشوق لربه ولرسوله وينظر هل تحصل عطية أم لا؟

(١) الأبيات من لامية ابن الفارض رحمه الله، التي مطلعتها

هو الحب فليكن بالحق ما الهوى سهل

فما اختارة نفسي يد ربه فقل

وهي في «ديوانه» ص: المطبوع

العهد التاسع

كُلُّ مَنْ عُدَّتْ لَهُ خُطَّةٌ^(١) أَوْ عَيَّرَ لَهُ شَعْلٌ فَلْيَرْخَهُ، وَلَا يَنْجِ بِمَعْصُكُم عَلَى بَعْضٍ، وَلَمْ تَنْتَظِمِ الرَّايَةُ الرِّبَاطِيَّةُ إِلَّا بِهَذَا الْعَمَلِ، فَاسْتَقَامَتْ لَهُمُ الْأَحْوَالُ وَالْبُرْدَةُ^(٢) اجْتَهِدُوا أَنْ لَا تُتْرَكَ، فَإِنْ ذَكَرَ الْكِمَالَاتِ الْمُحَمَّدِيَّةِ يَطْمَأَنَّ عَصَبُ الْجَبَارِ جَلَّ لُطْفُهُ

واعجباً! النصرُ الأَمَارَةُ تنمر على صاحبها إلى أن يصيرَ الرانسُ مرؤوساً، وللمتبوعِ نصيرُهُ تابعاً، وأيّ شيءٍ هي الدنيا يحذاقيرها حتى يقعَ تَكَذُّرُ الْأَحْوَةِ الدَّهْنِيَّةِ مِنْ أَجْلِهَا! فَكَيْفَ بِمَا لَا يَسْمَنُ وَلَا يَنْثِي مِنْ جَوْعٍ؟!

وكيف يُعَاد على الولايةِ عَدَمُ تَنْظِيمِهِمْ لِأَحْوَالِ الرِّعْيَةِ عَلَى اتِّسَاعِهَا فِي الْجَمْعَةِ، وَلَا تُلَوِّمُونَ أَنْفُسَكُمْ عَلَى عَدَمِ قُدْرَتِكُمْ عَلَى تَنْظِيمِ رَاوِيَتِكُمْ، وَهِيَ أَدْرَعُ، أَوْ شُؤُونَ دَارِكُمْ، وَهِيَ كَذَلِكَ

فَلَمْرَاقَةُ رَأْسِ الْأَعْمَالِ، وَحَسَنُ الْأَعْمَالِ، وَدُرُوحُ الْأَعْمَالِ، وَرَبُّ ٣ / ، الْأَعْمَالِ، وَمَادَةُ الْأَعْمَالِ، وَالْعَوْنُ عَلَى الْأَعْمَالِ، وَعُضْوَانُ قَبُولِ الْأَعْمَالِ، وَهِيَ أَقْوَى عُزَى الدِّينِ؛ «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَمَلِكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَلَيْسَ بِرَأْيِكَ»^(٣)

العهد العاشر

أَنْ لَا تَتْرَكُوا أَوْرَاداً مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.
إِذَا الْأَحْبَابُ فَاتَهُمُ التَّلَاقِي مَا حِيلَ بِأَعْظَمِ مِنْ كِتَابِ

(١) خُطَّةٌ أَيُّ وَجْهَةٍ

(٢) «الْبُرْدَةُ» لِلْإِمَامِ شَرْفِ الدِّينِ الْبُوصَيْرِيِّ الصَّهَابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي مَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَلِلْمُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَمْلِيْقٌ عَلَيْهَا

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٥٠) وَمُسْلِمٌ (٩) مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وقد قال حلالُ البوَّة لأبي المواهب: اشتعلت عنا بوَّرداتك والمرآن مرتعُ
الأولين والآخرين، وفيه عجائبُ من قبلنا، وحيرنا وما بعدنا، فكيف شغل
بعيره؟ ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْحِكْمَ بْنَ عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً
وَرَصْدَةً لَيَقُولُنَّ سُوءٌ﴾ [الشكوت: ٥١]، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ
كُلِّ مَثَلٍ لَّئِنْ أَكْثَرَ النَّاسُ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الاسراء: ٨٩]

العهد الحادي عشر

مكارمُ الأخلاق السوية التي لا تنصلح الأمور إلا بها، وهي أن تصلوا من
قطعكم، ونعموا بمن ظلمكم، وتعطوا من حرَمكم.

وتأملوا وصفَ عبادِ الرحمن إلى آخر الآيات [المرقاة ٦٣-٧٧]، ووصف
المؤمنين، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون ١-١١]
إلى آخرها، ووصفَ سورة التوبة: ﴿التَّائِبُونَ...﴾ إلى آخره [التوبة: ١١٦]،
فتمهَّنوا معانيها، وتدبروا أسرارها، واطلبوا [منه] - جلَّ اسمه - أن يعيكم على
العمل بها فيها ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِمِلَّةِ رَبِّهِ لَعَنَّا﴾
[الكهف ١١٠]

واستودعكم الله



النفائس الكتانية

١٠

الأمالي في عِلْمِ الأُمّهات

نألف

الإمام أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني

المستشهد بفاس سنة ١٣٢٧ هجرية

رضي الله عنه

الاقا لجميع علماء الامتياز

للشيخ ابا كبر والعارف الماشهور مع العارفين والافاضة
ومعيد الدرر ابي القاسم محمد بن ابي الفوارس الكوفي النعماني السجستاني
ابن الفكار بن الشيخ مرثا بن محمد الكوفي الشافعي الحنفي المازني
بعض الامميين واقاد عليا من تركت تفتا ايمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأمالي في علم الأمتات

لمحمد بن عبد الكبير الأحمدى الصديقي الكتاني
جواباً عن مسألة

الحمد لله الذي لا ينفي الحمد إلا له، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
حاتم النبوة والرسالة، المبلغ لنا عن الله. ﴿وَمَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الحل ٨]،
﴿مَا يَنْتَجِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا تُحِيطُ بِهَا وَنَا يُشِيرُ فَلَا تُرِيدُ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْغَرِيبُ
لِلنَّاسِ﴾ [مطر ٢]، وعلى آله وصحبه الحكماء الرحماء السجباء الخُصماء
النفباء، الناقلين لنا عنه: «مثلُ أمي مثلُ المطر، لا يُدرى أولُه خيرٌ أو
آخِرُه»^(١)، فلو كنتموا شيئاً من الوحي لكنتموا هذا، لما فيه من شِيمة الإنصاف
وإعطاء المراتب حقها، مع علمهم أنهم بمرأى ومسمع ممن جُمع فيه كمالُ
جميع الدوائر الإلهية والأسماوية والصمائية، ولم يُقْبَسْ كمالٌ من الكمالات

(١) أخرجه أحمد (٣١٩ ٤)، والبراء (٢٨٤٣)، وابن حبان (٧٢٢٦)، والطبراني (٦٤٧)، وله
شواهد عدة، قال الهيثمي في «مجمع الرواة» (١٠ ٦٨) «ورجال البرار رجال الصحيح
غير الحسن بن قزعة، وعبيد بن سلمان الأعز، وهما ثقلان، وفي عبيد خلاف لا يضر».
قلت - الناشر - قد ضمه الروي في «فتاويه» ص ٢٨٢، لكن تعقبه الحافظ السخاوي
في «المقاصد الحسنة» ص ٣٧٥، ونقل تحييه عن أبي عبد البر. لم.

العبيية أو الكوبية إلا وليست مقتنسة إلا من مشكاة باطية سر سيدنا محمد،
سوء الأرائل والأواحر، وشرفوا بمكافحتها بدون حُجْرَة ولا حجاب إلا من كان
من لطيفة السيف في غمّيه: المعلم الأويسى^(١)

ورضى الله عنهم، وردّهم من رضى بيك عنهم، وعليه وأحابيا معهم يا
ربّ الأرباب

هذا وقد ورد علينا سؤال من عند أئمتنا الولي العظيم، الصفي الكريم أبي
العباس سيدي أحمد بن محمد بن الطيب الغلالي^(٢)، عمر الله لنا وله، في
الجواب عن اصطكاك وجوه ناشير يُنْزِلُ بها أدوائ أهل الكمال من كون كل
مهم يُعْتَوَّن أن لا رتبة إلا رتبته، ولا مشرب فوق مشربه، ولا حُلّ ثُفْرُع على
أحد أشرف مما كسبها هو، ولا معارج تُنْصَبُ للرُقْي في مدارك المعارف
والمواهب اللدنية إلا ما نُصِبَ له، ثم يأتي آخرُ فيقول مثل ذلك أو أعظم

فكيف يُهمهم مغزى هذا المنحى، وكيف يُكشَعُ الفأث عن هذا المرمى^(٣)!

فنقول مستمداً من حضرة البسطة، وقد سميت الرسالة.

(١) أي: المعلم المأخوذ من باطنه صلى الله عليه وآله وسلم

(٢) هو العلامة الماروف الشارف أبو العباس أحمد بن محمد بن الطيب الغلالي
الجاوري الإدريسي الحسني، أحد أساتذة جامعة القرويين المشرقة، ومن أخص تلامذة
وأصحاب المصنف رضي الله عنه، أخذ عن كبار علماء طس خاصة شيخ الجماعة أبا عبد
الله محمد بن المديني كنود، وشيخ الجماعة أبا المواهب جعفر بن إدريس الكناشي
الحسني، وشره المصنف رضي الله عنه بمقامات عالية في التصوف، كان حابداً زاهداً
قواماً صواماً، إماماً من أئمة العلم، ترك عدة مصنفات منها كتابه حافلة مريرة بالعلوم
ملاها بسماعات من الفقه كنود، والإمام أبي الفيض - رضي الله عنه - وخيرهما من
مشيخة طس، وهي بين يدينا، وله منظومة في ألف بيت في ترجمة شيخه الإمام أبي
الفيض - رضي الله عنه - رائعة في بابها، طبعت بالمطبعة المعجزة بعاس واسمها «الغية
«مريدة»»، وله غير ذلك، وقد توفي رحمه الله ورضي عنه بتاريخ ٨ ذو الحجة ١٢٢٤هـ

الأمالي في علم الإصهارات

وقد اشتملت الرسالة من العلوم على اثنين وتسعين عمداً بحمد الله، لا محمد أحد، والحمد لله كما يسعي لجلال وجهك وعظيم سلطانت

[المقدمات]

ولكن لا بد من تقديم مقدمات /١/ غامضة، منها وهما وبها يتشبه العلمُ بامواطن حتى تُنزل الأشياء منزلتها، ولا تُخسر في المبران كما لا تُهملُ أولاً، كما لا يطمئ فيه

وعلم أن الكلمات الهائلة لا تخلو إما أن تُصدّر عن عالم عارف بأفانيس العلوم وأسايب الكلام ومن أين انتشأت العلوم من الدوائر العينية، وما وجه النسبة الكونية التي تطلبها، وما الحقيفة التي اقتضتها، وما الدوائرُ الأسماوية المنعملةُ عنها وجهٌ ملاحظها ومشارئها من جس ما انتشأت منه وعنه، لا من جنس النظر والفكر، فذلك لا يسلم من الخطأ عند أهل الكشف، لِمَا أن كل شيء لم يُنزل عن أصله فاعالب شويّه بالشوايب

ويكونُ أعرف أهل وقته بالسنة ومواطنها وما تقتضيه رتبها، وأعرف الناس بأسرار الحضرة الأحمديّة^(١) الغيبة المطلقة من أهل التقليد في علم الأسرار،

(١) الأحمديّة هي مقام يستقي فيه السالك من مشكاة ناطقه ﷺ، وهي أخص وأصدق من الأمداد المحمدية، حتى أنكّر بعض كبار المارمين إمكانية استمداد أحد من الحلوق منها، وكان المصنف ممن جاهر بالاستمداد منها - رضي الله عنه - والحرص في لججها، والذئ من ذلك في كثير من مصنعاته وانظر الاختلاف في ذلك في كتاب «جلاء الأصداء من القنوب العبية» في بيان إحاطته عليه الصلاة والسلام بجميع العلوم الكونية» المجلد الثاني، (تحت الطباعة)، وهو في ثلاثة مجلدات كبار، تأليف ابن خال المصنف، شيخ الإسلام محمد بن جعفر الكتاني الحنسي رضي الله عنه ومن تكلم عن الختمية الأحمديّة بخصوص والحنمية في العموم سجل المصنف، الإمام محمد الباقر رحمه الله تعالى في كتابه «الروحة الندية في إثبات السقي من الحقيفة الأحمديّة»، بما لا يوجد في غيره، وهو مخطوط

الناس بحقائق العوس وبحقائق الأرواح، وحقائق أرواح الموجودات على اختلاف مراتبها في العلم والطبيعة، وما يقتضيه منها العالم وما يطلبه منها العقال، لأن الحضرات الأسمائية من باب السبب التي لا تُعقل إلا بين اثنين، معقار لمن؟ ورحيم وتواب على من؟ وشكور لفعل من؟ وعليم بمن؟ ومهيمن على من؟ فلا بد من الفاعل والمنفعل عنه، وهذا علم طام واسع الدين

وأعرف الناس بحقائق الأشياء على اختلاف مراتبها، فإن كان هكذا، ولآخر كذلك، فيحتاج للجواب دفعا للتمارض الواقع بين كلاميهما، لأنه إن لا يُهمل واحد منهما لما اشتمل عليه مقامه من جمعية المراتب والكمالات، فما مثل واحدٍ منهما أن يُهمل.

وأما إن لم يكونا على هذا الشق، فلم يَدْخُلَا حتى يُحتاج لإحراجهما، وإن لم يتكافأ بأن كان فيهما الفاضل والمفصول، فالتعادل والشرايح معلوم

ولا مفاضلة عند العقلاء إلا بالعلم أو الشرف الطيني والديني، والمراد بالعلم ما قدمناه آنفا بشريطته.

وإن تكافأ فليس لا وُضِعَ هُتَّةٌ في العلم أو رَبُّ التحامل ربما يَنْمِصُ حَقُّ واحدٍ منهما

والقول الفصل ما يملأ عليك في صورة وصول

وَصُلِّ

[الموجودات من حيث هي مرتبطة بحضرات الأسماء والصفات]

اعلم أخي أولاً أن الموجودات من حيث هي مرتبطة بحضرات الأسماء والصفات ارتباط السبب والمسبب، وارتباط الفاعل والمنفعل عنه

وصل

[مقتضيات الأسماء والصفات في نفسها ليست متحدة]

ولنعلم ثانياً أن مقتضيات الأسماء والصفات في نفسها ليست متحدة، بل مقتضياتها بحسب ما تُعطيهِ رتبة الاسم، وبحسب / ٢ / ما يُطلب، وما يُطلب منه، وأعرف فيمن وجو مقتضاه. هو مقتضاه، ومن وجو مقتضاه بحسب من يُطلب من بفعل له نظير ما قيل: لَوْنُ الماء لون إناء.

ومن فهم هذا العلم أيقن المعنى المراد من آية ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ [البقرة ٥٦]، وآية. ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُخَذِّلُونَكَ﴾ [الأنعام ١١٨-١١٩]، فإن بين الآيتين تشكيكاً طالما سألنا عنه الفقهاء، ونشكك في تبيانه أوقاتاً ولا يفهمون مغزانا.. تأمل.

وصل

[مقتضيات الأسماء والصفات متحدة في مدلولها]

واعلم ثالثاً. أن الأسماء والصفات وإن كانت مقتضياتها من وجو متباينة، فهي متحدة في المدلول من وجو آخر.

فمر قال: إن الاسم عينُ المسمى، فلا يبعد أن يسي على هذا السق، وينتج أيضاً على هذا أن لا يُحصن اسمُ الجلالة بالجمعية، فيدل إنه «سم جامع، بل جميعُ الأسماء جوامعُ باعتبار اتحاد مدلولها كلية لا كلاً.

ومن هاهنا ينتج قول من قال: لا يصح التعلق بأحلاق الله، من المتكلمين، فهذا ملحقه.

وهذا علم كالقانون يسج لك علوماً منها.

- علمٌ من قال «كُلُّ مجتهدٍ مصيبٌ» وما ملحظه،
 — وعلمٌ من قال «المصيبُ واحدٌ»، وما مثارُه،
 — وعلمٌ الأصوبِ من القولين، أو هل المصيبُ محطٌّ من وجهٍ أو
 المحطُّ مصيبٌ من وجه،
 — وعلمُ الحصرة التي تعطيك هذا الوُشْعُ،
 — وعلمُ افتقار الممكن للمؤثر، وسرُّ افتقاره للواجب عند المتكلمين
 — وعلمُ ذلك عند أهل الحقائق، والفرق بين افتقار الممكن من حيث هو،
 وافتقار العرضي لغير يقوم به، وهل افتقار العرضي كافتقار الجوهر،
 — وعلمُ افتقار الجوهر من حيث هو جوهرٌ، وافتقار العرض من حيث هو
 عرضٌ، وافتقار عالم الإمكان من حيث هو إلى الواجب الوجود هل هو
 متفاوتٌ فيكون من قبل المشكك، أو: الجوهرُ لما أُقيم في مظهرية الافتقار إليه
 هل يثبُر عليه ذلك سيادة في نفسه لأنه لما احتيج له صار كأنه مدبرٌ، فتمسُّصُ
 عبوديته في نفسه من حيث ما شعله من التعاطف^{١٩}؟
 — وعلمُ أن كونَ العرضي أيضاً لما كان من الأشياء فإنه يسَّحُّ بحمده، فهل
 نسيبُه يقارنُ الجوهرَ بماله من البرية أم لا؟،
 — وعلمُ ما يترتب على هذا،
 — وعلمُ أن كونَ جميعٍ من يُطلق عليه الشيء فهو حيٌّ حياةً حقيقيةً عقليةً
 لا حاليةً، ومنه ما هي الحديث. «لا يسمع مدنى صوت المؤذن شجرةً ولا حَجَرٌ
 إلا شهدَ له بذلك يومَ القيامة»^(١)، ولا يشهد بالتوحيد من ليس بحيٍّ ذلك مُحسِّنٌ
 عالمٌ، فما أَحَجَّبَنَا عن الله وما أَجْهَلْنَا بأهله وفي الحديث: «يقول الثوبُ الوسعُ

(١) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (١٨٣)، والإمام أحمد (٦٣، ٣٥، ٤٣)، والبخاري (٦٩)، (٣٢٩٦)، (٧٥٤٨) بمعناه. والساني (١٢: ٢) في «الكبرى» (١٥٢٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

لصاحبه / ٣ / . إن كنت مؤمناً فاعسلي^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَئِنْ لَمْ يَنْهَئُنَا اللَّهُ عَنْهُ لَفَعَلْنَا إِيَّاهُ﴾، فانظر قوله: ﴿أَسْأَلُ كُلَّ شَيْءٍ﴾

ومنه قوله: ﴿فَالْتَمَسْنَا لَهَا لَهْجَتَهَا وَأَتَيْنَاهَا آدَمُ﴾، وقوله الهدد حكيمة عن حان بلقيس ﴿وَهَدَّيْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْءِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الزل ٢٤]، فانظر كيف عليم الهدد حقيقة التوحيد وأنه ينامي الإتيانية، فلا يغيب غير الله لمن ادعى الإيمان به

ومنه قوله - أي موسى عليه السلام - «ثوبي حجر، ثوبي حجر»^(٢)، أي يا حجر، والحجر فارٌّ بثوبه، فالأمر مُعْجِزٌ في حالة اقتصائه، وإلا فالحجر حيٌّ قبل تلك الواقعة، لكن لعدم مقتضي لم يفعل ذلك، والباطل طويل مدوك لقرآن فإن أهلاه لمعمر، وإن أسعاه لمغنيق

- وعلم سرّ حجاب هذا العلم عن الأذان والأبصار مع أنه معين على أدء حمل التكليف على وجهها لو كوشفوا به، كما تنزجر الناس إذا كلمتهم ابدابة آخرأ، قال تعالى ﴿وَلَا تَقْعُ الْكَلِمَةُ عَلَيْهِمْ أَنْزِلْنَاهُمْ ذِكْرًا مِنَ الْأَرْضِ تَكْلُمُهُمْ أَنْ النَّاسُ كَانُوا بِغَابِرَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [الزل ٨٢]، فلا ينعمهم تأويل القرآن إذ ذلك ويقولون إن التسيخ بلسان الحال، فقد أيقنهم الحق آخرأ وإن أبطن حقيقة الأمر صهم أولاً، وما أيقنوا به آخرأ أيقننا به أولاً

فكم شاعنا من هذا في بداية دخولنا للطريق وما لا يحصره، حتى علمتني الحمادات عند الناس علم المراقبة مع الله، وعلم المراقبة مع الحواطر المُخْتَلِجَةِ

(١) لم أجده

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣١٥)، والبخاري (٢٧٨)، (٢٤٠٤)، ومسلم (٢٣٩)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

فيها، فلا تدخل إلا وأنا على حالة حسنة، بمجرد ما قد احلني الحواضر تشكيت
بالحالة التي وجدت عليها قلبي، فلا تحرج إلا وهي على صور حسنة يتفتح بها
كل رائيها إن أن ترفع مع العمل الصالح الذي يرفعه الله، وبهذا كن صابحاً لا
بغير هذا العلم، وعدم المراقبة مع علم التكليف جملة، لانا حملها أولاً جراً
عن الله، لأنها ما أمرنا بها نحتيماً وإنما عرّضت علينا، فأما الإنسان فدعى أنه
يقدر على حملها فوكل إليها، لما في الحديث «من طلب الإمارة وُكل إليها»
وقن لم يطلبها أعين عليها»^(١)

فعلمتني الجمادات لنا شاهدت حياتها الأدب مع التكليف من حيث هي،
ولأجل هذا سقانا الحق: ظلوماً جهولاً، فافهم.

— وعلم التكليف، وقد أوضحت هذا في «البحر الحضم»^(٢) بما لم أراه
لغيري من العارفين.

— وعلم أن تبيحها هل هو واحد أو كل بات بل كل موجود له تبيح
خاص، وهذا العلم أتمت فيه مدة وأنا / ٤ / بمراكش، وكم اقتحمت عليه من
أخطار.

— وعلم أن المرؤوس قد يستخدم الرئيس، وذلك شرف للرئيس ولُب من
المرؤوس لا نقص فيهما،

— وعلم ارتباط العالم العلوي بالعالم السفلي،

— وعلم ارتباط العالم العلوي بالعلوي،

— وعلم ارتباط العالم السفلي بالسفلي،

(١) أحرجه البحاري (٧١٤٧)، ومسلم (١٦٥٢) وغيرهما من هذا الرحمن بن سبرة رضي الله
عنه.

(٢) هو كتاب «البحر الحضم في شروط الاجتماع بالسبي الأعظم» للمصنف رضي الله عنه.

- وعلمُ ارتباطِ العالمِ الشريفِ المتكثّرِ بِمُحْصِرٍ واحدٍ، وقد لا يكون شريفاً،
- وعلمُ الارتباطِ الروحاني من حيثُ العِشْقِ،
- وعلمُ ما الذي يقتضي وجودَ التآخي في العالمِ،
- وعلمُ ما الذي يكره ولا يطلبه مع أنه الواقع، ومع أنه من الشُّبُهات في
- العواميس الحُكْمِيَّةِ، فأحرى في الشرائع الوضعية
- وعلمُ الأصل في العالم هل هو الائتلافُ أو الاختلافُ،
- وعلمُ الأصل في التكوين: التلوين أو التمكين،
- وعلمُ أنَّ التأويلَ مقصورٌ على الراسخين في العلم بحلّالِ التفسير وليس
- من السهل الممتنع،
- وعلمُ التشاؤمِ الواقع في الكون ما سيبه،
- وعلمُ أنَّ العلمَ بِمُحْصِرَاتِ الأسماء والصفات لا يقتضي التقييدَ في
- الكون، وإنما يقتضي الإطلاقَ والوُسْعَ، ومن هاهنا قيل إنَّ له طرائقَ على عدد
- أعاس الحلائق
- فيا لِلْمَحَبِّ مِمَّنْ لا يَنْدري، ولا يدري أنه لا يدري، فهذا يُجْتَنَّبُ ولا
- يُحَالَطُ، لأنَّ النَّظَرَ إِلَى الْغَافِلِ شَمُّ قَاتِلٍ
- ويكفي هذه العلوم، فإن تفصيلَ ما تقتضيه تلك الألف لا يفي به الوقت

وصل

[لكل اسم من الأسماء الإلهية مقتضى]

فلنعلم رابعاً أنَّ الأسماء الإلهية لما كان كل اسم يطلبُ إظهارَ مقتضاه،
بل كل اسم له مقتضياتٌ لما أنَّ كلَّ اسمٍ - وإن كانت ملاحظة فيه الاسمِيةُ
الاسمائية - فقد تُلاحَظُ فيه الوصفيةُ كما تُلاحَظُ فيه العلميةُ الداتيةُ

ومن المعنى الثاني يُعَلَّمُ أَنَّ من قال إن الاسم «الله» علمٌ على الذات فقط
عملةً عن هذا الملحظ، وإلا فالوصفية ملاحظة فيه، لأنه علمٌ على ذاتٍ متصفةٍ
بصفته، وهي الألوهية، كالأسماء الإلهية الأخر فكلُّها مُلاحَظٌ فيها العلمبة على
الذات مع ملاحظة الصفة

فما تَمَّ اسمُ إلهيٌّ يدلُّ على الذات مجردة عن الصفة، لا، لا ما رأياه وما
حسنتاه، إلا أن يكون من الأسماء المستأثر بها في علم الله، ولم يظهر
ومن ههنا فاتت من لم يلاحظ هذا الملحظ علومٌ

— علمٌ بأن ليس تَمَّ اسمٌ يدلُّ على الذات فقط بدون ملاحظة الصفات أصلاً
— وعلمٌ أن الوصفية ملاحظة في الاسم الجلالي زيادةً على ما قالوا فيه،
ليس باسم ذاتي بحت.

— وعلمٌ أنه كالأسماء الإلهية / ٥ / في الجمعية بين ملاحظة الوصفية مع
العَمِيَّة الوضعية

— وعلمٌ أن التعظيم في هذا أبين لِمَا أَنَّ حضرة الاسم بهذه الملاحظة نصيرُ
أَوْسَعَ منه - قبل - وأفتح أثراً، لأن الذات حضرة تَهَيَّ وخَرَسَ، لا يصحُّ التلغى
عنها مباشرة إلا بالبرارج، فلما لَوَحِظَت الصفات صارت حضرة أَوْسَعَ منها -
قبل - بالنسبة للأثار الكونية.

وهذا الذي قلناه ياسب قولُ الأشاعرة أهل السنة أن لذات تعملُ
بالصفات، لا كما تقول المعتزلة من أنه يقدر بالذات ويعلم بالذات ويريد
بالذات ويسمع بالذات، ففيه إثبات صفات المعاني^(١).

ثم إننا قلنا: إنَّ كلَّ اسم له مقتضى من مقتضيات، وعلمنا أن أسماء
الحق كثيرة ليست محصورة في التسعة والتسعين كما يدلك عليه حديثُ «للهم

(١) صفات المعاني عند الأشاعرة هي المجموعة في قول الإمام ابن عاشر المالبي رحمه الله تعالى
وقدرة إرادة علم حياء سمع كلام بصو، دي واجبات

إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك. ^(١)، حَرَجَ لَكَ مِنْ هَذِهِ نَتِيجَتَانِ

الأولى: علمُ أَنَّ الأثرَاتِ الكونيةَ شُؤُونُهَا هي مقتضياتُ الصفاتِ، وعليه فلا تثبتُ على سحرٍ واحدٍ، لِمَا أَنَّ مقتضياتِ الصفاتِ ليست متحدةً في نفسها
الثانية: أَنَّ الكونَ لا يشبه بعضهُ بعضاً.

وَإِذَا رَصَلْنَا إِلَى هَاهَا

وَصِلْ

[التجلياتُ الإلهيةُ دائمةُ التدفقِ على الدوائرِ الكونيةِ]

فاعلم أَنَّ التجلياتِ الإلهيةَ دائماً تتدفقُ على الدوائرِ الكونيةِ، ولا تحصى لحظةً من اللحظاتِ إلا والحقُّ خَلَّاقٌ فِينَا على الدوامِ، شَمَرَ بِدَلِّكَ مِنْ شَمَرٍ، وَذَهَلَ عَنْهُ مَنْ لَمْ يُزَرَقْ جِلْمَ المراقبةِ.

ومن هَاهَا صَحَّ لأبي حامدٍ أَنْ يَقُولَ: «ليس في الإمكانِ أبدعُ ممَّا كَانَ»^(٢)، لِأَنَّ مَا ثَمَّةَ أَشْرَفَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الإلهيةِ المشرقةِ بِالْإِدْلَالَةِ عَلَى مَدْلُولِهَا، وَلَا سِرٌّ أَفْضَلَ وَلَا أَشْرَفَ وَلَا أَمَجُّدُ مِنَ الْحَضَرَةِ الإلهيةِ.

(١) أخرجه جماعة منهم أحمد (٣٧١٢)، وأبو يعلى (٥٢٩٧)، والطبراني في «الكبير» (١٠٣٥٢)، والبرار (٣١٢٢) في «الروائد»، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠١٦٦) «ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح، غير أبي مسلمة الجهمي، وقد وثقه ابن حبان». وهو جزء من حديث
(٢) هذه المقولة وقوله لحبيبة الإسلام الفرائي رضي الله عنه قام على منهاها حلالٌ كبير بين العلماء، وصُغت فيها رسائل، للمصنف رضي الله عنه، مصعب في توجيه معناه وانتصار لها، سماه «هوان اليان والبيان، الشاهد لليس في الإمكان أبدع مما كان»، وختمته في «خيمة الكون»

لما في الإمكان أبدع من العالم، وليس فيه أنها تقدر على وجودٍ أبدع منه أو لا تقدر، لأننا قلنا آنفاً: «وإن الحقَّ خَلَقَ فيها على الدوام»، بل هو قال «أبدع مما كان»، أي سبق به علمٌ أم الكتاب، ولا مزيةً أنها لا تقبل التبديل بخلاف الواح المحو والإثبات، فافهم فإنه نفيسٌ.

وصل

[التجليات لا تتشابه في نفسها أصلاً]

واعلم أن التجليات لا تتشابه في نفسها أصلاً، وإن كانت يتجلى بها متشابهة كميم الجنة، فيظن الرائي والمتجلى عليه أنها كالتي قبلها، وأنها غيرها، وإنما وقع التشابه فيها، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَاهُ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، وما للعبج أن الثانية تشبه الأولى، والرابعة تشبه الثالثة، والتاسعة تشبه الثامنة /٦/، وهي غيرها! فاختلفت التجليات بها والصورة واحدة

ومن هاهنا يُعلم

— علم العصا الموسوية: هل انسلخت عن جماديتها وليستها الشعبية، أو لا زالت على جماديتها واحتلفت عليها الصور، ولا يُهمُّ هذا إلا من باب:

— علم النشور في الطي، والطي في الشر،

— وعلم تكافئ الأعداد،

— وعلم الجمع بين الضد،

— وعلم أن لا ضد،

— وعلم أن ليس في العالم من حيث الوجود إلا متميز، ومنه:

— علم الكتاب الذي حرق به ﷺ على أصحابه، وقال «هو من عدد

ربكم»، وقال «إن في هذا علمَ أسماء القبائل وأسماء آبائهم إلى يوم القيامة،

وفي الأحرار الأشقياء وأسماء قبائلهم وأسماء عشائرتهم^(١)، وهما كتبان انصما على هذا وهما في يديه الكريمين! فافهم.

وصل

[لا مشابهة بين العالم]

واعلم أخي أنك إذا توعلت في هذا العلم، وصدقت أعلته، ولم تحكّم العقل غير المؤيد بالكشف المصريح الذي لا يقبل الخطأ أبقت أن لا مشابهة أيضاً بين العالم، لاختلاف طوارق التجليات عليه، ﴿وَمَنْ يَلْمِزْهُمْ فَخَلِّقْ الشَّكْرَ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السَّمْعَ وَأَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ لَا يَكُنْ لِلْمَلَكِينَ شَيْءٌ﴾ [الروم ٢٢]، ولي في هذه الآية أيضاً دليل على حياة الجمادات، وتحققت أن تنجني هذا لا يشبه هذا، وحال هذا لا يشبه حال هذا، ومقام هذا لا يشبه مقام هذا، وعقل هذا لا يشبه عقل هذا، وملاحظة هذا لا يشبهها هذا، كما أن الألسنة تختلف، والصور مختلفة، وكما أن الاختلاف في عالم المحسوسات كذلك في عالم المعنويات

[الكلام على مقامات الولاية]^(٢)

ومن هاهنا تعلم أن لكل من أهل الكمال دوائر وحضرات وعلامات وعلومًا، ومعارف وفوائد وأسرارًا، ومقامات وتجليات وشارات، تناسبت مقامهم الذي طُلب عليهم وخُتموا فيه، فإن التجلي لا يقبل في نفسه التكرار، ولا يتكرر، فما في العالم تكرر بوجه

(١) أحرجه الترمذي (٢١٤١)، وأحمد (١٦٧.٢) وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه

(٢) تكلم المصنف - رضي الله عنه - أكثر في هذا الباب، واستدل لأقواله في كتابه «الكمال المتتالي» و«لسان الحجة البرهانية» الأول مطبوع في المطبعة المحمدية بعلم، والثاني بها بيروت

وعليه فلكل من الله علامات وأمارات ودلالات فيما بيده وبيده، غير أن المقامات منها الصغير والأوسط والوسط والكبير والأكبر، وتعمّم الحصرات والإمدادات بحسب شغوف المقام وعلوه.

فإن مقام القطب - مثلاً - فوق مقام الأبدال والأخبار والعمد والمجباء والبقب، لأن له علامات مع الله تعالى لا يجدونها في أنفسهم، فيس أحس علامات وأرشقها: أنه إذا نُصِبَتْ له صعدة القُطْبانِيَّة وصارت جتود السماوات والأرض تدخل عليه لتبايعة على حسب ما يعلمه أهل الفتوح الكونية؛ فإنه بمجرد ما يدخل الداخل / ٧ / عليه يُفْتَحُ عليه يعلم لم يكن عليه قبل، يُمدُّ به الداخل عليه المبايع له، وكذلك الداخل عليه يأتيه بتحفة من الله يتحفه بها لا يعرفها هو في نفسه، كان الداخل ملكاً أو روحانياتياً أو حيوانياً أو معدنياً، فإنه بمثابة حامل الرسالة لا يعلم ما أكتنه.

وطالما أردنا التكلم في هذه العلوم التي يُحِفُّ بها ويُحَفُّ بها فَمَنَّا من ذلك عدم القلوب الصافية هير المشوبة بالكدر، وأيضاً أهل السوء من الذين لا يعلمون ويُكْرُ من يعلم، وكل هذه العلوم لا يجدها من نفسه من هو دون تلك القطبية.

والتي أيضاً لمن هو أعلى من القطب، كالأمراء، فإن لهم مشاركة للقطب في مصدر انقبض الذي يتلقى منه الميض الكوني، وإن كان القطب أعلا منه في الأمور الكونية، والفرق أعلا منه في العلوم الإلهية، لأن الفرد لا يقوى بشغوف تلك الرتبة بل هي عنه بمثابة حطة من الحطط لما هو عليه في نفسه من لمعارف الإلهية، والواشي الاختصاصية، وتوارد الأحوال على قلبه.

فإن غاية محافظة القطب على ملازمة الحجاب الذي يعلم أن الحق وراءه، فيكون كالحاجب في العالم يتعد أوامره، فليس له من الله إلا صفة الحطاب، لأنه صاحب الديوان الإلهي، لا صاحب الشهود، فلا يكون إلا من وراء حجاب، إلى أن يموت، فإذا مات لقي الله وهو مسؤول عن العالم والعالم مسؤول عنه، وهذا مقام الرسل عليهم الصلاة والسلام ومن هاهنا كان لا تصرف له في الأمراء، ولا

يخرج بهم مدد على يديه لأنهم أعلا في العلم به، وإذا حضروا في ديوانة التحكيم ربما لا يستخدمه، لأنه على بصيرة من ربه لم يرد روجانه في الأمور الكونية.

ولما كانت الناس تعتقد أن لا رتبة فوق القطبية تقديداً، وقع منهم إنكار بعض أهل عصرهم، لأنهم لا يجدون فيهم ما يعرفون من الأوصاف، وهم تجاوزوا ذلك بمراحل فأشككت مقاماتهم على الناس

ثم إن رتباً أخرى من جسس الأفراد أبصا، وهم معانيج الكور، أيضاً من شككتهم ورتبتهم

[الكلام عن الختمية]

ثم إن [هناك] مراتب آخر إلى أن تصل للحتمية، مرتبة لها شعوف عن كل الرتب وليس لرتبة شعوف عليها، وصاحبها يتحقق بوطنه أقدام جميع الأولياء الموجودين في هذه الأمة، والأمم المتقدمين، فيلبس حلاليبهم، ويتضح بعلومهم جملة وتفصيلاً

غير أن هناك دقيقة وهو / ٨ / أنه يتلقى ذلك عن الحضرة المحمدية حتى لا يكون لرتبة شعوف على رتبته، فيكون وارثاً لجميع مقامات الولاية، من البررخية المحمدية، ومن الجوهرة الأحمدية، ومن الدرة العقائية، ومن اليقوتية الهمية، فيكون محمد في المقام حكماً، فكما تحقق محمد بجميع مقامات الأسباب وأحوالها وعلومها وأحلافها وسياساتها وكمالاتها في نفسه، تحققاً وتحققاً، وقد ورد في الحديث «أعطوه حلق كذا وعلم كذا وشجاعة كذا»^(١) فاهم. كذلك يتحقق هذا الحتم بجميع المقامات في نفسه

(١) ذكره المصطفى في «المواهب اللدنية» (١/ ٢١٢) بشرح الزرقاني، وهو بلفظ «أعطوه حلق آدم، ومعرفة شيت، وشجاعة روح، وحلة إبراهيم، ولسان إسماعيل» أي رسول الله ﷺ وعراه للخطيب وأبي نعيم، قال «عن ابن عباس وعنه نكارة»

[الختمية كبرى وصغرى]

بيد أن هاهنا معلومة، وهي أن الختمية كبرى وصغرى، أما الكبرى، فهي التي كانت عياً ثابتة في الحقيقة الأحمدية وهي منطرحة بين يدي ربها لا يحرح فيض إلا عيها، ولا يُنشأ كمالاً إلا عليها، لأنها منطوية فيها، كتعقيق وجود الشخصية بما هي شخصية، وهي الإنسانية، فيكون هو البرخ المتمد لحضرات الولاية، ولا يرأى كذلك إلى أن يظهر عياً، فإذا ظهر كان في الأرض كجبرائيل في السماء، وقد قال فيه القرآن: ﴿مُطَاعٌ﴾ [التكوير ٢١]، ولا يُطاع إلا من له الأمر، فكذلك يكون هذا في الأرض، تهرغ إليه الأرواح من كل حذب تنس، فلا تجد روحاً من أرواح الموجودات العلوية والسلبية، وكذا أرواح المولّدات الثلاث التي هي السات والمعدن والحيوان، وكذا أرواح العناصر الأربع المركب منها البنية الإنسانية. الثراب والماء والهواء والنار، وكذا الأخلط الأربع الصفراء والسوداء والبلغم والدم، وكذا الطبائع الحارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، فما من موجود إلا ويسجد إلى انجذاب الأشياء للمعاطيس حاصية، لأنه مطاع، غير أنه لا يفعل لِمَا أنه ﴿أَبِينٌ﴾، فهو من جملة أسمائه.

ومن جملة عدمه إعطاء المراتب حقها، وحالة حلوله في حضرة من الحضرات لا يعمل من الآلاف من الحضرات أيضاً ليكون عبد القوي، فهو من جملة أسمائه.

ويكون بإعطائه مقتضى حضرة من الحضرات هي تلك النحلة أيضاً مثلباً^(١) بمقتضيات الحضرات الأخر وما يطلبه أدبها، أعني الأدب مع الله ومع السقرة في المواطن، ومن حيث الملائكة المهيمون^(٢)، ومع الكتبة الكرام

(١) في المطبوعة: مثلب

(٢) في المطبوعة: المهيمين

ويلزمه الأدب مع الله على تكثيره أكثر مما يلزمهم مع تلطيفهم، لأجل ذلك يكون كثير العلوم، كثير الآداب مع الله، كثير الأدب مع المراتب الكونية، لا نظراً عليه العملة من الله إلا في مراتب تطرأ عليه الغفلة فيها لا يفهمها إلا أهوها / ٩ /، ومن سمعها يبادر لإنكارها، ومن هذا أيضاً يُستنى عبد المتين، لِمَا له من المتانة والثبات مع الله مع هذه اللوجات في عالم الأنوار، وعدم تزلزله وعبث طوارق التجليات به، ومن هاهنا يُسمى بعبد العظيم، لأنه على عظمة من الله كُوشِفَ بها، لو بدت درة منها على العوالم لانتفعتهم

ومع ذلك يأكل ويشرب ويسكن ويعطي المراتب الكونية والعبية حقها، ومن هنا يُستنى عبد الله، وتبعث عنه أديبات الحضرات بحيث لو قُسمت بعصر أديبته مع الله على الخلق لوسعتهم، ومن هنا يُستنى عبد الباحث.

وتبجس به الرحمات الطامئة الوُسعية الامشائية لا المُجيرة، ومن هنا يُستنى عبد المؤمن، ويعلم من الله على الأنفاس الفوائد والعلوم والمواهب ما لا يُوجد عند أحد من أهل العصر، فلا نجد عندهم إلا عبارات في جوارت سقطت فيها منذ أزمان ولا ترقى لهم، ومن هاهنا يُستنى عبد العزيز

ويُورث له ذلك من الحياء من الله ما لولا النصوص لفضيها عليه بالعصمة، لأنه يرى في الموجودات ما لا يرى فيها، فتقوم له عين المعاين على التكليف، بحيث لو لم يمت في العالم إلا وحده لأدى التكليف الشرعية وما أهمل شيئاً منها، ومن هنا يستنى عبد الحكيم، وهذا من أعظم علامات التي لا تقبل الرشي وله علامات أعظمها هذا، وهو بجده في نفسه، وقد تتحدث الموجودات بذلك، ولا يقال إنه يكون كثير الخط عليه، لأننا نقول ذلك هو المقام الإلهي، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الزل ١٩]، فعمم وما خصص

ثم قال: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ﴾، ثم خصص فقال ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ١٨]، فاعلم.

ومن علاماته أن علمه لا يوجد عند غيره أصلاً، لا ممن عاصره ولا ممن قبله، ولا ممن يأتي بعده، لأنه حلٌ بجميع مقاماتهم وكُسي جميع خُدنهم، واستفعلت رتبته بما أُنيط به من العنايات الإلهية

وله خواصٌ آخر، اثنان وعشرون، تمتُّها العقول على عادة العلم الوُهبِي الذي هو من قسم علم الأذواق، فإن علامته أنه لا يُقتل لأنه من عند الله، وهو فوق طَوْرِ العقل، ومن خواصه علمُ الحَصْرِ مع موسى

ثم إن قلنا إن الحنمية كبرى وصغرى، فإن الكبرى ما قدمناها، والصغرى تكون مرتبة أدون من الكبرى، أحدها عنها ومقنسة من مشكاتها، وهذه تكون في كل عصر

فلكل عصر حتمٌ / ١٠ / يُحتَمُّ به مقامات أولئك أهل العصر، جبراً لكسر قلوبهم لما انقطعت السوء، وهامها قال الحكيم بالمراتب: «علماء أمتي كآسيء بني إسرائيل»^(١)، و«العلماء ورثة الأنبياء»^(٢).

فما ثبتهم إلا بمثابة طير باري قفص في قفص وتلبكت حرارته الطبيعية لما نظر في رواوي القفص الأربع، ولم يجد فيها غيره، وآخر صار يبلبل ويترسم، ويضي بما بهم من السليمانِي المقام أن ليس ثم في تلك الحصرة غيره، ثم يأتي آخر وآخر وآخر، وهلم جراً، وكلهم مصيون، غير أن صاحبة لفتك المحيط يكون قفصه محيطاً بالأقاص، ومقامه مشتملاً على المقامات، ورداؤه مشتملاً

(١) قال الحافظ ابن حجر وتلميذه السخاوي ومن قبلهما الدميري والزركلشي لا أصل له، راد بعضهم ولا يُعرف في كتاب معتبر. انظر «المقاصد الحسنة» للسخاوي ص ٢٨٦ وفاب الحافظ محمد بن جعفر الكتاني في كتاب «العلم المحمدي» (مخطوط) «لا يصح صاعداً، ويصح كشفاً، قلت: ولمعناه شواهد صحيحة عدة

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٣٦)، والترمذي (٢٦٨٣) وغيرهما من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه

به أهل الملاحظات، وإعارة عتة لسانه رُئِمت طيورُ المفاجآت، وعن مطارحات
أشعته «هفقت» مقتضيات الإشارات والتمذحات، وعن عليّ رتبته انسابُ أهل
المراتب والفتوحات، وبأنعاسي توجّهات روحانيته ترعرعت أغانيسُ أهل السمات

فلا بدّع في أن ادعاهها غيرُ هذا الأكبر على هذه الشريطة المذكورة، فما هم
إلا في صفاء مَرَوّته يحسّون، وإلا في محرابِ مسجدٍ تحفيقه يتغلّبون، وفي فيء
ظلالٍ وُسُحِ علومه يتقلّبون، وعن روحانيته ينلقّون ويشاهدون، وفي مرآته
يشاهدون، وبحضرته يكشفون

وكم لنا من اجتماعاتٍ بهم^(١) في عالم الأرواح والحصرات العبيية،
ومعدهم من مسائل العلم الإلهي ما يقرّون لنا به في عالم الأنوار والتعطّيات
الوُهبية في البقع النورية، وسألهم عن العلوم اللدنية فلا يجد جَوْرَتَهُمْ مملوءاً
بما مُلئ به جورُنا، ولا عيُهم كانت تشاهد ما يشاهدُ فتُحنا وما يعطيه مشرُنا،
ولا كلماتهم جامعةٌ ككلماتنا المعتقة عن الحصرة الأحمدية، ولا استغرافهم في
الحصرات الداتية كاستغرافنا

ولنا وُسُحٌ نكاشفٌ به في قربه من الرقائق الجبرّتلية من وُسُحِ العيسوية، من
وجه الإبراهيمية، من وجه المحمدية، من وجه العلوية، من وجه الصديقية، من
وجه الأدمية، من وجه افتحص الأبيكار العندية، وسجنار الحصرات المجهولة
الثلوبية، وسرل المراتب في نفسها بسبب كِمَاجَتِنَا بأسرار الشريعة التي منها
تنسابُ الروحُ للعمل بالتكاليف الشرعية، على نهج أهل الحفظ من وجه، وأهل
المعصية من وجه

ونكاشفٌ بما يشانه عالمُ الجراء في عالمِ حضرة العمل، ومن هذا يعلمُ
أن كل مرتبة في العلم بالله دون العلم بالأمور الكونية، فإنها رتبة العطب

(١) هذا يشير المصنف - رضي الله عنه - لنفسه بالحمية الكبرى

[بعض العلوم الْمُضَيِّعَةُ فيما مضى]

١١/ ولما قصصا عليك ما لم يكن بالبال قصّة، أنّ أن يذكر ما ينصم
هذا الكلام من العلوم

— منها علم ما تقتصيه الطبائع من اختلافات مقتضياتها، ليعامل كل أحد
بما تقتصيه طبيعته، وجبَلَتْ عليه شاكلته، كي لا تضرر الناس في نفسها، ولا
يدخل عليها شعب في نفسها

— وعلم مقتضيات السياسة، ومن هاهنا مع ما قلناه تفهم سر ما بلعك في
الاحاديث من أنه ﷺ كان يوقظ فاطمة وعلياً عليهما السلام للصلاة في الليل^(١)،
وأخيراً أن عائشة تعرضه في مرض الوسادة كالجنازة ولا يوقظها للتهجد^(٢)،
وأخيراً أنه قال لأبي بكر «ارفع قلباً»، ولأبي حفص «اخضع قلباً»^(٣)،
وقال «يُغْتَم الرجل عبد الله بن عمر لو كان يصلي من الليل»^(٤)، وقبل في أبي
بكر. ثم فاتكم أبو بكر بصلاة ولا بصيام، وإنما فاتكم بشيء وفر في
صدره^(٥)

وأوصى أبا هريرة أن لا ينام حتى يوتر، وبصلاة الصبح وبصيام ثلاثة
أيام من كل شهر لا غيره^(٦)، وخَصَّ حذيفة بالسرا لحقيقة نطقها

(١) كما في البخاري (١١٢٧) (٤٧٢٤)، ومسلم (٧٧٥) من حديث علي عليه السلام

(٢) كما في أحمد (٥٨٦)، ومسلم (١٣٥)، والسنن (١٠٢٠١)

(٣) الترمذي (٤٤٦)، وذلك في باب ما جاء في القراءة بالليل، وأبو حفص هو حذيفة بن أسيد بن غطفان رضي الله عنه

(٤) أخرجه البخاري (١١٢٢)، ومسلم (٢٤٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنه

(٥) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوازل الأصول» (٥٠٤)، من كلام بكر بن عبد الله الترمي

(٦) أخرجه أبو داود (١٤٣٢)، والحكيم الترمذي «نوازل الأصول» (٣ ١٩٥) وفيها أي
«النوازل» أنه أوصى ﷺ بذلك هو يوماً

طبيعته^(١)، وأمر بعض أصحابه أذكاءً، وقال لرجل استوصاه: «لا تعصب»^(٢)،
وقال لأخر: «لكن لسألك رطباً من ذكر الله»^(٣)، ولآخرين تنوَّعتُ حذوق لما
سألوه عن أفضل الأعمال، كلُّ وما تعطيه رتبته، بحيث لو لُقَّه غيرها لم يمد
ولمَّا انعمل لها.

— ومنه علم أن القرآن رسائل إلهية للحلائق، وهو علم شريف

— وعلم سرُّ تكرير التأني^(٤) للدين أموا المرات المتكاثرة

— وعلم خطُّ أهل هذا المشهد من آية ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِبِينَ مِنَ الَّذِينَ
جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِشِينَ﴾ (الحجر ٩٠-٩١)، ومنه استمهام حارثة عن حقيقة دعوى
الإيمان^(٥)، ومنه شهادته لأبي بكر وعمر بالإيمان في قضية لبفرة^(٦)، وأمر
حكيم من حرام بالنسب^(٧)، وقال لأخر: «قل الله ثم استقم»^(٨)، وقال لأخر
«عقلها وتوكل»^(٩)، ولآخر في ثمره طلبها: «ولو لم تأنها لأنتك»^(١٠)

(١) انظر البخاري (٣٧٤٢، ٣٧٤٣)

(٢) أخرجه البخاري (٦١١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٣) أحمد (٤: ١٩٠)، والترمذي (٢٣٢٩) وقال حديث غريب من هذا الوجه، وإن ما جده

(٣٧٩٣) بالمط: «لا يزال لسألك رطباً يذكر الله تعالى» من عبد الله بن بسر رضي الله عنه

(٤) التأني: قوله تعالى: (يا أيها)

(٥) أخرجه المحكم الترمذي في مواضع الأصول (٤: ٧٤)

(٦) أخرجه البخاري (٣٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨٨) من حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٧) أخرجه الترمذي (١٢٥٧)، وأبو داود (٣٢٨٦) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه

(٨) أخرجه أحمد (٤١٣: ٣، ٢٨٥: ٤)، ومسلم (الإيمان: ٦٢) عن سعيد بن عبد الله رضي
الله عنه

(٩) أخرجه الترمذي (٢٥١٧) عن أنس رضي الله عنه

(١٠) أخرجه ابن حبان (٣٢٢٩)، والطبراني، قال الهيثمي في «المجموع» (٤: ٧٦)، «ورجاله
رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد وهو ثقة مأمون»

ونَهَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو عَنْ مُرَدِّ الصَّوْمِ^(١)، وَأَقْرَأَ عَلَيْهِ حَمْرَةَ بْنُ عَمْرٍو
الْأَسْلَمِيَّ^(٢)، وَعَبَّرَ هَذَا مِنْ تَشْعِبَاتِ تَرْبِيَاتِهِ، وَلِتَّظَلَّتْ فِي كِتَابِ الْأَحَادِيثِ، مِنْ
عِلْمِ الْحَدِيثِ صَارَ كَأَنَّهُ يُنْسَحُ الْيَوْمَ بِالْأَهْوَاءِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَهَذَا
أَحْسَنُ شَيْءٍ تُحْمَلُ عَلَيْهِ مَوَارِدُ الْأَحْوَالِ وَتَشْعِبَاتُ طَرَائِقِهَا

— وَعِلْمُ سَبَبِ اخْتِلَافِ الْقَوَابِلِ فِي الْعَالَمِ

— وَعِلْمُ لَتَرَلَاتِ الْإِلَهِيَةِ لِلْعَالَمِ، وَإِنْ كَانَ الْقَوْلُ بِهِ لَا يُعْضِدُهُ اشْتِقَاقُ فِي
الْجَمْعَةِ، لَكِنْ مِنْ هَاهُنَا عَلَى الْقَوْلِ بِهِ انْتِشَاءٌ

— وَعِلْمُ الْاِخْتِلَافِ الْوَاقِعِ فِي الْكَوْنِ مَا سِوَهُ.

— وَعَدَمُ مَا يُحْمَدُ مِنْهُ إِذَا اسْتَدَّ لِأَصْلِي مِيرَانِي، وَمَا يُدْلِمُ مِنْهُ بِإِنْ أَحْسَنَ
الْمِيرَانُ فِيهِ أَوْ طَعِنُ فِيهِ، وَهُوَ عِلْمٌ شَرِيفٌ

— وَعِلْمُ / ١٢ / ابْتِثَاءِ الْقَوْلِ بِالْمَصَالِحِ الْمُرْسَلَةِ الَّتِي قَالَ فِيهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ
عَلَى هَذَا الْأَصْلِ،

— وَعِلْمُ انْتِشَاءِ الْقَوْلِ بِسَدِّ الزَّرَائِعِ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ.

— وَمِنْهُ عِلْمُ كَوْنِ الْبَلَاءِ مُوَكَّلًا بِالْمَنْطِقِ^(٣) مِنْ أَيِّ حَقِيقَةٍ جَاءَهُ هَذَا التَّوَكُّيلُ،
وَلَا يَصِحُّ إِشَارَتُهُ

— وَعِلْمُ اعْتِدَالِ الطَّبَائِعِ هَلْ يُمْكِنُ أَمْ لَا، وَمَا وَجْهُهُ إِنْ صَحَّ، مَعَ أَنَّ لِعَالَمٍ
مَبْنِيٍّ عَلَى التَّشَاجُرِ، وَعَلَى صِحَّتِهِ مَا وَجْهُهُ حَتَّى قَبْلَتُهُ الْكَائِنَاتُ ١٩ وَمِنْهُ تَعَلُّمُ سِرِّ

(١) كَمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١١٥٣) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

(٢) أَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَمْرَةُ بْنُ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيُّ عَلَى الصَّوْمِ فِي السَّعْرِ كَمَا فِي أَبِي دَاوُدَ
الصَّيَّامِ (٤١٢)، وَالْحَاكِمِ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٤٣٣ ١)، وَالْبُخَارِيُّ فِي «التَّارِيخِ الْكَبِيرِ»
(١ ١٩٦)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٣ ١٧٧)

(٣) وَهُوَ مِمَّنْ حَدِيثُ أَخْرَجَهُ وَكِيعٌ فِي «الْمَعَدَةِ» (٣١٠)، وَلِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الصِّمْتِ» (٢٨٦)
بَلَفْظُ «الْبَلَاءِ مُوَكَّلٌ بِالْقَوْلِ»، وَلَهُ طَرِيقٌ كَثِيرَةٌ كُلُّهَا ضَعِيفَةٌ. لَكِنْ مَعْنَاهُ صَحِيحٌ

قول أس حادم رسول الله ﷺ: «خَلَقْتُ رَسُولَ اللَّهِ عَشْرَ مِائَتَيْ مِائَةٍ لِي لَشَيْءٍ بَعْدَهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ، وَلَا لَشَيْءٍ تَرَكْتُهُ لَمْ تَرَكْهُ»^(١).

— وعلم أن ذلك مقتبس من مشكاة اعتدال مظهرية الاسم: «الله»، وقد دل على ذلك في قوله «ولكن يقول ما شاء الله كان»^(٢)، فأعظم برتبة محمدية جامعة اعتدلت طبائعها وتكافأت، ولم يُجعل لطبيعة من الطوائع هيمنة عليه

ومنه تعلم سر كونه ﷺ لم يُخلق من محل حط الاستواء في العالم، وإب خلق من الحجار مع أنه شديد الحرارة، وهل يقايس هذا أميته ﷺ مع كون الذي أتى به كان معجراً أحر به سخرة البيان من المصحاه؟

— ومنه علم الاستحسان الذي قال به أبو حنيفة - وهو دليل ينفذ في نفس المجتهد تقصّر عنه عبارته - على أي مدرجة انتشأ ومنه مسألة التخصيص في علم أصول الفقه: على أي مسلك من الحقائق الإلهية ابتنى

— ومنه علم المكر الحقي ودوائره ومساقطه، فإن الحق جلت عظمته م أعم ذلك الحتم الذي يترسم في زواويه القفصية أن ثم دوائر محيطه به في نفس قفصه، ودوائر محتضنة معاني ترنماته، ضرورة أن التجلي لا يتكرر، ولا يُعاد التجلي به لا للتجلي عليه به ولا لعبه، ولا بد من التجلي أيضاً، ولا بد أن يكون أعلى من الذي قبله، لأنه ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَرَّةً وَاحِدَةً﴾ [الرحمن ٢٩]

والمكر المذكور هاهنا هو المَعْنُون عنه قبل هذا التعبير بأن التجليات تأتي متشابهة كعظيم أهل الجنة، وذاك من المكر الحقي في التجلي، حتى لا يعلم ما وراء التجلي الذي تجلي به عليه، وما لم يدخل حصرة عليّ حتى يظن الناس أنه على رتبة لا يُشَقُّ غارها، ولو فصل هو فيما عرّ لَمَّا وقع الناس في خيصر

(١) أخرجه البخاري (٦٠٣٨)، (٢٧٦٨)، (٦٩١١)، ومسلم (٢٣٠٩)

(٢) انظر المصنف السابق

نِصْر، ولكن التجلّي لم يكن يأتيه مفصلاً فلم يعُضِل للناس، وإنما أُجْمِلَ له التجلّي فأجْمِلَ لعائلة المستمعين.

والسرّ في هذا المكر الإلهي مما لا يُعلم، لأن العلم بالقدر مَمْرُوعٌ علمه في الدنيا، والبرج، والقيامة، بخلاف سرّ / ١٣ / القدر فلما مُبِعُوا من إفشائه

وهذا من جملة علوم صاق بها ذُرْعاً العلماء بالله، ولا وجدوا عنده ماصاً، ومن ههنا داقوا في الجواهر ما دافته الأشعرية في الأعراض فقالوا: إن لعرص لا يقف رمانين فلا تجد معذباً مثلهم في الأرض والسماء، وفي القرآن ﴿وَمَا أَتَى مَا يَفْعَلُ بِهِ وَلَا يَكْرَهُ﴾ [الأحزاب ٩]، وفي الحديث: «شييتي هوذ وأحوائها»^(١)، والذي شِيتِه فيها ما دلت عليه آية: ﴿فَأَسْتَوِيَتْ كَمَا أُمِرَتْ﴾ [هود ١١٢]، والاستقامة إما في ظاهر العلم، وإما في باطن علم الله.

فأما في ظاهر علم الله - فقد وُفّي إبراهيم عليه السلام^(٢)، فأحرى روح الحلائق ميئاداً محمد ﷺ.

ولما كان باطن علم الله لا يحكم على ظاهر علمه كان هذا سبب شيه، وسبب قوله: «لو تعلمون ما أعلم لصحكتكم قليلاً ولكيتم كثيراً، وبحرحم تجارون إلى الله في الصُّعَدَات تَلْدُمُونَ»^(٣) وجوهكم بالعجالة^(٤).

وكم رُشْتُ علينا رَشَائِشَات من هذا العلم، ففارقنا أهلنا وأوطاننا ومُتَمَيَّنَاتنا، ولم ندرك قوته ﷺ حتى لم يحرح بين أهله، وإن لاحظت كونه حُبَّ إليه الحلاء - فكان يحلو بفار حراء - قُلْ إنه تفرّت أيضاً

(١) ذكره الحكيم الترمذي في «تراجم الأصول» ص ٢٢٤، من مرسل أبي جعيفة التميمي، وبمعناه أخرجه الترمذي (٣٢٩٣)، وقال: حسن صحيح، والحاكم (٤٧٦: ٢) وصححه

(٢) لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَاهُ الْوَيْلَ وَالْعَنَاءَ﴾ [النجم: ٢٧]

(٣) تَلْدُمُونَ: أي تَلْطَمُونَ

(٤) أخرجه البحاري (٦٤٨٥) ومواضع أخرى من حديث أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما، من غير زيادة: هو لم حرجتم. ١٠

ولمّا كان هذا العلمُ يعطي هذه القواصمَ والعواصمَ والكاتبَ من علم لتجليات هكذا، كان يقولُ لما حصرته الوفاة: «اللهم الرفيق الأعلى»^(١)، تعرباً عن مقتضى التجليات التكليفية كما غرته عنه فانتقل لبساط التعريف، وما فارق أيضاً من يوم كان في دار العلم

وهذا العلم قوياً على مكابداتِ الخلق، مع مكابداتِ التجليات، مع مكابداتِ التكليفِ المكلف بها في نفسه، مع مكابداتِ تزيده للعقول البصعاب كي تنفذ مقتضيات الإرادة من حكمه بمتته، فيقتدر على التلقي منه

فمن هاهنا، أي العلم بهذه الفتوح الأربعة التي أوتيتها ﷺ في صورة تعبيرها عنها بالمكابدات، يتحقق المحقق الكامل سرّ تعظيم الله أحلافه ﷺ في قوله ﴿وَأَنَّكَ لَآتَى خُلُقِي عَظِيمٌ﴾ [النمل ٤٤]، فافهم أخي فإنه من الخور لمفصّورات في الحجاب

ومن العلم المتقدم قول القرآن: ﴿قُلْ قَسَمَ يَمِينِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُبْعَثَ الصَّبِيحَ أَبَدَ مَرَبِّكُمْ وَأَمْسَهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة ١٧].

ولمّا رُسخت عروق العلماء بالله في هذا الموطر، أبسوا من وُجدن الراحة، وتحققوا بأن خروجهم من المدم إلى الوجود لم يكن عن تجلّ جمالي، وإنما كان عن تجلّ قهري جلاله كماله اختياري ابتلائي، وقد أشار لهذا في القرآن ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البعد: ٤٤]، فهي مسألة شرعية تترتب عليها مسائل إلهية / ١٤ / يُحتاج إليها في علم التكاليف الشرعية، ويسبي عليها علم الرياضة، فإنه لا يُشئ في الحقيقة إلا على هذه الحقيقة، وغير هذا مما مضى عنه الوقت

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٨) وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها

[لا مد في العالم من التجلي، وأن التجلي الثاني أكبر من الأول]

ولما علمت هذا وأعطت به خبراً، تعلم أن العالم لا بد فيه من التجلي، ولا مد أن يكون التجلي الثاني أكبر من الأول، إما أن الأسماء في نفسها ذات ترقى، لا ذات تدل، ولذلك ترى أعيان الموجودات في السموات والكواكب بما لم يكن في الصدر المتقدم إلى أن ورد النص بانقطاع النبوة فسُدَّ ذلك الباب، وأبقيت الولاية لا تنقطع

ومنه تعلم أن الأجر في العصر أفضل من تقدمه، لأن الحصرات لأسمائهم في الترقى، فلا تأتي إلا بالأعظم والأجمع والأشرف والأكمل، طوبى لمن أدرك المائة الرابعة بعد الألف^(١)

ومن هذه الحقيقة قال تعالى ﴿ مَا تَسْمَعُ مِنْ دَآئِبٍ أَوْ نُسَيْبَاتٍ يَخْفَوْنَهَا أَوْ يَشْتَكُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٦]، ثم رُدَّ ذلك إلى الاسم: «الله»، الشامل لأعالي الوجود وأساقفه، ورُدَّ الأمر إلى القدرة، وهي تتعلق بالممكن

ومن هاهنا حُكِّمَتِ آيَةُ العقول في قوله: «ليس في إمكان أبدع مما كان» ظناً منهم أنه يقول بمعجز القدرة، وحاشا له، والآن بالاحسن والأفضل ممكن فتعلق به القدرة، وإذا قال الميئ عن الله في الصحابة الوارد فيهم النص بانتعاض عمومياً وخصوصاً قال بعد: «والذي نفسي بيده ليدركن المسيح حوارئى من أمته هم خير منكم، للعامل منهم أجر خمسين من يعمل بمثل عملهم»^(٢)

(١) سب المؤلف - رضي الله عنه - هذه المفعلة في عدة من مؤلفاته إلى نبي الله دانيال عليه السلام

(٢) لم أجد لصدرة، إنما أخرج خبره البحاري في «خطي أصال المبادئ» (١٥٥)، وأبو داود (٤٣٤١) وفيه: «للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله»، وراوي غيره قال: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: «خمسين منكم»، ونظر الترمذي (٣٠٥٨)، وابن عسجه (٤٠١٤)

فكيف بمن لم يَرِدْ فيه نصٌّ وإنما أُبقي الأمر محالاً على لُقْدرة كما هي آية ﴿مَا نَسَخَ﴾ [البقرة: ١٠٦]!

وانتُ أيضاً قوله ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَسْلُسُونَ﴾ [الزلزال: ٨]، مع أنه ورد في الصحاح: «لو أمق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»^(١)، ومع ذلك تذكر ما تقتضيه القُدرة، بل ما اقتضته وقْدْرته، فقال: «وددت أن لو رأيتُ إخواني، وبكى شوقاً إليهم، فقالوا: ألسنا إخوانك؟ قال: لا، ولكم أصحابي»^(٢)

ومن هاهنا يُعلم أن كل من سلك مقاماً من المقامات، وخصوصاً المقامات العليا، والمكاتب الزلَمِي، والرتب القَمَاس^(٣) فإنه لا يأتي من يطأ قدمه رأساً، ولا يكون مثله في ذلك المقام رأساً، لِمَا أن اليُثْبِيَّة تقتضي عَوْد النجلى اندي تجلى به عن المماثل، والعرض أن ليس في الأمر تكرار، ﴿بَلْ هُوَ لَبِيسٌ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ن: ١٥]

ومنهُ يُعلم علمُ هدم التماثل، وعليه فلا يأتي مثل من تقدم، بل يكون رُثْباً عنه، أو خليفة عنه، لا، لا لِمَا تعطيه الحقائق، ومن هاهنا نعلمُ المانع من عدم المناسبة.

وأما من شرط المناسبة في الأشياء فلم يُصِب، لأن المناسبة إشعارٌ بمساواة / ١٥ / في وجوب هو موجب الارتباط والعلاقة بين المتصاحبين، مع أن لا

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) أخرجه أحمد (١٥٥ ٣) عن أنس رضي الله عنه، وأبو يعلى (٣٣٩١) دون ذكر البكاء، وقال الهيثمي في «المجمع» (١٦٦٩٧)، «وفي رجال أبي يعلى، محاسب أبو هاتك، وثقة ابن حبان، وضمه ابن عدي وثقة رجال أبي يعلى رجال الصحيح غير الفصل بن الصباح، وهو ثقة، وفي إسناده أحمد: جسر، وهو ضعيف، ورواه الطبراني في الأوسط ورجاه رجال الصحيح غير محاسب»

(٣) أي العالية العربية الثلاثة

مساواة، فلا مناسبة، وفي القرآن: ﴿وَنُفِثَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة ٦١]،
 عن قال بعلم المناسبة فما صدق الله في أننا بين نواشته الاحتصاصية تنقلب ولا
 بعلمها، فكانه هو يقول: إنه عَلِمَهَا!

كذلك علم ملاحظة اصطلاحات المتصاحفين، وهو غلط من وجوه، وقد
 سهر في هذا أيضاً أبو حامد على شُفوف رتبته في العلم، فقال بالمااسبات،
 وذته هذا العلم، أعني النواشئة الاحتصاصية: ﴿وَنُفِثَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾
 وعليه فكل من درج على مقام فلا يأتي إلا من هو أُنْبَج منه وأرجح
 وأسمى وأبرك، فلا يأتي بعد ذلك الختم الأكبر إلا عيسى عليه السلام

[العلامة الكبرى للختم الأكبر]

ثم إنه نحتم أن نحتم المقام بعلامة كبرى من علامة هذا الختم من إحدى
 علاماته المحال عليها قبل، وهي كالآم لكمالاته، فلا شرف له فوقها، إلا أن
 يكون الترقى فيها:

فاعلم أنا قدّم أن القبط إنما هو بالسبة لهذه الرتبة فكانت لدبوانة، فهو
 من وراء حجاب، بحلاب هذا الختم، فيُكْتَفَى له عن الدات باعتر صُرَافَةٍ
 لصُرَافَةٍ من الدات للدات بالدات للدات، فيمحق تحت مُرادقات كبرياتها،
 وينحدّد عليه الاصمحلل عَدَّ بدو سُلْطَة هيمنتها، ولتَقْصُر عليك بعض انبياء
 عليه يسافر تدلياً من

١ - مقام أثرات برول الرب في الثلث الأخير من الدبل

٢ - ثم يسافر إلى كمال توبة استيفاء التحقّي بالأسماء الداتية والموت الصُعاعية
 والأوصاف الأمالية، فيصهرها في عنوان الإجمال والتفصيل، ويترعُ
 بالهبة، ويترعُ بالمظمة

٣ - ثم يسافر إلى الأمهات معروفها بالذات

٤ - ثم يسافر إلى مقام معانج العبد، ينبغ في ذلكها ويعلم مقتضياتها على ما هي عليه

٥ - ثم يسافر إلى مقام النجاة السادة، فيكون كالتبليغ قدس نكل تحل من المعاني والصور

٦ - ثم يسافر إلى مقام جمع الجمع

٧ - ثم تلقى في ساحل المروق اشوية، أحداً بالله، ومعبداً بالله، ومعطياً بالله، وحرراً بالله، وراحماً بالله، فامتطاه فتشأت له أجسام بوراية غير لأجسام لطيفة

وهذا لعدم، وهذه العلامة من إحدى مروق بين النعوت والجنم

وعدم أحي أنه إذا وصل لهذه الحكمة، فتصير رتبة في العالم رتبة المأموم مع الإمام في الصلاة، فتراه مغشوشاً في أرض العبودية، أحداً بالخط الأور منها اندي لم يقطع أحد من أهل عصره، ورائة محمدية، إلى أن يكون هو بعد لمحصن، كما كان في عالم الحرية، وليست عبودية كمبودية الأفراد، أو لأصناف / ١٦ /، أو أهل الصديقية، أو أهل الشهادة، لا، لا بل عبودية أوسع من كل رتبة كما أن حرته أصبح من كل رتبة، فكان صاحبة عبودية وعبودية وعادة

ولاحل هذا قل فيه إنه كالمأموم مع الإمام، ولا مرتبة أن المأموم سر به من الأمر شيء مع الإمام، ومقامه في هذا المقام من القرآن ﴿يَرْفَعُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (هود ٥٦)، وحال من له كل شيء وليس له من الأمر شيء

فلاجل ذلك يرهدون في الحوارق الكونية، ويؤثرون عليها صلاة ركعتين لهمهم بما تقتضيه منهم شؤون الربوبية، وعندهم بما خلقوا لأحده، فيموتون بحس قوت العلم وهو فناء، وشرفه به، وشرفه بما

ولكن أين من أنا منه وهو مني ممن أنا منه وليس هو مني، كما لا تجعل من هو مني أنا منه، فكانوا خلافاً على الحقيقة، وتراهم يُسَفَّهُونَ آراءَ من يميلُ للأثرات الكونية، ويجهلونهم، ويقولون إنهم عُمى بلة علف، ويقولون إن الكرامة التي لا تُورَى. ما أقيموا هم فيه من كون تنفسي من أماسهم يقوم مقام عبادة الثقلين، ولو قُدِّرَ أنَّ جميعَ العالمِ عقلٌ عن الله وذكرٌ من هو على هذا النمط، فأم ذكره مقام ذكر جميعهم أن لو ذكروا، بل لو فُرق عليهم لما عُدوا من العاقلين

هذه الكرامة التي لا يقدر عليها كلُّ أحد، ولا يَسُوِّرُ محرابها كلُّ متطع.

هذه علاماتٌ ثانية أيضاً من أعظم علاماته كنتُ في إبرارها كالمجور بعد ما كنا اكتسبناها، وقد ذكرتُ قبلها أخرى أحصل منها، كما ذكرتُ أخرى أبيعُ منها وأجمل، والله ذو الفضل العظيم.

كما ذكرتُ أخرى أمثل منها وأرشح، كما ذكرتُ قبلها علامة أخرى أنصع وأكمل، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

[العلوم التي انضم عليها هذا المحل]

وقد انضم هذا المحل على عدة علوم أيضاً، منها:

— علمُ الأعالي والأداني،

— وعلمُ التشابه في التجلي، وليس عين الذي قبله، بل غيره، ومنه قوله تعالى ﴿أَوْيَلَيْكُمُ﴾ مع أنه لا مثل في العالم، بعد قوله ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ يُلْغِيهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]، فبان أن التجلي على نوعين. نوع فيه التشابه مع ما قبله أو الحاضر، ونوعٌ مبرزٌ لا شُعُوف فيه، وعلى الأول يُعْهَمُ قولُ القرآن: ﴿أَوْيَلَيْكُمُ﴾، وعلى الثاني يُعْهَمُ ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾، تأمل.

- وعلمُ الأسفار،
- وعلمُ مناهل السفر العذبة،
- وعلمُ المناهل التي يُحصى بها،
- وعلمُ ما يُعَيَّن على الإدلاج في السفر،
- وعلمُ الأسباب التي تعوق عن السفر،
- وعلمُ السفر الذي يلحق صاحبه، والسفر الذي لا يلحق، فإن صاحِبَ الظل لا يُلْحَقُ ظِلُّهُ^(١)
- وعلمُ ما ينبغي أن يُعَلَّمَ / ١٧ / ولا يُجهَل،
- وعلمُ ما لا يؤَيِّدُ بالجهل به،
- وعلمُ ما يدخل تحتَ تحتِ القدرة الحادثة وما لا،
- وعدمُ ما لا يصح أن تُلْحَقَ به التدايُم في العالم، ولم لا يصح ذلك،
- وعدمُ ما هو علمٌ وليس بعلم،
- وعلمُ ما هو جهلٌ وليس بجهل،
- وعلمُ التناكُح للناسل والتناكُح لا للناسل، ومن الأرفعِ منها، وعدمُ^(٢) مطلوبةِ الثناء في أوقاتٍ خاصةٍ دونَ غيرها،
- وعلمُ الاكتفاء منها بقدرِ معلومٍ في بعض الأحيان، مع أن الأرملة والحالاتِ تطبُ ذلك،
- وعلمُ الاعتناء بالشاة الإنسانية مع أنها إنما حُلِفَتْ هي كَتَبٌ ونعِبٌ وشفاء، وهلا لم يَعتَدَّ بها لما خلقت لذلك
- وعلمُ التفاضل وكيف صح مع اتحاد الأسماء في المدلول،
- وعلمُ الفرقِ بين الرياضة الإلهية والرياضة الحلقية،

(١) بياض في الأصل

(٢) كذا في المطبوعة، وربما هي: وعلم

— وعدمُ الحاملِ للعلماءِ بالله إن استظهروا في كلماتهم بما تشه أن لا تكون ملتزمةً مع أنه يُنافي رعاية انتساق الكلمات وأساليب التعانين، فإنهم عند الكتابة بحسب ما يُلقي عليهم مَلَكُ الإلهام، ومَلَكُ الإلهام أعرفُ بِقِباب الحروف ومسازلها وموادها، وعملتها ومسانتها وحُجَّابها وسلاطينها وخُلائفها، فكيف يُلقي ما ليس بملئتم، إنما المرئِسة^(١) لما وقفوا مع ظواهر الألفاظ ولا راحة من علم لوكُفب اللدي: تقفصوا، فاحججوا، فوقفوا، فأساؤا الطون

فمن علومهم من العلم الذي هو كهية المكنون ولا يعلمه إلا العلماء بالله كما في الحديث الصحيح عند أهل الكشف: «إن من العلم كهية المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا تكلموا به أنكروا أهل الفرة بالله»^(٢).

ألا ترى لقوله تعالى: ﴿حَظُّوا عَلَى الْفَسَادِ وَالْمَكْرُوهِ﴾ [البقرة ٢٣٨]، فإنها جاءت بين آيتي نكاح، وإنهم يظنون أن لا مناسبة بينهما، مع أن المناسبة ثمة من العلم السري، فثم مناسبة بين الصلاة وما قبلها كالدي بعدها، ففهم

وأي مناسبة بين كون الباء من البسطة متعلقة بمحذوف مع كون بعض العارفين أملى فيها السبب المتطاولة، وهل ليس ثم ارتباط بين الباء والسبب والنيم ١٩ بل والكلمات الأربع ١٩.

ولكن من لم يطلع عليها قال: إن «اسم» رائدة، على مذهب الكوليين، مستدلاً بقول ١٨/.

إلى القول ثم اسم السلام عليكما ومن يك حولا كاملاً فقد اعتذر^(٣)

(١) المقصود: أهل الرسوم والظواهر

(٢) ذكره في «الترغيب والترهيب» (١٠٣٠: ١)، والسيوطي في «اللاقي المصروحة» (١١٥: ١)

(٣) انظر تفسير الإمام ابن عادل عمر بن علي الحميلي (١٢٥: ١)

النفاثس الكتانية

١١

التأنيّة الكتانية

نظمُ الشيخ الأكبر

الإمام أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني

المستشهد بفاس سنة ١٣٢٧ هجرية

رضي الله عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلم

التّائِيَةُ الْكَتَانِيَّةُ

سَقَنِي بِشَمْرِ الْوَحْلِ قَهْوَةَ حُجْنِهَا	مُتَغَشِّعَةً دَارَتْ بِأَلْحَانِ نَشَاتِي
فِي سَافِيَا مَهْلًا، مِمَّا رَوَى الْحَشَا	أَدْرَهَا عَلَى سُرِّي بِحَانَاتِ حَصْرَةٍ
مَكْرُوثًا؛ وَلَكِنْ مِنْ مُخَيَّا جَمَالِهَا	مَطْلَعُهَا مُكْرِي كَكَاسَاتِ خَمْرَةٍ
وَشَاهِدْتُ مَعْنَى الْحُسْنِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَوَتْ	بِعَرْشِي، لَصَرْتُ الْعَيْنَ مِنْ بَعْدِ كَثْرَةٍ
عِنَاكَ انْمَحَى عَنْ فَرْقِ نَقْطَةٍ فِيهِ	وَصِرْتُ وَرَاءَ الْجَمْعِ مِنْ جَمْعِ شِكْلَةٍ
دَنْتُ، فَتَدَلَّتْ فِي مَهَامِهِ ذَاتُهَا	لِذَاتِ لَهَا ذَاتٌ إِلَيْهَا تَدَلَّتِ
سَجَدْتُ لَهَا عِنْدَ التَّدَانِي مَلِيَا	بِمَحْرَابِ مَجْلَى الْجَمْعِ مِنْ بَعْدِ خَيْرَةٍ
وَجِئْتُ بِهَا عَنِي، وَصِرْتُ وَرَاءَ مَا	بِشَاقِدُ مِنْ حُسْنٍ بِكُلِّ كَلْبِي
وَابْصَرْتُهَا لَخْطِي، وَذَلِكَ لَخْطُهَا	فَكُنْتُ بِهَا مِنْهَا بَصِيرًا بِجَمَلَتِي
وَتَمَّ وَرَاءَ الْحُسْنِ مَعْنَى شَهْدَتِهِ	بِمَهْمَةٍ غَيْبِ الْقُدْسِ فِي طَيِّ حُلَةٍ



سَمِعْتُ الدَّاءَ مِنْ قَابِ قَوْسَيْنِ: «مَرَحَا	وَأَعْلَا بِمَعشَوْقِي لِسَرِّ مُرُوسِي»
غَرِيبُ أُنَيْسٍ عَرِشَ بَدْرَيْنِ لَا بَسْرُ	لِضَلَمِينَ مِنْ شَمْسِينَ، لَوْنَانِ حُلَّتِي
أَحْبَاطُتْ بِكُلِّي يَوْمَ كُنْتُ مَلِيَا	بِمَحْرَابِ مَجْلَى الْجَمْعِ مِنْ دُونِ مَثَرَةٍ

مجردة عذراء يُشبي جمالها
 لقد ظهرت في الكل عينا بكلها
 تبدت بتسويين به احتجبت، وقد
 عشت ملاح الكون من أجلها، وما
 تبدت مبادي الجمع من لوح جمعها
 رسوم بدت من غيب لوح بطونها
 معلسة تبدو على عهد كزها
 «هَيُولِي» هباء العين من جوهر العمى
 تقدمت قبل الكل؛ إذ بي وجوده
 أنا الأول الثاني، أنا الظاهر الذي
 أنا نقطة الباء المجردة التي
 أنا كنز غيب «الهُوَ» في غيب «هُوَ»
 تفردت بي حتي يمتنع منهتي
 أنا كل كل الكل طَلَسَمُ طَلَسَمُ
 كذلك بشكل الجن في الأرض قبلكم
 وقد صرت في تكذيب وُسْلي موجهها
 كذلك بأطوار الشياطين جشهم
 وما هذه الأشكال مَسِي هُتِرَتْ
 تطورت في كل المظاهر، وانتهت
 فليس ورا مَرْمَاي مَرْمَى لذي هوئ
 وكل زوايا الكون أصبحت مَقَرُّ مَذَّ

ملثمة بالعين، عبي ونسبي
 فما ثم إلا الكل في كل وجهة
 تجمعت الأصداد فيها لشرة
 رأيت سواها في الحفيفة لبني
 بطل خطوط الشكل من رسم نقطة
 إليها معاني الذات تُجَلَّى بصورة
 بلون «الأنا» في «الهُوَ» بل كل صيغة
 فمنني تبدى الكل من بسطة نقطة
 تأخر بعد الكل فاصوت صورتي
 بَطُنْتُ بسر العيب من بين إحوتي
 أنافث على الأفلاك يوم دُجَّة
 بظلمة نور الذات ذات هُويي
 فما ثم غيري ظاهراً في أيي
 بذاتي خلث ذاتي بكاسات خمرة
 صرت لهم وُسْلاً لتحقيق حاجتي
 لهم حجج الإبطال شأن رعيي
 ظهرت به حكماً لحكمة حكمني
 صفاتي، ولا أبدت سواي لنسحتني
 إلي، سررت في كثرتي أحيي
 تجمعت الأصداد في فرد كثرني
 وصغت جمال الحق حقاً بجملة

ودوبك حُسنِي، فاشهَدْنَهُ مجرداً
تَدُلُّ بِأَنَسِ البِسطِ في حَضْرَةِ المَنِي



هَيْتَا اسْقِنِي خَمْرَ الثَّلَاثِي، وَوَصِّلَنِي
وَلِي زَقَرَاتٍ أَهْلَتْ الكَوْنُ جَهْرَةً
وَكَمْ سَهَرَتْ جَفْنُ الكَتِيبِ تَرْجُماً
أَنُوحُ عَلَى الأَطْلَالِ كَيْمَا أَرَى بِهَا
أَذَابَ فُرَادِي سَحَرُ عَيْنِ جَمَالِهَا
مِمَّا فِي العَشْنِ مَجْلُونٍ لَغِيرِ مَهَامِهَا
أَغَارُ عَلَيْهَا أَنْ أَرَاهُهَا، وَأَتَمَّا
إِذَا زَمَزَمَ الشَّادِي طَلَبْتُ تَهْلُكَا
أُبْرُدُ مَا بِالْقَلْبِ لَوْ كَانَ نَافِعَا
تَلَدُّ لِي العُدَالُ فِي جَنِبِ حَيْهَا
عَلَى مِثْلِهَا أَفْنَى وَأَبْلَى تَجِيرَا

كَوْوساً بِأَلْحَانِ عَلَى عَهْدِ نَشَانِي
إِذَا بَرَزَتْ ضَاقَ الفَضَاءُ لِلْوَقْتِي^(١)
لَطِيفِ خِيَالِ الحَسَنِ مِنْ قَرْطِ حَيِّزَةٍ
مُشَابِهَةِ جَسْمِي فِي تَلَاشِي وَغَرَبَتِي
وَلَيْكُنْهُ كَرَاهَا عَلَى عِرْ سَطَوَتِي
وَرَقَصُ السَّوَى فَرَضُ عَلَى لِعَبَرَتِي
غَرَامِي بِهَا فِي الكَوْنِ يُنْدِي فَصِيَتِي
عَلَيْهَا، وَفَاضَتْ فِي البَرِّيَّةِ فَصَّتِي
تَوَقَّدَتْ الأَهْرَامُ فِي كُلِّ شَعْرَةٍ
فَمَا قَمُ إِلَّا الحَسَنُ فِي كُلِّ رَتْبَةٍ
وَأَرْقَصُ فِي الأَغْلَالِ مِنْ قَرْطِ لَوَعْتِي^(٢)

(١) ذكر الإمام الباقر رحمه الله تعالى في رسالته «بيان حقيقة حول استشهاد الشيخ محمد الكتاني»، أن الشيخ رضي الله عنه تنبأ بسجته واستشهاده في هذه الآيات

(٢) ذكر الإمام الباقر رضي الله عنه في كتابه «النتائج المروحة بالجوهر المرقد في ترجمة الإمام «شيخ محمد الكتاني الشهيد» أن الشيخ رضي الله عنه كان كلما قرأ هذه الآيات في «الحضرة»، يرحق والده جبل السنة رضي الله عنه، ويقول له «سكت! بل أرقص في السبعة فكان يحييه. وكان قضاء الله قديراً مقدوراً، كان ذلك في الكتاب مسطوراً، ولما اعتزل ووالده وأهله عام ١٣٢٧ في سجن «أبي الخصيبات» بهاس حيث استشهد، نشوق وأهله وأتباعه لتقام بالحضرة، فقاموا ورقصوا حتى غلبهم الحال وهم مفيدون بالأغلال والسلاسل، فكانت تصديقاً لتنبؤه من قبل في التائية وعمره (٢١) عاماً

نَعَيْتُ عَنْ جِسْمِي وَجَسْمِي وَقَدْ عَذَّتْ
وَمِنْ حَيْبٍ^(١) عَمَّا وَعَنْ زُخْرُفَاتِهَا
رَوَيْدُكُمْ، أَبَدْتُ مَعَانِي جَمَالِهَا
حُلُوتُ بِهَا رَعْمًا عَلَى الذَّهْرِ بَعْدَمَا
سَفَانِي الدُّجَى نَحْمًا بِكَاسٍ دَوَابٍ
مِنْ الشَّمْسِ إِلَّا أَنَّ فَانِي سَمَاوَاهَا

وَشَاةُ الْوَرَى تَسْعَى لَشَادٍ مَهَيَّتِي
تَمَانِيْتُ حَتَّى قِيلَ لَيْسَ بِمُنِيَّتِي
بِحُلُوتٍ سَرَّ السَّرِّ دُونَ أَيَّتِي
تَوَهَّمْتُ فِي سَرِّي بِوَجْدِي وَخُرْقَتِي
عَلَى الْعَوْدِ، وَالْعَزْمَارِ، فِي كَهْفٍ قَبْنَةٍ
مَلُونُ الْأَنَا فِيهَا كَلَوْنُ التَّيْنَةِ



تَبَدُّتْ عَلَى كَاسِي فَكَانَ لِلطُّفَى
لَأَنَّهُ هَيِّنُ الْعَيْنِ وَالنَّقْطَةُ الَّتِي
لَقَدْ لَاحَ^(٢) ظِلُّ الْعَيْنِ فِي شَمْسٍ عَيْنِهِ
أَبَاحَ الْهَوَى سَرِي وَكَمْ قَدْ كَتَنَتْهُ
غَمِّي قَبِيرٌ مَعْلَسٌ مَتَهَنَّتْكَ
تَذَلَّتْ مَدَّ لَاحِظْتُ مَعْنَى جَمَالِهَا
تَغَرَّبْتُ عَنْ إِلْفِي وَكَمْ قَدْ تَقَاعَدْتُ
وَكَمْ لَعِبْتُ أَيْدِي الْمُنَا بِمَقُولِنَا
وَكَمْ قَدْ تَوَلَّيْنَا وَذُبْنَا صَبَابَةً

بِهَا هُوَ إِتَاهَا، وَإِيَاءُ حُلْسِي
أَدِيرْتُ بِهِ مِنْ قَوْمٍ وَثَرٍ هَوِيَّتِي
فَشَاهَدْتُ عَيْنَ الْعَيْنِ فِي طَيِّ بُرْدَتِي
فَصَرْتُ لَهُ مَعْنَى لِلطُّفَى حَقِيقَتِي
كَتَبْتُ قَبْلُ الْحُسْنِ أَقْصَى حَضِيرَةٍ
فَصَارَتْ مَعَانِي الْحَفْظِ نَفْيُكَ جَمَلَتِي
بَيْنَ السَّفْنِ الْعَرَجَا عَلَى سَطْحِ لُجْنِي
فَصَارَتْ عَلَى مَتْنِ الْقَمَارِ تَفْشِيَّتِي
عَلَى إِثْرَهَا يَوْمَ الْمَعَارِكِ بُغْيَتِي



فَخَلَّ جَمِيعَ الْكُونِ وَاصِرِمُ حَبَالِهِ

وَيَذُّ كَثَافَاتِ الْمَاصِرِ حَبْلَتِهِ

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ وَفِي حَيْبٍ.

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخِ: طَلَحَ.

فذلك أدنى المقفء، والباب مذنب
ولا تغبان بالمبطلين لشرعة
وقرنتهم فالباب منهم لحضرة
يجزئ إلى التشكيك في سر كمة
تجلى بتلوين على لون قضية
مؤد إلى تقييد عقل وصورة
هو الغرض الأقصى ونيل الطريقة
فذلك مراد الحق عين الخليفة
يرقى على الأفلاك فوق المجرة
والتبيل للخيرات في كل رتبة
هو المفت في الدارين بين البرية
فذلك هو الإخواء أصل التبيية
هو الأية الكبرى وسبل المحبة
مضرة، ولإرخاء باد بشهوة
يقني عليك القلب في كل مرة
على الزنل إن شئت المعالي بسرعة
علامة إيمان وسر المودة
تقوم بأمر الحق أمر الأخوة
طباع لأحرار تأوا عن كثافة

وحسن ظنونا بالورث لا تسيء بهم
ودونك بحر الشرع فالزم سبله
ودونك أهل الله فالزم ودائعهم
وليك والتدبير للرزق إنه
وليك والتعجيب للحق إنه
ودونك فكر الوهم فالفيه إنه
ودونك والتجريد للقلب إنه
ودونك والإطلاق في كل ما ترى
ودونك ذل النفس فابغه إنه
ودونك حسن الظن فهو المني والمو
وليك سوء الظن بالمسره إنه
وليك والإعطاء للنفس حقها
ودونك^(١) والتمزيق للبرص إنه
وليك والإكثار للأكل إنه
وليك والإكثار للنوم إنه
وليك أن تبقي^(٢) لنفسك، والقها
ودونك ود الوء فاحفظه إنه
ولا تنه بين الأعداء لأجل أن
ولا تنس من أولئك غيراً، لأن فا

(١) في المخطوطة بخط الإمام السيد محمد الباقر الكاظمي - وليك وأثبتها كما في المطبعة الحيدرية

(٢) في بعض النسخ: أن تنس.

وَإِيَّاكَ وَالْأَغْيَارَ لَا تَكْتَرِثُ بِهَا
وَطَهَّرُ قَبِيلَ الْعَصْرِ كُلَّكَ مَحَلًّا
وَكَبَّرُ عَلَى الْأَكْوَانِ تَكْبِيرَ مَيِّتٍ
وَأَلَّنِي مِثَالَ الطَّلِّ فِي صَبْحِ شَمْسِهَا
وَصَلَّ صَلَاةَ الْجَمْعِ فِي فَرْقِ جَمْعِهِ
تَصِيرُ بِمِرَائِي لِلْحَطَابِ وَمَشْتَبِعٍ
فَتَحْنُهُلَا بِالسُّكْرِ فِيهَا وَأَوْصِلَنُ
وَشَقَّقْ عَلَيْهَا الْقَلْبَ وَالثَوْبَ وَاشْطَحْنُ
وَدَرْكَكَ وَالْإِكْتَارَ لِلذِّكْرِ إِنَّهُ
وَمَرَّقْ ثِيَابَ الْبِرِّ فِي جَنْبِ وَصْلِهَا
تَنْزُرْهُ عَنِ الشَّرِكِ الْحَفِيِّ لِمَا بِهِ



وَدُونِكَ مَرْمَانًا قَرْنُهُ لَأَنَّهُ
طَرِيقُنَا أَرَبَتْ عَلَى الْقُلُوبِ بَعْثِي
سَلَاكُنَا فَاقَتْ سُلَالَةً مِّنْ هَذَا
سُلَالَتُنَا نَعَتْ عَلَى مَطْلَحِ حَانَةِ
لِسَوَائِنَا عَقَائِقَ عَلَى كُلِّ مَن دَنَا
أَتَيْنَا بِغَزَلِ الْفَتْحِ مِنْ حَضْرَةِ الْغَنَى
فَعَنَّهُ أَخْلَنَّا مَا تَدَلَّقَ جَهْرَةً

مَحَجَّتْهَا الْبَيْضَا وَأَزْنَقُ عُرْوَةً
مَرَاتِبَ لُوقِ الْعَوْقِ مِنْ بَيْنِ إِخْوَانِي
جَلِسَ بِسَاطِ الْقُرْبِ مِنْ فَتْحِ شُغْرَانِي
أَتَيْتُ بِرَقِيقِي الْغَزَلِ إِزْمَتْ الثُّيُومُ
حَضِيرَةً قُنُوسِ الْقَيْصِ مِنْ وَشِي خُلَّتِي
بِإِذْنِ رَسُولِ اللَّهِ شَيْخِي وَهُمْدَتِي
عَلَى صَقَرِ الْأَجْرَامِ حِينَ شَبِيبَتِي

(١) فِي بَعْضِ النُّسخِ: السَّجِيفَةُ.

نَجْرًا ذُبُولَ الْعِرِّ فِي جَنْبٍ وَصَلِهِ
 بِدَاهِنًا فَاقَتْ نَهَابَهُ خَيْرِنَا
 لَنَا الدَّوْلَةُ الْعُلْيَا لَدَى الْهَوْلِ نَرْتَقِي
 لَقَدْ رَكِبَتْ مَتْنَنَ السَّعَادَةِ وَانْتَشَتْ
 وَحَارَتْ سَمَادَاتٍ تَقَاهِدَ دُونَهَا
 قَدْ انْتَفَقُوا مِنْ أَيْمَنِ الْقَبْضَةِ الَّتِي
 كَلَّا كُلُّ مَارٍ فِي الطَّرِيقِ رَأْمٌ
 عَلَى زَهْمٍ أَهْلِي الْبُعْدِ نَالُوا مَفَاجِرًا
 وَمَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْمَعَارِكِ شَمًا
 وَمَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْمَعَارِجِ عَابًا
 كَلَّا كُلُّ مَنْ وَلَّى بِجَنْبٍ مُعْرِضًا
 لَنَا الْخَوْضُ فِي بَحْرِ الْعَجَائِبِ جَهْرًا
 وَمَنْ رَامَ مَنَحَى فَلْيَرْفُقهْ، لَمَعْنَمَا
 عَلَى رُتْبَةٍ قَعْنَا بِأَقْصَى حَافِرَةٍ
 فَلَيْسَ الثَّرَى لِلثَّرَى بِقَرِينَةٍ^(١)
 عَلَى نَهْجِ بَحْرِ الْعَصَلِ تَطْبُ الْمَجْرَةِ
 عَنِ الطَّرْدِ وَالْإِبْعَادِ، بَلْ كُنْ سِقْمَةً
 اسْوَدَّ الْوَرَى مِنْ أَسْرِ مَرْكَرٍ نُقْطَةً
 حَتَّتَهُمْ فَحَارُوا الْعَصَلَ فِي كُلِّ وَجْهَةٍ
 حَتَّتَهُ سَمَادَاتٍ فَحَارَ بِبُغْيَةٍ
 فَحَيَّهَا بِالْقَرْبِ مَنَّا لِحَضْرَةٍ
 فَأَبْدَى هَشِيرَ الْعُثْرِ فِي شَأْنِ صُخْبَةٍ
 وَأَنْكَرَتْنَا، وَالْجَهْلُ شَأْنُ الْبَرِيَّةِ
 مِنْ الصَّدِيقِ وَالْتَصَدِيقِ بَابِ زَيْتِي
 وَلَسْنَا أَسَارَى الْغَيْرِ فِي فَتْحِ هُجْمَةٍ
 يُرَجِّمُ الثَّلَاثِي تَنْزَوِي هَبْنِ شُبُهَةٍ

تمت بحمد الله تعالى^(٢)

(١) في بعض النسخ بقرينة

(٢) انتهى ما وجد من نائبة الإمام أبي العباس بن عبد الكبير الكتاني المستشهد سنة ١٣٢٧هـ بهاس، ونقلها سبط خفيه أبو الليث محمد حمزة بن علي الكتاني بوزة الله من كتاب «المخزات المرفوعة من ديوان الحضرة الكتانية» لجدهنا ابن المصنف الإمام محمد الباقر روض الله روضه، والحمد لله رب العالمين، وراجعها أخوه حسين من «الجواهر المرفوعة» في تجميع النائية الكتانية لجدهنا الإمام محمد الباقر، وذلك صبيحة يوم الأحد ١٤/٨/١٤١٥هـ وقال «وقفتني الله لخدمة أوليائه وشقائي من بحر كشوفاتهم وفتوحاتهم» آمين آمين آمين

الفهرس التفصيلي للمحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة التحقيق بقلم الشريف حمزة الكتاني	٧
موضوع هذه الرسائل	٩
ترجمة المؤلف	١١
شيوخه	١٣
قيامه بالدعوة والإرشاد	١٧
ابتلاؤه بمراكش	١٨
الرجوع إلى المغرب واستشهاده	٢٠
تلاميذ المؤلف	٢١
مؤلفاته	٢٣
ثناء العلماء عليه	٢٦
التعريف بهذه الرسائل	٢٩
عملنا في تحقيق هذه الرسائل	٣٥
الرسالة الأولى: رسالة المواخاة	٣٧
شروط المواخاة الدينية	٤٢
المساواة والعدل	٤٣
الإخلاص في الدعوة إلى الله والنصح	٤٣
لا يحدث من الصدع بالحق ضرراً أصلاً	٤٤
الرسول ﷺ يتكلم في منازل الكمال	٤٧
من أسباب تقدم الأجانب	٤٨
من أسباب انحطاط الأمة: إهمال من نبيغ فيهم	٤٨
من أسباب الانحطاط: عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٤٨
التناصح بين الإخوان	٥٢
بعض مزايا الطريقة الكتانية	٥٣
الاهتمام بمسائل المعاملات	٥٤
العدل بين الناس والإنصاف	٥٤
ترك حظوظ النفس	٥٥
ترك المداينة والتعاق	٥٦
الاهتمام بشؤون العبادة والإكثار من الذكر	٥٧

الموضوع	الصفحة
ترك العداوة والبغضاء، والتزام محبة المسلمين	٥٩
أصل كل معصية وخميلة وشهوة الرضى عن النفس	٥٩
الدعوة إلى الله تعالى	٦١
من أسباب الانحطاط ترك العمل بالحدوث وصحيح المطعّب وعدم مجالسة	
الوزّنة المحمّديين	٦١
الحث على المذاكرة وسرد الحكّم العطائية	٦٢
الدعوة إلى تأليف رسائل في الطريق	٦٤
من أسباب الانحطاط ذكر الأحكام مجرّدة عن أحكامها	٦٥
الحض على مقاومة الإحلام الأجسي	٦٦
الحض على المذاكرة في الأمور الدنيوية	٦٧
الخاتمة: في الحض على عدم الفعلة عن الله تعالى	٦٨
الرسالة الثانية: سقينة المحبة	٧١
صفة الصديق الحق	٧٥
أركان سمينة المحبة	٧٦
الركن الأول: الصبر	٧٦
الركن الثاني: الشكر	٧٦
الركن الثالث: التوبة	٧٨
الركن الرابع: الصيام	٨٥
أهمية الصعبة	٨٦
الدعوة إلى تفقد الإخوان ومحبتهم	٨٧
الخاتمة	٩١
الرسالة الثالثة: نسخة من خاتمة المطرب	٩٣
المقدمة في العدل	٩٨
سر تحسّرا على المعترض علينا من أهل القفلة	١٠٠
سبب اختلاف الطبائع في الإنسان	١٠١
حال صوفية الرمان	١٠٣
العرق بين من أحبك لك ومن أحبك لنفسك	١٠٥
جلّ الأفهام أشد من جلّ الأجسام	١٠٦
خصائص النفس لا تزول	١٠٧

الموضوع	الصفحة
صاحب الهمة لا يعثر بالإقبال ولا بالإدبار	١٠٨
هذا العالم ليس بمستقر، ولكن مجازاً للمستقر	١٠٩
رفع الهمة أساس الكمال	١١٠
من تمام عقل المرء عدم الشكوى إلى الآخرين	١١٠
يجب عدم ترك المشورة	١١٢
لا بد من التحليل أن يكون وزيراً	١١٣
العلم الإلهي وحال المصنف في زمانه	١١٣
رؤيا منامية للمصنف رضي الله عنه	١١٤
حوار بينه وبين نفسه	١١٥
الفرق بين المحدث والمناجى والمكلم	١١٦
البقية لا تقضى ولا تعلم، وجميع الوجود عابثٌ لله بطريق الفهر	١١٧
ما قدر الحق علينا المعاصي إلا في بساط التشريف لنا	١٢٠
لولا المعاصي ما ظهرت مقتضيات عبادة من الأسماء الإلهية	١٢١
العهد القديم ونكران الناس	١٢٤
الروح مجبونة على محبة الأشياء المحنة	١٢٥
السر في إيرادنا لعالم المحس	١٢٦
الأصل هو الاستغراق في عالمي المحس والمعنى	١٢٧
الرسالة الرابعة الفرق بين الواردات المرحمانية والملكية والظنانية والشیطانية	
وكلام في طريقة التصرف	١٢٩
الفرق بين الواردات	١٣٤
تربيع القلب	١٣٦
الذكر يرد الخواطر الشيطانية	١٣٧
ملاحظة النورين الجامعين في الذكر	١٣٧
النور الجامع الأول	١٣٨
كيف يُستعان على استحضار صورته ﷺ في الذكر	١٣٩
لكل أمر من أوامر الشريعة سرٌ يعلمه العلماء بالله تعالى	١٤١
النور الجامع الثاني	١٤١
كيفية الوصول إلى الصفاء الرباني	١٤٤
احتراس رسول الله ﷺ من تشتت الخواطر	١٤٤

الموضوع	الصفحة
تنزيه الرسول ﷺ عن انطباع صور الكائنات فيه	١٤٥
مخاربة الخواطر أثناء الذكر وطريقة ذلك	١٤٦
الكلام عن الفناء وأقسامه	١٤٧
نتائج تجمع الهمة أثناء الذكر والعبادة	١٤٩
تأثير الشيخ في العريد وكيفية ذلك	١٥٠
تعريف الهمة	١٥٣
طريقة رفع المرض من المريض	١٥٤
طريقة التصرف في المعاصي بإفاحة التوبة عليه	١٥٤
طريقة التصرف في قلوب الناس لإرساء المحبة بينهم	١٥٤
طريقة الاطلاع على نسبة أهل الله ومقاماتهم	١٥٥
طريقة الإشراف والكشف عن الخواطر	١٥٦
طريقة كشف الوقائع المستقبلية	١٥٦
طريقة التصرف بدفع البلية النازلة	١٥٧
المعاملة: في شرط التصرفات السابقة	١٥٨
الرسالة الخامسة الرسالة إلى أهل سلا في فضل الصلاة على رسول الله ﷺ	
والحضي عليها	١٥٩
الحضي على الإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ	١٦٤
الله تعالى يصلي على من يصلي على رسوله ﷺ	١٦٦
جعل الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ من الجاه ما لم يجعله لغيره	١٦٦
الله تعالى ملأ العوالم كلها بذكر رسوله ﷺ	١٦٧
لرسول الله ﷺ من النعم على جميع العباد ما استرقهم بها	١٦٨
الرسالة السادسة: وجوب التران ذكر رسول الله ﷺ بذكر الله تعالى،	
وكلام في وجوب التزام الأديب	١٧٣
كلمتا الشهادة كلمتان متفاوتتان	١٧٨
ما ذكر الله نعماً من معونه تعالى إلا وقرنه بنعمتي من معونتي حبيب ﷺ	١٨٠
قرن الله تعالى اسمه باسم حبيبه ﷺ تشريعاً لنا	١٨٠
ما فرض الله سبحانه فريضة إلا ومن ﷺ سنة أو مستأ	١٨١
هذا الاختلاف إما أن يقال: إنه جازم أو غير جازم	١٨٢
الأحاديث العارضة على ذكر رسول الله ﷺ والصلاة عليه في كل مجلس	١٨٥

الموضوع	الصفحة
التشديد على من يخالف هذا الأمر	١٨٦
حال أغلب من خالف في هذه المسألة	١٨٧
التمسك برسول الله ﷺ موصل إلى كل خير	١٨٧
ذكر أسماء رسول الله ﷺ موجب لانطفاء غضب الله تعالى	١٨٨
مسألة الأخلاق المذكورة في آية: ﴿وَسَارِعُوا﴾	١٨٩
الإتيان بالمشروع والتقرب به إليه تعالى واجب	١٩٠
الدليل العقلي على وجوب اكتساب الأخلاق	١٩٢
دليل الطبع على وجوب اكتساب الآداب	١٩٣
خاتمة في سبب الاختلاف فيما ذكر من المسائل	١٩٣
الرسالة السابعة: الإجازة الطرية وشروط وأركان الطريق	١٩٥
شروط الطريقة الكتانية	١٩٩
الشروط العامة	٢٠٠
أركان الطريقة الكتانية	٢٠١
الثوبة	٢٠١
تصحيح مقام التقوى	٢٠٢
التماس المماذر لسائر الناس	٢٠٢
نظرة التعظيم في سائر الموجودات	٢٠٣
مباني الطريقة الكتانية	٢٠٣
مشاهد الطريقة في حقه ﷺ	٢٠٤
(١) مشاهدته برزخاً بين المخلوقات وربها	٢٠٤
نتائج هذا المشهد	٢٠٥
(٢) مشاهدته أن له ﷺ على كل ذرة من ذرات الموجودات نعمة الاستعداد	
من الحق	٢٠٦
(٣) أن تشهده عند السلام في الورد	٢٠٧
(٤) أن تشاهده نوراً صرفاً	٢٠٨
نتائج هذا المشهد	٢٠٨
الدعوة إلى البحث عن الشبهات التي بين الحلال والحرام	٢٠٩
الشروط الخاصة	٢٠٩

الموضوع	الصفحة
الرسالة الثامنة: الوصايا الكتابية	٢١١
وصية: في حفظ الجوارح	٢١٧
وصية: في الصمت وترك فضول الكلام	٢١٧
وصية: في صلة الرحم	٢٢٣
وصية: في ستر عورات المسلمين	٢٢٤
وصية: في حفظ حقوق الجيران	٢٢٥
وصية: في زيارة الإخوان والأحباء	٢٢٦
وصية: في إقضاء السلام	٢٢٨
وصية: في المصافحة	٢٢٩
وصية: في ترك الجلوس في الطرقات	٢٣٠
• لطيفة	٢٣٢
وصية: في ترك الجدال	٢٣٤
• سائعة	٢٣٨
• تنبيه	٢٣٩
وصية: في ترك الخصومة	٢٤١
وصية: في ترك الغيبة	٢٤٢
حقيقة الغيبة وتعريفها	٢٤٦
الأخذ علنٌ بد المغتاب	٢٥٦
الخاتمة في أمور جامعة	٢٦٣
• فائدة	٢٦٥
الرسالة التاسعة: سفن النجاة وكهوف العباد	٢٦٧
العهد الأول	٢٧١
العهد الثاني	٢٧٢
العهد الثالث	٢٧٤
العهد الرابع	٢٧٥
العهد الخامس	٢٧٥
العهد السادس	٢٧٦
العهد السابع	٢٧٦
العهد الثامن	٢٧٧
العهد التاسع	٢٧٨

الموضوع	الصفحة
العهد العاشر	٢٧٨
العهد الحادي عشر	٢٧٩
الرسالة العاشرة: الأمالي في علم الأمهات	٢٨١
المقدمات	٢٨٧
وصل: الموجودات من حيث هي مرتبطة بحضرات الأسماء والصفات	٢٨٨
وصل: مقتضيات الأسماء والصفات في نفسها ليست متحدة	٢٨٩
وصل: مقتضيات الأسماء والصفات متحدة في مطلقها	٢٨٩
وصل: لكل اسم من الأسماء الإلهية مقتضى	٢٩٣
وصل: التجليات الإلهية دائمة التدفق على الدوائر الكونية	٢٩٥
وصل: التجليات لا تشابه في نفسها أصلاً	٢٩٦
وصل: لا مشابهة بين العالم	٢٩٧
الكلام على مقامات الولاية	٢٩٧
الكلام على الختمية	٢٩٩
الختمية الكبرى وصغرى	٣٠٠
بعض العلوم المضمّنة فيما مضى	٣٠٤
لا بد في العالم من التجلي، وأن التجلي الثاني أكبر من الأول	٣١٠
العلامة الكبرى للمعتم الأكبر	٣١٢
العلوم التي انظم عليها هذا المحل	٣١٤
الخاتمة	٣١٧
الرسالة الحادية عشرة: الثانية الكبرى	٣١٩
الفهرس التفصيلي	٣٢٩
الفهرس الإجمالي	٣٣٦

الفهرس الإجمالي للمحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة التحقيق	٧
الرسالة الأولى: رسالة المواخاة	٣٧
الرسالة الثانية: سفينة المحبة	٧١
الرسالة الثالثة: نسخة من غاب عنه المطرب	٩٣
الرسالة الرابعة: الفرق بين الواردات الرحمانية والملكية والنفسانية والشيطانية وكلام في طريقة التصرف	١٢٩
الرسالة الخامسة: الرسالة إلى أهل سلا، في فضل الصلاة على رسول الله ﷺ والحضر عليها	١٥٩
الرسالة السادسة: وجوب اقتران ذكر رسول الله ﷺ بذكر الله تعالى، وكلام في وجوب التزام الأدب	١٧٣
الرسالة السابعة: الإجازة الطرقية وشروط وأركان الطريق	١٩٥
الرسالة الثامنة: الوصايا الكتانية	٢١١
الرسالة التاسعة: سفن النجاة وكهوف العباد	٢٦٧
الرسالة العاشرة: الأمالي في علم الأمهات	٢٨١
الرسالة الحادية عشرة: الثانية الكتانية	٣١٩
الفهرس التفصيلي للمحتويات	٣٢٩
الفهرس الإجمالي للمحتويات	٣٣٦